سَلُّ الحُسَامِ عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ دِينِ الإِسْلَامِ

البُخَيْتِيّ (أَنْمُوذَجاً)

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ شَمْلَانَ

تَأْلِيفُ

طَلَالُ بْنُ جَمِيلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحُبَيْشِيّ






سَلُّ الحُسامِ
عَلَى مَن خَرَجَ عَن دِينِ الإسلَامِ
(البخيتي أنموذجا)

تقديم فضيلة الشيخ

أبي العباس أحمد بن أحمد شملان حفظه الله

تأليف

طلال بن جميل بن محمد الحبيشي




الطبعة الأولى، بتاريخ: (١٥ صفر ١٤٤٣).


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة شيخنا ووالدنا أبي العباس أحمد بن أحمد شملان حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فمما ابتلي به شُذَّاذ بني آدم الإلحاد والزندقة والخروج الكلي عن الفطرة السليمة إلى أن يصل بهم الحد إلى إنكار وجود الله تعالى وإنكار الأديان والنبوات والغيبيات بحيث لا يؤمنون بشيء إلا ما أملت عليهم شياطينهم.

ويتعدى بهم الحال إلى أنهم لا يؤمنون بالأمس الغابر وما كان فيه، ويكاد ينكر النطفة التي خُلِق منها والأصل الذي جاء منه، بل حصل ذلك وكان عياذا بالله.

ومن هذا المنطلق وبيانا للحق وردا للباطل وجب على مَن وفقه الله مِن أهل الإسلام ورزقه علما وفهما وإدراكا أن يتصدى لأمثال هؤلاء، كما فعل جماعة مِن أئمة الإسلام وأعلام الدين كشيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم، ممن لهم باع في رد الشبهات وتفنيدها ومقارعة المناطقة والفلاسفة وأهل الكلام الذين هم بوابة الزندقة والإلحاد...

وقد ظهر في الآونة الأخيرة جماعة زاغت عقولهم عن الحق، ووصلوا إلى مرحلة خطيرة ودرجة رديئة من الخسة والدناءة حتى بال عليهم الشيطان وسلح، وممن كتب في الرد عليهم استعانة بكلام السابقين واللاحقين من أئمة

المسلمين أخونا الفاضل المبارك/ طلال بن جميل الحبيشي، وقد جعل كتابه هذا في الرد على البخيتي عنوانا للرد على الملاحدة والزنادقة الذين أضلهم الشيطان على علم، وختم على قلوبهم وعلى سمعهم.

وقد قرأت كتابه هذا فكان فريدا في بابه، وقد جَمَّله بكلام شيخ الإسلام وغيره من أئمة الدين، فجزاه الله خيرا وزاده علما وصلاحا، وثبتنا وإياه على الحق والهدى، وجعلنا وإياه من حماة العقيدة وحُرَّاس الفضيلة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه: أبو العباس أحمد بن أحمد شملان، بتاريخ: (٢ صفر ١٤٤٣).

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،

أما بعد:

فهذا كتاب مختصر، أشرت فيه إلى بعض ضلالات علي البخيتي ومَن على شاكلته ممن يضمرون الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، وأضع للقراء الكرام بعضَ الأمور التي لا بد منها بين يدي هذا الكتاب، والتي هي كالآتي:

١. ضرورة ملازمة تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جميع الأحوال، وألا تستهوي المسلمين الأفكارُ الجذابة، وألا ينخدعوا بالمستكشفات الحديثة التي وصل إليها الغرب في الأمور التي تتعلق بالدنيا الزائلة، بل علينا أن نكون على ورع تام، وأن نبتعد عن العجلة في تقبُّل الأفكار، وأن نعرض ما يَرِدُ علينا مِن الشبهات على علمائنا الأثبات المعروفين بالدين والسنة، فما مِن شبهة إلا وفي الدين نقضها وبيان زيفها بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علم ذلك مَن علمه وجهله مَن جهله.

٢. البعد التام عما يفسد دين المسلمين وعقيدتهم، فمَن عُرف بالشر والكذب والتلبيس على الناس، فلا يُقرأ له، ولا تُتابع منشوراته، حتى لو تضمن بعضُها نوعًا من الحق؛ فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة، فيبتعد الإنسان عن مواقع أهل الباطل مِن الملاحدة فمَن دونهم جملة وتفصيلا، وفي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل، فالشريعة الإسلامية تزخر بشتى أنواع العلوم والمعارف.

٣. العلم بأن أفكار البخيتي وغيره مِن الملاحدة. ممن هم أعظم منه إلحادا. كثيرة جدا، لا خطام لها ولا زمام، ولو حاول الشخص نقضها. على جهة التفصيل. لاحتاج إلى أعوام؛ لأنه ما مِن عصر إلا ويظهر فيه المبطلون بشبه جديدة بعد أن ماتت شبه العصر الذي مضى؛ فالأَولى هو نقض أصول أهل الباطل؛ فإذا سقطت الأصول سقطت الفروع تبعا؛ فلهذا كان تركيزنا في هذه المناقشات على أصلين اثنين يقوم عليهما معتقد البخيتي وغيرِه من الملاحدة، مع التطرق لبعض الأمور التي لا بد منها أحيانا، وهذان الأصلان هما:

إنكار النبوات، والإيمان بالعقل كمصدر للتشريع مقدمٍ على النقل، وما سوى هذين الأصلين مِن إنكارهم للجنة والنار وللبعث، وتجويزِهم للمحرمات كالخمور ونحوها، وطعنِهم في الرسل، وغير ذلك مِن ضلالاتهم، فهذه تنبني على هذين الأصلين؛ فإنه بتصديق الأنبياء يلزم التصديق بأخبارهم وأحكامهم، والإيمان بجميع ما جاءوا به مِن عند الله تعالى.

٤. ألا تُضعِف مثلُ هذه الشبه التي ينشرها الملاحدة عقيدةَ المسلم، فيشعر بالحُزْن والضيق والهوان؛ فالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ: ١٢٧]، فدين الله محفوظ، والله ولي دينه، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعاقبة الملاحدة إلى الهلاك بإذن الواحد الأحد؛ فلم تقم لهم قائمة منذ عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ إذَا رَأَى

الْمُنْكَرَ أَوْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِسْلَامِ جَزِعَ وَكَلَّ وَنَاحَ كَمَا يَنُوحُ أَهْلُ الْمَصَائِبِ وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْ هَذَا ؛ بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالثَّبَاتِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يُؤْمِنَ بأن اللَّهِ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى. وَأَنَّ مَا يُصِيبُهُ فَهُوَ بِذُنُوبِهِ فَلْيَصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلْيَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِهِ وَلْيُسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّهِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ[١].

وقد ذكر محدث ديارنا اليمنية الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول[٢] عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ :١٣] قصةً عظيمة وقعت في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفيها شدة أخذ الله عَزَّوَجَلَّ للملاحدة وأضرابهم فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو الشهير بالبزار كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٥٤ حدثنا عبدة بن عبد الله أنبأ[٣] يزيد بن هارون أنبأ ديلم بن غزوان ثنا[٤] ثابت عن أنس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلا مِن أصحابه إلى رجل مِن عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فقال أيش ربك

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٥).

(٢) (صـ١٢١).

(٣) اختصار لكلمة (أنبأنا).

(٤) اختصار لكلمة (حدثنا).

الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فأعاد النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثانية، فقال مثل ذلك، فأرسله إليه الثالثة. فقال مثل ذلك، فأتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليه صاعقة فأحرقته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَى صَاحِبِكِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ**»، فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ: ١٣] (١).

وذكر لنا شيخنا أبو العباس أن رجلا مِن الملاحدة في فرنسا اعترض ذات يوم المسلمين في طريقهم، وأخذ يسبهم وينتقصهم على مرأى الجميع، ثم زاد طغيانُه فقال للمسلمين: إن كان ربكم حقا فليمتني الآن، فخار ميتا كما يخور الثور، ووقع كأن لم يكن به قلبة، والقصة مشهورة، والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيح.

أخرجه البزار في مسنده (١٣/٣٦١، ح: ٧٠٠٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٢، ح: ١١٠٩٢): رِجَالُ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ دَيْلَمِ بْنِ غَزْوَانَ وَهُوَ ثِقَةٌ.

تمهيد

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **أما بعد:**

فإن رأسَ كل بلية، وأصلَ كل رزية، ضل بسببها الملحدون، وتاهَ لأجْلها الجاحدون، هي اعتقادهم أن الشرع جاء معارضا لسعادتهم، ومانعا مِن راحتهم، وأن هذا الدين يحصر مداركهم، ويحجر أفكارهم، ويمنع تقدمهم وتطورهم ورقيهم وتحضرهم في أمور الدنيا المباحة.

وبالعكس؛ فدين الإسلام حض على العلم بجميع جوانبه الدينية والدنيوية، وعلى الانفتاح المباح دون الانبطاح والانطراح، فكيف نشأت الحضارات الأوربية بعد تلك القرون الوسطى المظلمة إلا بتأثرها بجامعات الأندلس الإسلامية التي كانت سببا في تحضرها ورقيها!!

ولن ينسى التأريخ -وإن نسي الغرب- تلك الأيام التي كان الأوربي إذا أراد ألا يوصف بالتخلف والركود، سعى في محاكاة المسلمين في معاملاتهم بل وفي ملابسهم وحركاتهم بل وفي لغتهم وخطابهم!

وشهد شاهد من أهلها، وهو ألفارو القرطبي في مقالة له يتحسر فيها ويتوجع على أبناء الحضارة المسروقة -الأوربيين- آنذاك، ويصف أحوالهم قائلا:

يطرب إخواني المسيحيون بأشعار العرب وقصصهم، فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين لا لتفنيدها، بل للحصول على أسلوب عربي صحيح رشيق.

فأين تجد اليوم علمانياً يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة؟ وأين ذلك الذي يدرس الإنجيل وكتب الأنبياء والرسل؟ وا أسفاه! إن شباب المسيحيين الذين هم أبرز الناس مواهب، ليسوا على علم بأي أدب ولا أية لغة غير العربية، فهم يقرأون كتب العرب ويدرسونها بلهفة وشغف، وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة، وإنهم ليترنمون في كل مكان بمدح تراث العرب.

وإنك لتراهم مِن الناحية الأخرى يحتجون في زراية إذا ذكرت الكتب المسيحية بأن تلك المؤلفات غير جديرة بالتفاتهم، فواحر قلباه! لقد نسي المسيحيون لغتهم، ولا يكاد يوجد منهم واحد في الألف قادر على إنشاء رسالة إلى صديق بلاتينية مستقيمة! ولكن إذا استدعى الأمر كتابةً بالعربية، فكم منهم مَن يستطيع أن يعبر عن نفسه في تلك اللغة بأعظم ما يكون من الرشاقة، بل لقد يقرضون من الشعر ما يفوق في صحة نظمه شعر العرب أنفسهم(١).

---

(١) نقض أصول العقلانيين (٢ /٨) نقلا عن حضارة الإسلام، جرونيباوم (٨١ –٨٢) من الترجمة العربية.

ولئن كانت جامعات أوربا الحديثة نسيت كتب المسلمين. التي كانت ولم تزل مراجعا هامة في مكاتبها طبا وهندسة وفلكا وغيرها من العلوم. إنها إذن للئيمة؛ فمن يحجب نور الشمس في وسط النهار؟

ولمَّا جهل كثير من المسلمين هذه الحقائق المخفية، ورأوا ما وصل إليه الغرب من الرقي المحصور لأهل القصور، ظنوا أن سبب جمودَهم وضعفَهم هو دينُهم الحنيف وشرعُهم المنيف! ونسوا كيف كنا حين تمسكنا؟ وتناسوا تلك الأقدام الشريفة التي وطئت رقاب كسرى وقيصر، ودان لها السند والهند والبلاد والعباد، وما علموا أن محاكما كبرى كفرية تنادي المسلمين أن يبعثوا إليها بأحكام الإسلام الاجتماعية والسياسية والأسرية والقضائية، وأعلنت بمقالها أو بحالها عجزها عن وضع أنظمة متقنة، وقوانين متزنة، يكون بها صلاح المجتمعات ونشرُ العدل، الذي يتمنى المستهجنون من الزنوج وغيرهم في أمريكا وأوربا وإفريقيا وغيرها أن يتنفسوا رائحته، فضلا عن أن يتذوقوا طعمه، بينما لم تنسَ. إلى يومنا هذا. شعابُ المدينة ووديانُها صوتَ العبد الحبشي الأسود. بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. مدويا في رُبُوعِها بالأذان بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولله در القائل:

يَا أُمَّةً غَفِلَتْ عَنْ نَهْجِهِ وَمَضَتْ	تَهِيْمُ مِنْ غَيْرِ لَا هَدْيٍ وَلَا عَلَمِ
تَعِيْشُ فِي ظُلُمَاتِ الْتَّيْهِ دَمَّرَهَا	ضَعْفُ الْأُخُوَةِ وَالْإِيْمَانِ وَالْهِمَمِ

يَوْمًا مُشَرِّقَةً يَوْمًا مُغَرِّبَةً تَسْعَى لِنَيْلِ دَوَاءٍ مِنْ ذَوِي سَقَمِ
لَنْ تَهْتَدِيْ أُمَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَنْهَجِهِ مَهْمَا ارْتَضَتْ مِنْ بَدِيْعِ الرَّأْيِ وَالنُّظُمِ

وكان من نتائج هذه التصورات المغلوطة أن هجرت جماعة قليلة وشرذمة ذليلة دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألقت عليه الاتهامات الباطلة والادعاءات الظالمة الجائرة، ونسبت إليه ما ليس منه، وأخفت عنه ما هو منه، ووصفته بالقصور والركود والتحجر والجمود، وأنه شرع مضى عصره وذهب دهره، لا يستطيع . بنصوصه الشريفة وأحكامه المنيفة . احتواءَ المتجددات العصرية والمتولدات الفكرية، ثم استطال الشر وعظم الخطر عندما صرح بعض هؤلاء الزنادقة الملاحدة . وهو البخيتي . أن الإسلام ليس دينا سماويا، وأن الله لم يبعث محمدا رسولا، ولم ينزل القرآن كتابا، وأن الإسلام عبارة عن أفكار مجموعة وأحكام موضوعة من قبل محمدصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أملاها عليه ورقة بن نوفل أو غيره، حنانيك بعض الشر أهون من بعض!

وقام الملاحدة بنشر الأحكام الإلحادية، وإقصاء الأحكام السماوية، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الشر العظيم والبلاء العميم الذي عم وطم في جميع أنحاء العالم، وهذا من الجهل العميق بأحكام الله جَلَّ وَعَلَا التي فيها الهدى والنور، والتي لا يتم صلاح ولا أمن ولا حياة إلا بجعلها منهاجا يسير عليه الناس، قال

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النَّاسَ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ النِّزَاعَ إلَّا كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ السَّمَاءِ، وَإِذَا رَدُّوا إلَى عُقُولِهِمْ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَقْلٌ[(١)].

وهؤلاء كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٥٦]، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وإذا جاء الله نهر الله بطل نهر معقل، وهؤلاء كما لا يخفى غرتهم عقولهم وما وصلوا إليه من العلم الدنيوي، ونسوا أن الفضل فضل الله، وأن العقل هبة مِن الله عَزَّوَجَلَّ للعباد.

ولو أن هؤلاء الجهلة نظروا في أحوال أسلافهم الذين مضوا لاعتبروا واتعظوا، ممن كانوا أعظم منهم كفرا وأشد خطرا وأكبر ضررا، كيف كان مآلهم؟ ماتوا وماتت كتاباتهم وسقطت أسماؤهم في زبالات التاريخ، ولم يمت الإسلام، ولن يموت منذ عهد أبي جهل وأمية إلى عهد نتنياهو وترامب، بل سيظل علمه شامخا وشرعه راسخا إلى قيام الساعة، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٣٢-٣٣]، وكما قيل:

مَـا ضَـرَّ تَـغْـلِـبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا ... أَمْ بِـلْـتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

وقيل:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦٣/٢٠).

مَــا ضَــرَّ نَهْـرَ الْـفُـرَاتِ يَــوْمًـا ... أَنْ جَــاءَ قِــرْدٌ فَــبَــالَ فِــيْـهِ

وقيل أيضا:

لَا لَـنْ يَضُرَّكَ سَبُّهُـمْ وَشِـتَـامُهُـمْ ... وَاللهُ جَــلَّ جَــلَالُــهُ قَدْ طَهَّرَا

فَاسْأَلْ صَفَاءَ الْـبَــحْــرِ مَاذَا ضَرَّهُ ... كَـــلْـبٌ مَشَــى فِيْ شَـطِّهِ وَتَعَثَّرَا

وطوائف الأرض بأكملها على اختلاف معتقداتها وآرائها وأفكارها ودياناتها مجتمعةٌ متفقةٌ على محاربة الإسلام منذ أكثر من ١٤ قرنا، ولم تستطع .بفضل الله جَلَّ وَعَلَا . استئصالَ شوكته وخفضَ رايته؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عند أن بعث محمدا وأرسلَه، وأوحى القرآنَ وأنزلَه، تكفل بحفظ هذا الدين مِن جميع أعدائه، وبحفظ كتاب الله الكريم مِن أدنى تحريف أو تبديل، فالقرآن الذي قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة هو القرآن اليوم، لم يتغير لفظه ولا معناه.

ولم يوجد على مر العصور والدهور كتابٌ على هذه الصفة، لم تمسَّه أيدي العابثين، ولم تغيره زياداتُ الناسخين، ولم يسلم مِن زلةٍ سوى هذا الكتاب العظيم، فليتَ شِعْري هل بعد هذا من حجة ودليل على صدق التنزيل؟ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٨٢].

ولقد انبرى مِن هذه الطائفة الإلحادية رجل يدعى عليا ولا علو فيه، ظن . فخاب ظنه . أنه بمعوله المتفلل سيستطيع كسرَ الإسلام وقصرَه، وهدمَ الدين وحصرَه، ولو نظر إلى معوله .الذي أضحك به عوام المسلمين فضلا عن علمائهم

لاستحيا مِن رفعه؛ فقد جعل نفسه أضحوكة العالم، وطرفة العصر، وجعل كلامه دعابة تتندر بها عجائز المسلمين.

وكتابات المرء تنزل عقله في طبق ليعرضه على الناس، فإما أن ترفعه أو تضعه، وكما قال بعضهم:

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقيل أيضا:

وَفِيْ الْصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيْفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وما أشبه الليلة بالبارحة! فمعول علي البخيتي الذي يحمله في وجه الإسلام ليس من حديث الصنع، فلا يسمو بك الخيال. أيها البخيتي. فتظن أنك وحيد عصرك وفريد دهرك، وأتيت بشيء لم يطلع عليه الناس؛ إنما تعتبر ناسخا وناقلا لا غير. لما وصل إليك من كلام أسيادك وأسلافك في الإلحاد، كالحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم من متأخري الملاحدة، مع صوغها بالعبارات العصرية، وإضافة لبعض الأفكار الإلحادية العلمانية الحديثة، وذلك المعول الكَلُّ على صاحبه ما قطع يوم حَدِّهِ فكيف يَقطعُ بعدَ فَلِّهِ مِن قِبَلِ الأئمة الأعلام من حَمَلَةِ الإسْلامِ وأهلِه.

وللإنصافِ مَعَ المصداقية أود أن أقولَ: إنك لسْتَ وحدك الذي ما جاء بجديد، بل وأنا كذلك ما أتيت بجديد؛ فأنت تَنقلُ شُبَهَ أسْلافِكَ الملاحدة، وأنا

أنقل نسف تلك الشبه من كلام أسلافي الأعلام أئمةِ الإسلام بدون أدنى كلفة، ولكل قومٍ وارث!!

ولمزيدٍ مِنَ الإنصاف، كان بِوِدِّي أن أشْكركَ. لولا أنك لا تستحقُ الشكرَ. على خدمة قَدَّمْتَهَا لي يوما من الدهر غير بعيد وأنت لا تعلم.

كنتُ في يوم من الأيام، أُقَلِّبُ صفحات مجموعة من المجموعات فقرأتُ مقالةً أعجبتني جدًا، لولا أني لم أجد لها مثالا ينطبقُ عليها حتى عرفتك فانطَبَقَتْ عليك تلك المقالة؛ كأنما كتبت فيك وصيغت مِن أجلك.

المقالةُ بنصها: الذين رفضوا أن يكونوا أسود وغى. مع استطاعتهم. واختاروا أن يكونوا ثعالبَ مفاوضات أصبحوا حمير تحميل وغدا سيكونون كلابَ حراسة.

وأهلُ مكةَ أَدْرَى بشعابها، وَسَتَفْهَمُهَا أكثرَ مِن فَهمي لها؛ لأنك تعرفُ المثالَ جيدا، وستقوم الآن بمقارنة بينها وبين فترات دخولك في الإلحاد خطوة خطوة، منذ أن كنتَ ثعلبَ مفاوضات معهم، إلى أن صرتَ كلبَ حراسة على بوابة إلحادهم، تنقص مِن أجرهم ولا أجر لهم كل يوم قنطارا ...

ومناقشتي مَعَ البخيتي ليست بتلكَ المُطَوَّلَةِ؛ لأن ذكرَ كلامِهِ وعرضَهُ على الناس يُغني عن بَيانِ بطلانِه.

ولله. وحده. الحمدُ والمنة؛ فلا زالتْ فطرُ المسلمين سليمةً تشمئزُ مِن مثل هذه المعتقدات التي تخالفُ فطرتها السليمة، وتنفر عن مُعْتَقِدها نفورها من الجِيَف.

ولم تكن لي نهمةٌ في الرد على البخيتي أصلًا، ولا يَستحق أن يُستهلكَ مدادُ العلمِ في مناقشته؛ لولا أنه طَلب مني ذلك مَنْ لا يَسَعُنِي رفضُ أمره وردُّ طلبِه...

وقد لامني بعضُ الفضلاء في إضاعةِ الوقْتِ في الرَّدِّ على أمثال هؤلاءِ، فقلتُ مُبَرِّرًا:

تَـلُـوْمُوْنَنَيْ أَنْ قُمْتُ بِالْحَقِّ صَادِعًا	وَأَسْــكَــتُّ عَبْـدًا تَشْــتَرِيْـــهِ
فَيَا لَائِـمِـيْ دَعْـنِـيْ أَعِـيْـشُ مُدَافِعًا	فَـعِــنْـدَ الْضَّـــرُوْرَاتِ تُـؤْتَـى

ولأنني وجدتُ البخيتي يُلَبِّسُ على الناس بكَذِبٍ ودَجْلٍ وافتراءٍ على المسلمين، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَعْجَزَ علماءَ العالمِ الإسلامي بِأكملهِ، ولمْ يَستطيعوا أن يناظروه، ومِنهم مَن ناظرهُ وأُفْحِم، وفي الحقيقة وَجَدَ البُخَيْتِي بعضَ مَن يدعي العلم وليس مِن أهله، وهم مَن يُسميهم في بعض مقالاته بالمُرَقِّعِينَ، فَطَرَحَ عليهم الشَّبَهَ فَنَفَقَتْ ولم يَستطيعوا رَدَّهَا؛ لا لقوتها وصحتها؛ ولكن لقلة البضاعة التي يحملونها، وإلا فهي شبهٌ. بيوتُ العنكبوتِ أَشَدُّ تماسكا منها. وأيضًا لا تَنْفُقُ

(١) الحشوش: جمع حش، وهو محل قضاء الحاجة.

على راعي غَنَمٍ أَوْ عَجُوزٍ مِنْ عجائز الحداء، فَضْلًا عن كُلِّ ذي عقل رشيد ورأي سديد.

ولَيْسَ قَصْدِي مِنْ هذا كُلِّهِ إِلَا الحفاظُ على عقيدة المسلمين مِن هذه الأفكارِ الكفرية؛ وإن كانتْ عقول المسلمين. والحمدُ لله. أرفعَ مِن أن تَنطلي عليها هذه الكفريات التي لربما لو نشرها ملحد. وهو في أوساطهم. صباحًا لمَا أدركه المساء أو نشرها مساء لما أدركه الصباح، ولصار أثرا بعد عين.

وكما قيل:

يَا نَاطِحَ الْجَبَلِ الْـعَـالِيْ لِيُوْهِنَهُ ... أَشْفِقْ عَلَى الْرَّأْسِ لَا تَشْفِقْ عَلَى
كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا ... فَلَمْ يَضُرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

ومرادي مِن هذا كلِّه أن أقنعَ عليًا البخيتي أنه على باطل، ووالله إنه ليعلم أننا نعلم أنه كذاب، وأتحداه أن يكونَ مقتنعا في نفسِه اقتناعا تاما بما يَنْشُرُهُ مِنْ أَفْكَارٍ تُخالفُ العقلَ والنقلَ، ولكنَّ الزياراتِ الخاصةَ مِن المبعوث الأممي إلى اليمن. في خضم حروبها. ليلتقي بعلي البخيتي خاصةً في عُقْرِ دَارِهِ آتَتْ ثمارهَا، فصادفت قلبًا خاويًا وجيبًا خاليًا؛ فباع البخيتي دينَه بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، ولقد أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

عَرَفْتُ هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وقد كنْتُ أَتَعجبُ مِنَ المثلِ اليمني الحكيم؛ ما أصدقَ حدسَهُ، وَهُوَ قَولُ الأولِ: لك الله من البَدْوِي إِذَا تِمَدَّن، وأَنَا أَقُول: لَكَ اللهُ مِنَ البُخَيتِي إِذَا تزندق وتحضر.

«**والمرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[1]، فوداعا يا بخيتي، إلى زبالة التاريخ وسلة المهملات، أَنْتَ وأمثالُك مِنْ مَكَانِسِ الْغَرْبِ؛ فَكَم قَدْ رَمَى تَارِيخُ الإِسْلَامِ مِنْ زَبَدٍ وَزَغَلٍ في سلة المهملات ونفايات الأفكار، التي آذَتْ بِنَتَنِهَا كُلَّ سليمِ الذوق صحيحِ العقل.

ومعتقداتُ علي البخيتي التي تخبط فيها كثيرة جدا، يغني تصورُهَا عن نقضها لأَن الشَّخْصَ إِذَا خَرَجَ مِنَ النُّوْرِ دخلَ فِي ظُلُمَاتٍ شَتَّى؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ :١٢٢] فوَحَّد النور وجمع الظلمات، والعلة في هذا يذكرها لنا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلا:

ولما كانتِ الظلمةُ بمنزلةِ طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق فقد أُفردَ النورُ وجُمِعَتِ الظلماتُ، وعلى هذا جاء قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم

(١) كما في البخاري (٨/ ٣٩، ح: ٦١٦٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٤، ح: ٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا.

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٧] فوحد ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو: اللهُ الواحدُ الأحدُ، وجَمَعَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ لتَعَدُّدِهِمْ وكثرتهم، وجَمَعَ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهي طرقُ الضلالِ والغيِّ؛ لكثرتها واختلافها، وَوَحَّدَ ﴿ٱلنُّورِ﴾ وهو: دينُه الحق، وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه.

ولما كانت اليمينُ جهةَ الخيرِ والفلاحِ، وأهلُها هُمُ النَّاجُونَ أُفْرِدَتْ، ولما كانت الشمال جهة أهل الباطل وهم أصحاب الشمال جمعت في قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ: ٤٨][١].

فالحق واحد لا يتعدد والباطل كثيرٌ سرعانَ مَا يَتَبَدَّدُ، وَمَنْ خرج مِن النُّورِ إلى الظُّلُماتِ قَلَّ أن يرجع إليه. إلا أن يشاء الله. ومَنْ خَرَجَ مِنَ الظلماتِ إلى النور كذلك قَلَّ أن يرجع إليها. إلا أن يشاء الله. فالحقُّ أَبْلَجُ وَالبَاطِلُ لَجْلَجُ، وستسمر للحق الدَّوَلَةُ إلى يوم حشر الظالمين مَعَ الأزواج، ولهذا إذا عَصَفَتِ الأمواجُ، وَآذَنَتِ السفينةُ بَالارتجاج، وَحَصَلَ الاختلاج، وَانْدَحَرَتِ الأَفْوَاجُ، فليس هذا دليلا على أن الحقَّ مَاجَ، أَو أن فيه الاعوجاج؛ بل لِمَا ترك الناس مِن المنهاج الوهاج، الذي مَن عدل عنه زل، وَمَنِ خرج مِنْهُ ضَلَّ، ووالذي نفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٢٠).

«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُ بِهِ الكُفْرَ»(١) وإن الذي لا يخلف الميعاد جَلَّ وَعَلَا «زَوَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَرْضَ، فَرَأَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتَهُ سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا»(٢) و ستأتي «خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»(٣)، وسيكون المستقبل للإسلام، وأما كسرى وقيصر فـ«وَالَّذِي نَفْسِ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(٤).

---

(١) صحيح.

رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٥٤، ح: ١٦٩٥٧)، عن تميم الداري مرفوعا، وصححه الألباني كما في الصحيحة برقم (٣).

(٢) كما في مسلم (٤/٢٢١٥، ح: ٢٨٨٩) عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعا.

(٣) كما روى الإمام أحمد في مسنده (٣٠/٣٥٥، ح: ١٨٤٠٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ» ثُمَّ سَكَتَ.

وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة (١/ ٣٤، ح: ٥).

(٤) كما في البخاري (٤/ ٢٠٣، ح: ٣٦١٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٦، ح: ٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

فلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أنه سيطفئ نور الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ عين الشمس أقرب مما يرومون، فما عادى أحد دين الله تعالى وغالب شريعته إلا انقلب خاسئا وهو حسير، فتسقط أسماء ويتهاوى عظماء؛ بسبب سعيهم في إطفاء نور الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فلو عادَ عاد، إرم ذات العماد، التي لم يُخلقْ مِثْلُهَا في البلاد، وعادتْ ثمودُ الذي جابوا الصخرَ بالواد، وفرعون ذو الأوتاد، الذين طغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد لصب عليهم ربك صوط عذاب؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [سُورَةُ الفَجۡرِ :١٤].

وليت هولاء الملاحدة يلتزمون في مناقشتهم لدين الإسلام بآداب الباحث المنصف الذي يسعى في تقرير الحق الذي يقوده إليه بحثه إن كان قائما على أسس سليمة، ولكن لما كان الغرض هو مجرد الطعن والتشويه لدين الإسلام، هدرت هذه القواعد التي يجب على كل باحث أن يلتزمها ليكون منصفا، فمثلا لا تجد ملحدا واحدا يتحدث عن محاسن الإسلام أبدا، إنما يعدون ما يظنونها عيوبا لعدم موافقتها لنتن فطرهم التي أنتنتها الشوهات والشبهات،

ويقال لهؤلاء الجهلة كما قيل قديما:

فَقُلْ لِلْعُيُوْنِ الرَّمْدِ لِلْشَّــمْسِ ... سِــوَاكِ تَرَاهَا فِيْ مَغِيْبٍ وَمَطَّلَعِ

وصدق القائل:

إِنْ يَـسْـمَـعُـوْا سُبَّةً طَـارُوْا بِهَا ... مِنِّيْ وَمَا سَــمِعُوْا مِنْ صَــالِحِ

صُمٌ إِذَا سَمِعُوْا خَيْرًا ذُكِرْتُ	وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
إِنْ يَعْلُمُوْا الْخَيْرَ يُخْفُوْهُ وَإِنْ	شَــرًّا أَذَاعُوْا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوْا

وسأذكرُ في موضوعي هذا أصلين أساسيين بنى عليهما البخيتيُ كافةَ الإِلحاد والزندقة التي يسفسط بها.

وبقطع الغصن تتساقط الأوراق تباعًا، وسأخاطب البخيتي بلغته التي ينتسب إليها، وهو يجهلها ويجهل معانيها، وحاله كحال كفار قريش كما وصفهم رب العزة والجلالة في كتابه فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٣٩]، وهذه اللغة التي ليس مع البخيتي منها إلا اسمها هي لغة المنطق والعقل الذي يدعي البخيتي. زورا وكذبا. أن النقل الصحيح يخالفها، مع أن النقل لا يخالف العقل بوجه من الوجوه وإليك الأصلين المذكورين:

أصلان بنى عليهما البخيتي ضلالاته وانحرافاته

الأول: أن العقل مقدم على كل شيء حتى على كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأن المحرم هو ما حرمه العقل وإن أحله القرآن، وأن الحلال هو ما أحله العقل وإن حرمه القرآن.

الثاني: أن محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن نبيا مرسلا مِن عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولكن لذكائه أقنع الناس أنه نبي مِن عند الله فصدقوه.

ونستعين بالله جَلَّوَعَلَا بذكر بعض ما ينقض هذين الأصلين الباطلين بداهة عند كل ذي عقل ودين، ونبدأ بالأصل الأول، **فإلى صلب الموضوع:**

أصل البخيتي الأول

قوله: أن العقل مقدم على كل شيء، حتى على كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن المحرم هو ما حرمه العقل وإن أحله القرآن، وأن الحلال هو ما أحله العقل وإن حرمه القرآن، وهذا يدل عليه من كلامه ونقولاته الآتي:

١. نشر في مجموعته على التليجرام أبياتا وفيها:

يا عقلي انته سيدي شرع وسن

وفيها:

والعقل معيار المحرم والمباح

٢. وقال: الله أرسل لكم العقل ولا سواه ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

٣. وقال: رسول الله الوحيد لبني البشر هو العقل لا سواه.

نقض الأصل الأول

أقولُ ـ وبالله التوفيق ـ: إن الأصل العليل الذي بنى عليه البخيتي وأسلافُه معتقداتِهم الكفريةَ المخالفةَ للمنقول والمعقول هو: أن في كلام الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يخالفُ العقلَ، وأن من الأحكام الإسلامية ما ينافي القوانينَ الإنسانيةَ العقلية.

والرد على هذه الشبهة من أكثر من مائتين وأربعين وجهًا صحيحًا، ذكرها برمتها العلامةُ الإمام شيخ الإسلام ابن القيم ـ طيب الله ثراه ـ في كتابه: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة[(١)]، وسبقه في إبطال هذه الشبهة شيخُهُ شيخُ الإسلامِ العلامةُ الإمامُ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتابه العظيم: درء تعارض العقل والنقل، وإليك بعضُ الأوجهِ التي تَبطلُ بِهَا هذهِ الشبهة:

---

(١) **انظر:** الصواعق المرسلة [٣/ ٧٩٦].[٤/ ١٥٣٦].

١ - لا منافاة بين النقل والعقل

إن الناظر ـ بعينِ الإنصافِ ـ في أحكام الشريعة الغراء، المتأملَ في مقاصدها وثمارها؛ ليتقين تيقنًا تامًا أَن أحكامَها موافقةٌ للعقولِ السليمةِ وللفطرِ المستقيمةِ، وأنها منزلة من حكيم خبير، لا يأتيها الباطلُ من بَينِ يديْها ولا من خلفها، ولكن كما قيل: من جهل شيئا عاداه، وقيل أيضا:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَيْنٌ صَحِيحَةٌ　　فَلَا غَرْوَ أَنْ يَرْتَابَ وَالصُّبْحُ

وقيل أيضا:

وَمَا عَلَى الْعَنْبَرِ الْفَوَاحِ مِنْ　　أَنْ مَاتَ مِنْ شَمِّهِ الزَّبَّالُ

ولما كانت الأحكام الشرعية تُوافِقُ فِطَرَ الناس ـ التي فُطِروا عليها ـ سَعَى أعداءُ الإسلامِ إلى إِفسادِ الفطر عن طريقِ بَثِّ الرَّذَائِلِ وطَمْسِ الفَضَائِلِ ـ عبر وسائل التواصل الاجتماعي ونحوه ـ فصار الشَّرُ فِي أوجُهِ الناظِرينَ إِليهِ خَيْرًا، والمنكرُ معروفًا، والقبيحُ حسنًا، والعُهْرُ حُريةً وطلاقة، فانسلخَ هؤلاء مِنَ الفطرة الصحيحة انسلاخا تامًا، ثم إذا عرضوا مَا جَاءَ بِهِ الدينُ مِنَ البِرِّ والخير والإحسانِ على فِطَرِهِم؛ وجدوها تَأْبَاهُ ـ لَا لِخَلَلٍ فِيهِ ـ وإنما لأن طِيبَه ينافي خُبْثَهُم ـ فلا وِفَاقَ وَلَا اتِّفَاقَ ـ؛ لأَنَّ الفطرَ إِذَا كانت مَنْكُوسَةً ـ عِيَاذًا بِاللهِ ـ انقلبتْ مَوَازِينُهَا، وَصَارَتْ تَرَى المعروفَ مُنْكَرًا، وَالعِلْمَ جَهْلًا، وَالعَدْلَ ظُلْمًا؛ فَإِذَا صَارَتْ تِلْكَ المجتمعاتُ على هذهِ الحَالَةِ مِنَ النَجَاسَةِ وَالرَّدَاءَةِ وَالرَّذَالَةِ كانتِ النتيجةُ كَمَا أَجَابَ قَومُ لُوطٍ لُوطًا: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [سُورَةُ النَّمْلِ: ٥٦].

وإنَّ خَيرَ بُرْهانٍ وَأعظمَ بَيانٍ لِإِيضَاحِ أَنَّ شَرِيعَةَ الرَّحمنِ تُوَافِقُ العقلَ وَلَا تُفَارِقُهُ: هُو تَصُوُّرُ وُجودِ مُجتمعٍ مجردٍ عَنِ الأَحْكامِ السَّمَاويةِ وَالقوانينَ الربانية، فلا قطعَ لِيَدِ سارقٍ، ولا قَتْلَ لقاتلٍ، وَلَا عَدْلَ ولا مساواةَ بينَ طَبَقَاتِ المجتمع، ولا حقوقَ للآباءِ على الأبناء، وللأبناء على الآباء، ولا للرجالِ عَلَى النِّسَاء، وللنساء على الرجال، ثُمَّ أَضِفْ إلى ذلكَ انعدامَ الأَحْكامِ الأسريةِ مِنْ زواج وطلاق وخلع وفسخ، والأحكامِ التعامليةِ مِنْ بيع وإجارة وتمليك وإعارة وغيرِها، وَزِدِ الطِّينَ بِلَّةً وَالمَرَضَ عِلَّةً بالسماح بالخمور المُذْهِبَة للعقولِ، وانتشارٍ للدعارة، ونشرٍ للزنى من أوسع أبوابه، وعدمِ تحريمِ المحارمِ؛ بأن يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهَ أَو أُخْتَهُ أو عمتَه أو خالتَه أو ابنتَه؛ فتسفكُ الدماءَ، وتُهتَكُ الأعراضُ، وتُغتصبُ الأموالُ، وَتَختَلِطُ الأَنسابُ، وتَتَشَتَّتُ الأسرُ، وتَضِيعُ الأخلاقُ، وَيَنتشرُ الظُّلْمُ، ويأكلُ القويُ الضعيفَ، والغنيُ الفقيرَ!

كيف سَيستطيعُ الفردُ أَن يَعيشَ فِي مُجتمعٍ هذا حاله لا يقاد قاتله ولا يحد سارقه ولا تنضبط أحواله، وليس له مبدأ صحيح يسير عليه؟

وهذا الحال هو الحاصل عند أعداء الإسلام الذين يتباهى بهم البخيتي في أغلب مقالاته، فهو يتقن جيدا فن التعمية، ولا يَرى العيب إلا في دين الإسلام، وأما في الأديان الأخرى فأَعْمَتْ عينَه الأموالُ.

وسنذكر لك ـ بعْدُ ـ بأدلةٍ موثقةٍ الفضائحَ الغربيةَ والكوارثَ الإنسانيةَ التي تعاني منها دولُ الغرب، وتشكو إلى العالَمِ عدمَ قدرتها واستطاعتها على ضَبْطِها

وإنهائِها، ومِنْ هُنَا يَتبينُ أَنَّهُ لا صلاحَ للمجتمعات إلا بنظام متزن تسير عليه، مِن عليم حكيم خبير.

ولَمَّا كانَ مِن المعلوم أيضًا عِندَ جميعِ طوائف البشرية إلا شواذ الخلق أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ونَظَمَهَا . بغير عَمَدٍ ترونها . ويمسكهما أَن تزولا، ولئِنْ زَالتَا إِن أمْسكهما مِن أحد مِن بعده، وأن خلْق السماوات والأرض أكبرُ مِن خَلقِ الناس، ومعَ ذلك جعلَ اللهُ لهذهِ الجماداتِ نظامًا تسيرُ عليه؛ فهل يكون القول بأنه خلق البشرية بدونِ تشريع حكيم ونظام سليم تسير عليه مما يتجرأُ عاقلٌ أَن يَنطقَ بِهِ؟

إنَّ هذا لهو غاية الطعن في عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ لوِ اجتمعَ مَن فِي الأرض ومَن في السماء على أن يجعلوا للعالم نظامًا صحيحًا منضبطًا متزنًا محكمًا لجميعِ الأزمنة والأمكنة فلن يستطيعوا . ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرا . فأنى لفيلسوف . لم يَتحققْ مِن وجودِهِ بعدُ . أن يصنعَ للعالم نظامًا يسيرون عليه؟

وإِنَّ مِثْلَ هذه المعتقداتِ العجفاءِ لتأباها العقول السليمةُ فضلا عَن النقول الصحيحة، فهي مِمّا تخالف العقلَ مخالفة صحيحة صريحة، فهي معتقداتٌ بانَ زيفُها وسخفُها وبطلانُها بالنقل والعقل والبرهان والتجربة.

وعودةً إِلى المقصود نقول: إِنَّ إثباتَ حُكمٍ لقضية كليةٍ إثباتٌ له في جميع صورها وأفرادها، فإذا رفع الملحدُ العلماني هذه التهمةَ العائلةَ على الإسلام أَنَّهُ

يخالفُ العقلَ قلنا له بكل بساطة ووضوح أَرِنَا صورةً واحدةً مِن الأحكام التي تخالفُ العقل، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١١١].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، ولا يأتي بخلافه، ومن تأمل ذلك فيما ينازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد ما خالفت النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للنقل! فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد تجد ما يدل عليه صريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يخالفه إما أن يكون حديثا موضوعا أو لا تكون دلالته مخالفة لما دل عليه العقل.

ونحن نعلم قطعا أن الرسل لا يخبرون بمحال العقول وإن أخبروا بمحارات العقول فلا يخبرون بما يحيله العقل وإن أخبروا بما يحار فيه العقل ولا يستقل بمعرفته ومن تأمل أدلة نفاة الصفات والأفعال والقدر والحكمة والمعاد وأعطاها حقها من النظر العقلي علم بالعقل فسادها وثبوت نقيضها ولله الحمد(١).

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوجه العشرون: أنه لا يعلم آية من كتاب الله ولا نص صحيح عن رسول الله في باب أصول الدين اجتمعت الأمة على خلافه، وغاية ما يقدر اختلاف الأمة في القول بموجبه، ومَن له خبرة بمذاهب الناس وأقوال

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٢٩.٨٣٠).

السلف يعلم قطعا أن الأمة اجتمعت على القول به قبل ظهور المخالف، كما اجتمعت بأن الله مستو على عرشه فوق سماواته، وأن المؤمنين يرونه عيانا بالأبصار مِن فوقهم في الجنة، وأنه سبحانه كلم نبيَه مُوسى مِنهُ إِليهِ بِلا واسطة تكليما سمع به كلامه، ولم يشك أنه هو الذي كان يكلمه.

وأنه كتب مقادير الخلائق وقدرها قبل أن يخلقهم، وأنه علم مَا هُم عاملوه قبل أن يعملوه، وأنه يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويضحك ويفرح وأن له وجها ويدين.

فهذا إجماع معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والحديث، فالعقل الذي يعارض هذا لَم تجمع عليه الأمة، ولَم يعرف عَن رجل واحد مِن السلف والأئمة أنه قاله، وغايته أن يكون عقل فرقة مِن الفرق اشتقت لأنفسها مذهبا وادعت له معقولا، فلما صالت عليها نصوص الوحي التجأت إلى العقل وادعت أنه يخالفها وصَدَقَتْ وكَذَبَتْ؛ أما صدقها فإن نصوص الوحي تخالف معقولها هِي، وذلك من أدل دليل على فساده في نفسه؛ إذ شهدت له نصوص الوحي بالبطلان.

وأما كذبها فزعمها أن نصوص الوحي تخالف العقل المتفق عليه بين العقلاء، فهذا لم يقع ولا يقع ما دامت السماءُ سماءً والأرضُ أرضًا، بل تزول السماءُ والأرضُ وهذا لا يكون فأيُ ذنبٍ للنصوص إذا خالفت عقول بعض

الناس فقد وافقت عقول أصح الناس عقلا ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨٩][(١)].

وفي الحقيقة إنما ألقى الفلاسفة هذا الاتهام على نصوص الشريعة الغراء؛ لجهلهم بها وبُعدهم عنها، وإلا لو أنهم نظروا في أحكام الله عَزَّوَجَلَّ.نظر إنصاف . لعلموا أنها هي الحق الموافق للعقل.

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٣٣.٨٣٤).

٢ - عقل مَن المعيار فإنها تتفاوت؟

إِنَّ القولَ بجعْل العقل ميزانا لما يمتنع ويصلح، ومعيارا لما يحسن ويقبح قولٌ سوفسطائي إيهامي لا حقيقة له سوى الضحكِ على عقول الناس، والتحكمِ في إنشاء الأنظمة الشخصية الفردية التي تقوم على مصالح طائفة معينة، ولو على حساب عقول الآخرين ومصالحهم، فإن العقل المطلق لا حقيقة له، بل لا وجود له إلا في الخيال، ولا يوجد العقل في الخارج أي: في.الواقع.إلا محصورا مقيدا بشخص، فلا يوجد العقل في الواقع جرمًا أو جسمًا محسوسًا ملموسًا ينفرد بوجوده بل يكون تابعا لجسم الكائن الحي الذي ركب فيه، فيقال عقلُ زيدٍ أو عقلُ محمدٍ أو عقلُ عليٍ أو عقلُ خالدٍ ونحوها، فينبني على هذا أنَّ العقول متباينة مختلفة متفاوتة باختلاف الأشخاص الذين تضاف إليهم، وقد يَرى عقلُ رجل مِنَ الناس الشيءَ صوابًا حقًا لا ريبَ فيه، ويراه عقلُ رجلٍ آخرَ خطأً باطلًا لا صوابَ فيه...

بل إِنَّ العقلَ الواحد قد يتفاوت في حُكْمِهِ على الشيء الواحد فيرى الشخصُ الشيءَ اليوم حقًا وغدًا باطلًا والعكس، ودليل هذا أَنَّ البخيتي كان يَرى الإلحاد بالأمس شرا وباطلا، واليومَ يراه حقا صوابا مِن ضروريات الحياة، وكان بالأمس يرى الإسلام دينا سماويا لا مرية فيه ولا فرية، ثم أصبحتِ اليومَ علاقتُه معَ الإسلام كعلاقتي مع الإلحاد، وهذا مما لا يكابر فيه أحد، أعني: أن العقل قد يناقض نفسه في الحكم على الأشياء نفيا وإيجابا وتحسينا وتقبيحا، فإذا تقرر

هذا، أي: أن العقول مختلفة متفاوتة، فعقل من المعيار؟ فعقل مَنِ المعيار؛ فإن العقول تتفاوت؟ وبأي أحقية تُعطى أهلية التشريع والتحسين والتقبيح لعقل فرد مِنَ الأفراد؟ خاصة إذا خالفه أكثر عقلاء العالم!!

ولنضرب على ذلك مثالا بعقل علي البخيتي. إنْ ثبت له عقل. فهو يُجيز الخمر ويبيحه، وعقول ملايين بل مليارات مَنْ يسكنون الكرةَ الأرضية يحرمونه بما في ذلك جميعُ المسلمين وبعض مَن ينتسب إلى اليهودية والنصرانية والبوذية وغيرها مِن مِلَلِ العالم!

وكذلك أيضا عقول الفلاسفة ومَن شابههم تنفي وجود النبوات على معناها الحقيقي وعقول المليين[1] جميعًا تثبتها، معَ أن أهل الملل هم أغلب سكان الأرض وعمارها، فهنا يأتي السؤال الذي يطرح نفسه ويحتاج إلى جواب، وهو: عقل من المعيار؟ أَوَيُوضَعُ عقل البخيتي الذي غُطِّيَ بسكرة الخمر ميزانا لكلام أزكى النفوس وأطهرها محمد بن عبد الله؟ أَفَيَظُنُّ البخيتي أَنَّنَا سنعرض عليه ديننا حتى يُرِيَنَا صوابَه مِن خطئِه وحَقَّهُ مِنْ بَاطِلِه؟ لقد بَلَغَتْ بالبخيتي الوقاحةُ غايتَهَا! وما هذا إلا للبعد عن العقل السليم والمنطق القويم، وقبل هذا كله البعد عن الصراط المستقيم.

(١) أي: المنتسبين إلى الملل.

والإنسان إذا لم يتكلم بلغة الشرع والعقل والمنطق لم يحجزه عقله عن الإتيان بالمستحيلات والمتناقضات بل واللاموجودات، مع الانتصار لها والدفاع عنها بلباقة كلام وحسن تعبير ينفق على المولعين بكل جديد...

٣ - الحاجة تنافي التدبير

مِنَ الأمور المعتبرة المقررة عند جميع العقلاء أن العقل عاجز عن تصور الأشياء ومعرفتها تصورا استقلاليا، وأنه لا سبيل له إليها إلا بواسطة الحواس الخمس مِن سمع و بصر وشَمٍّ ولمسٍ وتذوق، ومِنَ المعلوم أيضا أن الحواس قد تخطئ أحيانا؛ فقد ترى العينُ شخصًا وتظنه حجرا أو العكس، وهذه مِن الأمور التي لا تحتاج إلى تقرير، فمعرفة العقل لما يجري حولَه متوقفة على غيره، والمعرفةُ تنعدم بانعدام هذا الغير، فإذا انعدم السمعُ أو البصرُ انعدم نوع من أنواع إدراكات العقل وصار قاصرا ناقصا، ثم إذا انعدمت هذه الحواس بأجمعها استوى وجودُ العقل وعدمُه، وأصبح عاجزا عن إدراك المعلومات التي تجري مِن حوله.

وهذا القصورُ والعجزُ والاحتياجُ والافتقارُ يُنافِي جَعْلَ العقلِ حاكما على الشرع؛ لأن الخطأَ لَهُ إلى العقل سبيلٌ، وليس له سبيلٌ إلى الشرع؛ لأن الذي وضعَ الشرعَ هو خالق العقل، ثم متى كان العقلُ مصدرا للمعلومات يا بخيتي؟ لولا أن أمك قالتْ لك: إن هذا أبوك، وظلت تلقنك وأنت صغير أنه أبوك لما عرفته بمجرد عقلك!

وأسألك سؤالا كيف أَثْبَتَّ أَنَّ هنالك مفكرين وعباقرة؟ هل عقلك اكتشفهم؟ أم قرأت عنهم وسمعت؟ إذا فعقلك وعقل كل أحد لا يمكن أن يثبتَ شيئًا إلا بِعِلْمٍ مُسْبَقٍ، ولهذا وجودُ أولِ مخلوقٍ مِن الإنس على الأرض كوجود

آخرهم يخرج إلى الدنيا لا يعلم شيئا من الأشياء التي تدور حوله وتجري بجانبه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٧٨]، فالله بعد أن خلق الإنسان تفضل عليه بأن أعطاه العقل، أثم بعد أن أعطاه العقل يجعل العبد عقله الذي هو هبة من الله حاكما عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ وأبونا آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ علمه لما تعلم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٣١-٣٣]، ولو لم تسأل أمَّك ومَنْ حولك. وأنت طفل. عن الشمس ما عرفت أن اسمها شمس، وعن السحاب لما عرفت أن اسمها سحاب، فإذا تقرر هذا أي أن العقل محتاج إلى غيره مفتقر إليه فكيف يستحق العقل أن يكون مشرعا مدبرا، والحاجة تنافي التشريع والتدبير؟

٤ ـ التناقض ينافي التشريع

لا شك ولا ريب أن مَن يكون مشرعًا لا أقول لأسرة أو جماعة بل لأُمَّة بأسرها في جميع أزمنتها وأمكنتها لا بد وأن يكون متفقا مؤتلفا حكيما في جميع أحكامه وقوانينه، فلا يسوي بين مختلفين، ولا يفرق بين متماثلين، بل يكون تشريعُه متكاملًا متزنًا في جميع جوانبه، ويكون ذلك التشريعُ صالحًا لجميعِ طبقات المجتمع، شاملا لمعاملاتهم اليومية على اختلاف صورها وتنوع أجناسها تجارية، سياسية، أمنية، اقتصادية، أسرية، وغيرها، فيُعطي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، ويحل مَا فيه صلاحٌ لأحوالِ المجتمع، ويُحرمُ مَا فيه فسادٌ لأحوال المجتمع، وأَضِفْ إلى هَذا ألا يكون المشرعُ مُتَنَاقِضًا كأن يحرمَ شيئًا ينفَعُهُم، أو يُحِلُّ شيئًا يَضُرُّهُم، وهذه أمورٌ واضحةٌ ظاهرةٌ عِندَ جميعِ العقلاء؛ لأن الخطأ يودي بفسادِ شخصٍ بعينه، بل يودِي بفساد أمَّة بأسرها، بل وبفساد العالم، فَتَعُمُّ الفوضى، وتنتشرُ البَلوى، ويَختلُ نظامُ البشرية.

فوجود التَنَاقضِ فِي الشِيءِ يُنافي صلاحيةَ كَونِهِ مُشرعًا تَصدرُ مِنْه أحكامٌ يَسيرُ عَليها الناسُ، ولو نَظرْنَا إِلى العقل لوجدناه لا يخرج عن أمرين اثنين:

إما ألا يكون متناقضًا بوجه مِنَ الوجوه، فيجوز حينئذ ـ تَنَزُّلًا ـ ولا يجب: جَعْلُهُ مُشَرِّعًا صحيحًا بِغَضِّ الطَرْفِ عَنِ الموانع الأخرى، وإما أن يكون متناقضًا يَرَى الشيءَ اليومَ حقًا وغدًا باطلًا، ويَرَاه اليومَ حَرَامًا وغدًا حلالًا، فهنا لا يكون

العقلُ متأهلًا لأَنْ يَحْكُمَ البشريةَ، وأن يخضعها لأحكامِهِ وَقَوَانِينِهِ، والأولُ ممتنعٌ بداهةً، والثاني متعينٌ، فبطل مِن هذا الوجهِ جَعلُ العقلِ مشرعًا.

ولِكَي أُوقعَ عليًا البُخيتي فِي مَوْقِفٍ مُحْرِجٍ أمام الجماهير. إذا أراد أن يُنكر مثل هذا الكلام. أذكرُ لَهُ مثالين أو ثلاثة تُثبِتُ تناقض العقل مِن كلامه هو بنفسه مع ادعائه كمالَ عقله وقوةَ ذكائه، وإزرائِه بغيره ممن يخالفه، وإليك الأمثلة الآتية:

١ . قال علي البخيتي: والله أني استحي مِن نفسي على السنوات التي ضل عقلي يشتغل وفقاً لمنظومة قديمة جداً.

وهذه كما أنه قد جاز للعقل أن يشتغل بالأمس على منظومة قديمة جدا فكذلك نفس الاحتمال وارد على طريقة اشتغال العقل اليوم، وقد يأتي الغد ليكشف أن عقل البخيتي اليوم كان يشتغل على طريقة قديمة جدا.

ونفهم من هذا أن البخيتي ليس له مبدأٌ يسير عليه حتى تنتظم له حياته، فهو في كل حين في تقلبات واضطرابات.

٢ . قال علي البخيتي: رسول الله الوحيد لبني البشر هو العقل لا سواه، وقال علي البخيتي . ردا على علي البخيتي . وهو يتكلم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صادق أمين، وقال: النبي محمد، وقال: والنبي محمد اعتقد فعًلا أنه مبعوث من الله.

٣. قال علي البخيتي. في سياق ذمه للإسلام.: والذي أدى لكل هذه الكوارث والحروب والصرعات(١) والفتن والإرهاب، ما تسبب في دمار بلداننا وإسقاط دولنا وتشريد وتجويع شعوبنا في اليمن وسوريا والعرق وليبيا وبلدان أخرى كثيرة.

ثم رد علي البخيتي على علي البخيتي فقال يمدح الإسلام: الإسلام عظيم، كلنا مسلمون.

فهذا التناقض ينافي جعل العقل مشرعا وواضعا لأنظمة متزنة يسير عليها الناس، ولهذا عندما قرر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صحة نسبة القرآن إليه وعدم نسبته إلى البشر، استدل بعدم وجود التناقض والاختلاف؛ إذ أن التناقض ينافي التشريع، وهو. أي: التناقض. مِن سمات المخلوق دون الخالق، فلهذا قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :٨٢]، وقال تعالى لكفار قريش: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ :٨-٩].

فإن قال قائل: إن المبادئ التي سيتم وضعها والاستغناء بها عن الشرع ستكون بموافقة كافة علماء العالم الغربي!!

---

(١) صوابها: (والصراعات) والعجب أن البخيتي لم يحسن القواعد الإملائية بعدُ، ثم يأتي ليتطاول على قواعد الشريعة الغراء.

قلنا: إذا كان الغرب يرفض أن يتقيد بمبادئ الشريعة الإسلامية التي يوافق عليها جميع علماء العالم الإسلامي فبأي حق يوجب على غيره أن يتقيد بمبادئه وأفكاره التي يُجمع عليها علماؤه؟

ثم إن الغرب يصدرون قوانينهم على حسب هوى النفوس، وما يوافق مصالح البيت الأبيض ليس إلا، وما كان عن هوى فهو أشبه بالهواء، وأيضا فاحتمال الخطأ إلى العقل وارد، والقاعدة المعروفة: أن وجود الاحتمال يبطل الاستدلال، فإذا كان احتمال الخطأ متطرقا إلى العقل فهذا دليل على عدم صحة جعله مشرعا ومقننا؛ لأنه وإن أصاب في موضع فقد يخطئ في مواضع شتى، بخلاف الشرع فإنه منزه عن ذلك كله.

ولهذا تجد علماء الغرب فضلا عن جهلتهم من الملاحدة الضُّلال يُجْمِعُونَ بالأمس على صحة عدة نظيرات ثم نفس أولئك العلماء أو من جاء بعدهم يجمعون على صحة نقيضها، وكم مِنَ النظريات التي كان بالأمس مَن أنكرها حُكم عليه بالإعدام أو التهجين، وأصبحتْ اليومَ أساطيرَ وخرافاتٍ؟! ومِنَ الأمثلة على ذلك ما يلي:

١. كان يرى أرسطو أن الأرض هي مركز الكون، وفي عام ١٦١٦م تبين للفلكي جاليلو جاليلي أن أرسطو أخطأ، وأن الصواب هو: أن الشمس هي مركز الكون، وبالمناسبة حكمتْ محكمة بورما على جاليلو بالإحراق حيا؛ لمخالفته

لتعاليم أرسطو إلا أنه رجع عن قوله داخل المحكمة خوفا على نفسه، فلما خرج ركض برجله الأرض قائلا: ولكنها تدور...

٢. كان أرسطو يقرر نظرية النشوء التلقائي تبعا للفلاسفة الطبائعيين الذين لا يؤمنون بأن منشأ الموجودات هو خلق الله لها، ومعنى هذه النظرية هو نشأة الحياة مِنَ الجماد، ولكن لسوء الحظ أصبحت هذه النظرية اليوم مِنَ الخرافات الأرسطوية التي عفا عليها الزمان وأثبت الباحث لويس باستور بطلانها.

٣. نظرية السجل الفارغ أو . بالأصح . نفي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وجَعْلُ العقل كالسجل الفارغ الذي يملأه صاحبه مِن خلال تجاربه وأعماله، وهذه كأختيها مما دافع عنه أرسطو كما تدل عليه أعماله وكذلك أيضا ممن دافع عن هذه النظرية أفكار سيجموند فرويد وأيضا الفيلسوف جون لوك ثم في الأخير ظهر بطلان هذه النظرية وآمن الغرب بخطئها.

٤. علم فراسة الدماغ: ومعناه دراسة شكل الجمجمة وحجمها للتعرف على سماتها وقدراتها، وقد أصبح هذا العلم اليوم جهلا بعد أن كان عند الغرب . وأَخُصُّ الفلاسفةَ . علما.

٥. الأثير الناقل للضوء: كان الغرب القديم يعتقد أن الأثير مادة غامضة تقوم بنقل الضوء عبر الكون ثم صار الغرب الجديد يقرر اليوم نقيض هذه النظرية وأن هذا الأثير لا وجود له.

٦.كون إنشتاين الثابت: في عام ١٩١٧م وضع إنشتاين نظرية الكون الثابت، ثم بعده بسنين تبين وهم العالم الفيزيائي إنشتاين بنظرية الكون المتمدد لأدوين هابل.

٧. قنوات المريخ: اعتقد بعض علماء الغرب في القرن التاسع عشر وجود قنوات وأودية وأخاديد في كوكب المريخ، ثم تبين فيما بعد أنها لا توجد وأن سبب الخطأ هو الوهم البصري.

٨. الأرض المتوسعة: افترضت هذه النظرية أن الموقع والحركة النسبية للقارات تعتمد على زيادة حجم الأرض ثم تبين وهم هذه النظرية وأن الأرض هي الأرض لا تتوسع ولا تتقلص.

٩. كوكب فولكان: هو كوكب صغير حظي بفخر اكتشافه عالم الرياضيات الفرنسي (Urbain jean) ثم للأسف زال فخر الاكتشاف لأنه تبين أن كوكب فولكان الصغير الذي اكتشفه عالم الرياضيات الفرنسي (Urbain jean) لا وجود له.

١٠. نظرية الانصهار البارد: لفليشمان وبونس، تبين خطؤها وأدرجت في قائمة الخرافات.

١١. نظرية فولجستن: التي افترضها العالم الفيزيائي جوهان سنة ١٦٦٧م تبعت نظرية الانصهار[(١)].

وعلى كلٍّ سردُ النظريات التي أجمع عليها علماء العالم الغربي ثم أجمعوا بعدُ على نقيضها يحتاج إلى بحث مستقل، ولست فلكيا أو فيزيائيا حتى أقرر الأصوب مِن المتناقضين مِن هذه النظريات.

وهذه النظريات وغيرها أشبه بقَصَصِ بني إسرائيل التي جعل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحكمَ عليها مبنيا على عرضها على الشرع[(٢)]، ثم بعد ذلك تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أولاها: ما وافق الشرع فيُقبل، ثانيها: ما خالف الشرع فيُرد، ثالثها: ما لم يرد في الشرع موافقتُه ولا مخالفتُه. ولم يثبت ثبوتا يقينيا ما يدل على صحتها أو بطلانها. فيتوقف فيها ولا يجازف بإنكارها أو بقبولها؛ لأنها. كما سبق . في أخذ وَرَدٍّ بين أهلها المتبنين لها، وهذا. في نظري. هو أحسن أحوالها، وهو مقتضى العدل والإنصاف، وكوننا نتوقف فيما لم يرد فيه مخالفة أو موافقة في

(١) نقلا مع الاختصار من بحث وضع في موقع (الباحثون المسلمون) على الفيس بوك وغيره.

(٢) كما في البخاري (٦/ ٢٠، ح: ٤٤٨٥)، (٩/ ١١١، ح: ٧٣٦٢)، (٩/ ١٥٧، ح: ٧٥٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ﴾ [البقرة: ١٣٦]** »، **الآيَةَ**.

شرعنا لعلة ألا يتضمن حقا فنرده أو باطلا فنقبله، ثم ستظهرها الأيام والأعوام، قال صاحب كتاب الإجماع في العلم الطبيعي[(١)]:

... وعلى ذكر الغرابة فمالي لا أحدثكم عن حادثة اكتشاف الفيزيائي رينيه بلوندلو. العضو المبرز في أكاديمية العلوم الفرنسية. لأشعة (N-rays)؟! وذلك أثناء دراسته لطبيعة أشعة (N-rays) وقام عدد من الفيزيائيين الفرنسيين بتكرار التجربة، وجميعهم أكد صدق الاكتشاف، حتى أن بعض الفيزيائيين ادعى أسبقيته في الاكتشاف، وحصل رينيه على جائزة تقديرية من أكاديمية العلوم الفرنسية سنة ١٩٠٤م عرفانا بأهمية الإنجاز!

الشاهد على الغرابة ما اتضح فيما بعد أن أشعة (N-rays) ليس لها وجود أصلا، وأنها ليست إلا وهما توهمه جميع الفيزيائيين الذين أجروا تلك التجربة، يقول جين روستاند: الجزء المدهش في الموضوع هو العدد غير الاعتيادي للعلماء الذين خدعوا، إن هؤلاء الرجال لم يكونوا علماء مزيفين أو مشعوذين أو حالمين ولا قريبا من هذا، وإنما كانوا بحق رجال علم محايدين محترمين متمرسين على الطريقة المعملية، رجالا بعقول رزينة وحس سليم، بلغوا هذه الدرجة بإنجازاتهم كأساتذة جامعيين واستشاريين ومحاضرين .

---

(١) (٩٠، ٩١).

يقول ألفن بلانتيجا: وبالطبع فنحن جميعا نعلم عن النظريات العلمية التي حظيت في وقت ما بالإجماع ثم نبذت، مثل نظرية السيال الحراري، والنظريات التساقطية (theories Effluvial) في الكهرباء والمغناطيسية، والنظريات المتعلقة بوجود اللاهوب (Phlogiston)، والقوى الحيوية في علم وظائف الأعضاء، ونظريات التولد التلقائي للحياة، والأثير الناقل للضوء... إلخ

والمقصود من ذكر هذه التناقضات يتلخص في هذه النقاط:

أ. إذا كان علماء الغرب سواء كانوا من علماء الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء ونحوها يغلطون في العلم الذي ينتسبون إليه مع قوة ذكائهم وكمال عقولهم. في نظر الغرب. فكيف بمن دونهم مِنَ الملاحدة والعلمانيين الذين لم يبلغوا مِن العلم مبلغ أولئك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلى الغاية، وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات، ثُمَّ لَم يَصِلُوا فيها إلى معقول صريح يناقض الكتاب بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف بين الأحزاب، فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات؟[١].

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٩).

ب. إذا كان الخطأ متطرقا إلى علوم هؤلاء الحسية والتجريبية التي برعوا فيها كالطب والفلك والفيزياء فكيف بالعلوم الإلٰهية التي ليس لهم فيها أدنى معرفة سوى التكذيب والإنكار بغير علم؟ فهم لم ينكروا أمورا علموا بطلانها، ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٣٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ... بل كل من كان عن الشرائع أبعد، كان اضطرابهم في عقلياتهم أكثر، كالفلاسفة فإن بينهم من الاختلاف في عقلياتهم - حتى في المنطق والهيئة والطبيعيات - ما لا يكاد يحصى، وكلامهم في الإلٰهيات قليل، وعلمهم بها ضعيف، ومسائلها عندهم يسيرة، وهي مع هذا عندهم لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، وأساطينهم معترفون بأنه لا سبيل لهم إلى اليقين فيها، وإنما يتكلمون فيها بالأَولى والأَخلق، وهم مع هذا متنازعون فيها أعظم من تنازع كل فرقة من مبتدعة أهل الملل في الأمور الإلٰهية(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، بل هم أعظم اختلافًا من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٤٢).

والفلسفة التي ذهب إليها الفارابي وابن سينا إنما هي فلسفة المشائين أتباع أرسطو صاحب التعاليم، وبينه وبين سلفه من النزاع والاختلاف ما يطول وصفه، ثم بين أتباعه من الخلاف ما يطول وصفه.

وأما سائر طوائف الفلاسفة، فلو حكي اختلافهم في علم الهيئة وحده لكان أعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف أهل القبلة، والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم، فإذا كان هذا اختلافهم فيه فكيف باختلافهم في الطبيعيات أو المنطق؟ فكيف بالإلٰهيات؟

واعتبر هذا بما ذكره أرباب المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية، كما نقله الأشعري عنهم في كتابه في مقالات غير الإسلاميين وما ذكره القاضي أبو بكر عنهم في كتابه الدقائق، فإن في ذلك من الخلاف عنهم أضعاف أضعاف ما ذكره الشهرستاني وأمثاله ممن يحكي مقالاتهم، فكلامهم في العلم الرياضي. الذي هو أصح علومهم العقلية. قد اختلفوا فيه اختلافاً لا يكاد يحصي، ونفس الكتاب الذي اتفق عليه جمهورهم. وهو كتاب المجسطي لبطليموس. فيه قضايا كثيرة لا يقوم عليها دليل صحيح، وفيه قضايا ينازعه غيره فيها، وفيه قضايا مبنية على أرصاد منقولة عن غيره تقبل الغلط والكذب.

وكذلك كلامهم في الطبيعيات في الجسم، وهل هو مركب من المادة والصورة، أو الأجزاء التي لا تنقسم، أو ليس بمركب لا مِن هذا ولا مِن هذا؟

وكثير من حذاق النظار حار في هذه المسائل، حتى أذكياء الطوائف كأبي الحسين البصري، وأبي المعالي الجويني، وأبي عبد الله بن الخطيب. حاروا في مسألة الجوهر الفرد، فتوقفوا فيها تارة، وإن كانوا قد يجزمون بها أخرى، فإن الواحد من هؤلاء تارة يجزم بالقولين المتناقضين في كتابين أو كتاب واحد، وتارة يحار فيها، مع دعواهم أن القول الذي يقولونه قطعي برهاني عقلي لا يحتمل النقيض.

وهذا كثير في مسائل الهيئة ونحوها من الرياضيات، وفي أحكام الجسم وغيره من الطبيعيات، فما الظن بالعلم الإلهي؟ وأساطين الفلسفة يزعمون أنهم لا يصلون فيه إلى اليقين، وإنما يتكلمون فيه بالأَولى والأحرى والأخلق.

وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة، بل وبالتصوف، الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى، كما أنشد الشهرستاني في أول كتابه لما قال: قد أشار إلى من إشارته غنم، وطاعته حتم، أن أجمع له من مشكلات الأصول، ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، لعمري[(١)]:

لَقَدْ طُفْتُ فِيْ تِلْكَ الْـمَـعَاهِدِ وَسَـيَّرْتُ طَرْفِيْ بَيْنَ تِلْكَ

---

(١) ورد عليه الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الر سول ومن والاه من كل عالم

فما حار من يُهدى بهدي محمد ولست تراه قارعا سن نادم

فَلَمْ أَرَ إِلَا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ، أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وأنشد أبو عبد الله الرازي في غير موضع من كتبه مثل كتاب أقسام الذات، لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم، وأنه ثلاثة مقامات العلم بالذات، والصفات، والأفعال، وعلى كل مقام عقدة، فعلم الذات عليه عقدة: هل الوجود هو الماهية أو زائد في الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة: هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة: هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها؟ ثم قال ومن الذي وصل إلى هذا الباب، أو ذاق من هذا الشراب؟ ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول سوى أن جمعنا فيه قيل

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أَقرأُ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سُورَةُ طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [سُورَةُ طه: ١١٠]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٦٥]، ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي.

وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة، وله أشعار في هذا الباب، كقوله:

فيك يا أغلوطة الفكر | حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول، فما | ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا | أنك المعروف بالنظر
كذبوا، إن الذي ذكروا | خارج عن قوة البشر

إلى أن قال ـ شيخ الإسلام ـ: وابن رشد الحفيد يقول في كتابه الذي صنفه رداً على أبي حامد في كتابه المسمى تهافت الفلاسفة فسماه تهافت التهافت، ومِن الذي قاله في الإلٰهيات ما يعتمد به، وأبو الحسن الآمدي في عامة كتبه هو واقف في المسائل الكبار، يزيف حجج الطوائف ويبقى حائراً واقفاً.

والخونجي المصنف في أسرار المنطق الذي سمى كتابه كشف الأسرار يقول لما حضره الموت: أموت ولم اعرف شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت ولم أعرف شيئاً، حكاه عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت.

ولهذا تجد أبا حامد ـ مع فرط ذكائه وتألهه، ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ـ ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري[(١)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٧ـ ١٦٢).

ج. في التناقض عموما دليل على أن القرءان كلام الله جَلَّ وَعَلَا؛ حيث أن القرءان يخبرنا عن تناقض المكذبين به إخبارا جازما كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [سُورَةُ قٓ:٥]، أي: مضطرب، وهكذا جرت سنة الباطل أنه لا يسير على وتيرة واحدة، بل هو دائما في اضطراب وتناقض فكل من ابتعد عن هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صار حاله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ :٧-٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :٨٢]، وكلما ازداد الإنسان بعدا عن هدى الله ازداد تناقضا واضطرابا.

د.تناقض هؤلاء واختلافهم دليل بَيِّنٌ على صحة نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث أن كلام البشر ممن كانوا قبله وممن جاءوا بعده. مجردا عن الوحي. في اضطراب بيِّنٍ، خاصة في الإلٰهيات والغيبيات، بينما لا يوجد في كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدنى تناقض أو اختلاف، حتى فيما يسمى بالعلوم الطبيعية كعلوم الفلك والطب ونحوها.

ولا يزال الغرب في انبهار من سابقية محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهم في هذا الباب، وكم أنكر الملاحدة من آيات وأحاديث صحت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كحديث الذباب[١] وحديث الصادق المصدوق[٢] وما جاء في انشقاق القمر وغير ذلك؟ ثم يأتي العلم الحديث موافقا للأحاديث النبوية والآيات الشرعية لا يتجاوزها قيد أنملة، فيرجع الملاحدة كعادتهم بخفي حنين.

هـ . إن نظريات الأمس كما أنها كانت عرضة للانتقاد ومحتملة للخطأ فكذلك نظريات اليوم هي عرضة للانتقاد من قبل نظريات الغد، وسبحان الله كيف أن هذه النظريات التي يُعطى أصحابها جائزات عظمى على اكتشافها تأتي أيام ثم يظهر خطؤها، وقد يحصل ذلك. أي: تبين الخطأ، وصاحبها الذي اكتشفها لا يزال محتفظا بجائزته المحظوظة على حائط الجدار، ثم تجد بعضهم يؤمن بنظريات الغرب وكأنها وحي من السماء منزل، وتجد أيضا مَن يحمل في مخه نعلا لا عقلا يُنكر ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْدَ أنه منذ أربعة عشر قرنا لم يتغير أو يتبدل أو يتناقض سواء في الإلهيات أو الأحكام أو النظم التي يسير عليها

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٣٠، ح: ٣٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، قال: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً**».

(٢) أخرجه البخاري (٤/١١١، ح: ٣٢٠٨)، ومسلم (٤/٢٠٣٦، ح: ٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ...**».

الناس أو الطبيعيات التي لم يكن يعلمها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا قومه قبل إعلام الله له.

وتجد الغربي يقضي سنينا وأعواما في البحث عن بعض ما هو في القرآن والسنة ثم بعد عناء كبير وجهد غير يسير يعرض ابتكاره للعالم فيتحصل على الأوسمة العالمية، بيد أن ما اكتشفه موجود في القرءان الكريم منذ أربعة عشر قرنا، بل بلغ الأمر أن قضى بعض علمائهم معظم حياته بحثا عن نظرية موجودة في القرءان، يعلمها معظم صبيان المسلمين، ولو قرأه لعلمها، كما في القصة المشهورة التي ذكرها وحيد الدين خان في كتابه: الإسلام يتحدى، وأترك الكلام له، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وسوف أختم هذا الباب بواقعة رواها العالم الهندي المغفور له[١] الدكتور عناية الله المشرقي، وهو يقول: كان ذلك يوم أحد من أيام سنة ١٩٠٩م، وكانت السماء تمطر بغزارة وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما، فإذا بي أرى الفلكي المشهور السير جيمس جينز . الأستاذ بجامعة كمبردج . ذاهبا إلى الكنيسة، والإنجيل والشمسية تحت إبطه، فدنوت منه وسلمت عليه فلم يرد علي، فسلمت

(١) أفتى الشيخ ابن عثيمين بجواز إطلاق هذه اللفظة إذا كان المقصود بها الدعاء دون الخبر كما في المناهي اللفظية صـ١١١.

عليه مرة أخرى، فسألني ماذا تريد مني؟ فقلت له: أمرين يا سيدي![1] الأول هو: أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة المطر! فابتسم السير جيمس وفتح شمسيته على الفور، فقلت له: وأما الأمر الآخر فهو: ما الذي يدفع رجلا ذائع الصيت في العالم . مثلك . أن يتوجه إلى الكنيسة؟ وأمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة ثم قال: عليك اليوم أن تأخذ شاي المساء عندي، وعندما وصلت إلى داره في المساء خرجت ليدي جيمس في تمام الساعة الرابعة بالضبط وأخبرتني أن السير جيمس ينتظرني. وعندما دخلت عليه في غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاي، وكان البروفيسور منهمكا في أفكاره، وعندما شعر بوجودي سألني: ماذا كان سؤالك؟ ودون أن ينتظر ردي بدأ يلقي محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ونظامها المدهش وأبعادها وفواصلها اللامتناهية وطرقها ومداراتها وجاذبيتها وطوفان أنوارها المذهلة حتي إنني شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله. وأما السير جيمس فوجدت شعر رأسه قائما والدموع تنهمر من عينيه ويداه ترتعدان من خشية الله، وتوقف فجأة ثم بدأ يقول: يا عناية الله! عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلٰهي، وعندما أركع أمام الله وأقول له: إنك لعظيم! أجد أن كل جزء

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه أحكام أهل الذمة (٣/ ١٣٢٢):

وأما أن يخاطب بسيدنا ومولانا ونحو ذلك فحرام قطعا وفي الحديث المرفوع: لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإن يكن سيدكم فقد أغضبتم ربكم.

من كياني يؤيدني في هذا الدعاء وأشعر بسكون وسعادة عظيمين، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين آلاف مرة أفهمت يا عناية الله خان، لماذا أذهب إلى الكنيسة؟

ويضيف العلامة عناية الله قائلا: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفانا في عقلي وقلت له: يا سيدي، لقد تأثرت جدا بالتفاصيل العلمية التي رويتموها لي وتذكرت بهذه المناسبة آية من آي كتابي المقدس، فلو سمحتم لي لقرأتها عليكم، فهز رأسه قائلا: بكل سرور، فقرأت عليه الآية التالية: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢٧-٢٨]، فصرخ السير جيمس قائلا: ماذا قلت؟ إنما يخشى الله من عباده العلماء؟! مدهش! وغريب وعجيب جدا !! إن الأمر الذي كشف عنه، دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة من أنبأ محمدا به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن، كتاب موحى من عند الله.

ويستطرد السير جيمس قائلا:

لقد كان محمد أميا ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر مدهش! وغريب وعجيب جدا(١).

---

(١) الإسلام يتحدى (١٧٩ـ ١٨١).

و. عدم الثقة العمياء بما عند الغرب..!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السابع: وهو: أن العقل لا يكون دليلا مستقلاً في تفاصيل الأمور الإلهية واليوم الآخر، فلا أقبل منه ما يدل عليه إن لم يصدقه الشرع ويوافقه، فإن الشرع قول المعصوم الذي لا يخطئ ولا يكذب، وخبر الصادق الذي لا يقول إلا حقاً، وأما آراء الرجال فكثيرة التهافت والتناقض، فأنا لا أثق برأيي وعقلي في هذه المطالب العالية الإلهية، ولا بخبر هؤلاء المختلفين المتناقضين الذين كل منهم يقول بعقله ما يعلم العقلاء أنه باطل، فما من هؤلاء أحد إلا وقد علمت أنه يقول بعقله ما يعلم أنه باطل، بخلاف الرسل، فإنهم معصومون، فأنا لا أقبل قول هؤلاء إن لم يزك قولَهم ذلك المعصومُ: خبر الصادق المصدوق.

ومعلوم أن هذا الكلام أولى بالصواب، وأليق بأولي الألباب، من معارضة أخبار الرسول، الذي علموا صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً، بما يعرض لهم من الآراء والمعقولات، التي هي في الغالب جهليات وضلالات.

فإنا في هذا المقام نتكلم معهم بطريق التنزل إليهم، كما نتنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ: ١٢٥]، وقوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٤٦]، وإلا فعلمنا ببطلان ما

يعارضون به القرآن والرسول، ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل. وإن جعلوه من المعقول بالبرهان. أعظم من أن يبسط في هذا المكان[١].

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/١٨٧.١٨٨).

٥- الحجة الوهمية للعقلانيين

لقد جَرَت عادة المنظرين لعقائدهم الناشرين لأفكارهم أن يدللوا لما يقولون وأن يحتجوا لما يعتقدون؛ لكي يستبين لكل من اطلع على تلك الأفكار صوابها من خطئها وحقها من باطلها، فالقول الحق حجته كالقمر ليلة البدر ليس دونه غياية، وإن كانت حجة واحدة فإنها كافية بالمقصود موفية بالمطلوب، والقول الباطل وإن تعددت حججه وأدلته فإن بيت العنكبوت أشد تماسكا منها.

ألا وإن مما ينبغي أن يُعرف ليحذر أن أهل الباطل بعد أن يقوموا بسفسطة أدلة أهل الحق لا بد وأن يسردوا لباطلهم حججا متعددة؛ لكي يستسيغها الناظر فيها، ويموهون على الناس بأن تلك الحجج تُعتبر كالشمس في وسط النهار وهم صادقون إذا جعلنا الشمس مثالا لها حال كسوفها؛ إذ أن النظر إليها مما يكون متعسرا أو متعذرا على جميع الناس، ويكون مدمرا للخلايا التي تساعد على حياة العين وعملها، وكذلك حججهم مَن نظر فيها ببصره دون بصيرته زاد تحيرا إلى تحيره وشكا إلى شكه؛ لأن الباطل يلزم منه لوازم باطلة، فيكون القائل بين حالتين اثنتين لا ثالث لهما، إما أن يلتزم الباطل ويقول به، وإما أن ينفي ذلك اللازم الباطل ونفيه نفي للملزوم، فيتم بنفي اللازم نفي الملزوم، وهو الاعتقاد الباطل الذي اعتقده أهله، فينقضون أصولهم بأنفسهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ويظهرون للعامة بالسفسطة الكلامية والتعمية الفلسفية أنهم على

الحق الذي لا شك فيه خاصة إذا استعمل العقلانيون الحجة التي لا يجوز مناقشتها ولا يصح أن يحتج بها غيرهم وهي: خالفتم العقل.

وقد عَلَّمَنَا رسولُنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن نستبين، وألا نحكم بمجرد الدعاوى، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ**» (١)، فلهذا إذا نعق العقلاني الملحد وقال: خالفتم العقل، قلنا بكل أريحية وثبات: اذكر وجه المخالفة؟

وَالْدَّعَاوَى مَا لَمْ يُقِيْمُوْا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ فَأَهْلُهَا أَدْعِيَاءُ

والإنسان إذا كان ذكيا فطنا ذا عقل صحيح فإنه لا تنطلي عليه مثل هذه الحجة الوهمية؛ لأنه لو كان اعتقاده الصحيح الذي اعتنقه ووافقه عليه أغلب العقلاء. إن لم نقل جميعهم. غير صحيح فأي عقل خالفه؟ وقد وافقه عليه أغلب عقول العالم بل وافقه عليه قبل ذلك كله شرع الله جَلَّ وَعَلَا؟

وعندما يقولون خالفتم العقل فإنهم لا يحترمون عقول الآخرين وكأنهم لا يرون إلا أنفسهم يحملون عقولا، وجمهور العالم بل كله يعيشون بدون عقل يحجزهم عن مخالفته؛ لأنه إذا كان ملايين بل مليارات مَن في هذا العالم يعتقدون اعتقادات تخالف العقل الذي يحمله العقلانيون. إن صح التعبير. إذن

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥، ح: ٤٥٥٢)، ومسلم (٣/ ١٣٣٦، ح: ١٧١١) عن ابن عباس رضي الله عنه.

لا عقل لهذا الكَمِّ الهائل مِنَ البشرية فهم كالبهائم العجماء التي لم يخلق الله لها عقولا، وإنما اختص الله هذه الشرذمة الذليلة والطائفة القليلة بأن أعطاهم عقولا يحتجون بها على غيرهم ويجعلونها ميزانا لما يصدر عن غيرهم مِنَ البشر، بل ولما يصدر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل وعن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وهذه هي حقيقة العقلانيين: تقديس ذواتهم والاستبداد بآرائهم وأنهم أصحاب العقول الصحيحة، وكل مَنْ في هذا العالم بأجمعه لا عقول لهم، وإذا رُفِضَتْ أفكارُهُم فالحجة المقدسة موجودة لا شك فيها ولا ريب وهي: خالفتم العقل. !!

وبالمعنى الأصح: خالفتم عقولنا. !!

٦ـ جَشَّمتموه الصعاب

لقد ظلم العقلانيون العقل! وأدخلوه فيما لم يستطِع استيعابه ومعرفته، وحملوه ما لم يطق، وكلفوه ما لم يكلفه به خالقه جَلَّوَعَلَا، والشيءُ إذا زاد عن حده انقلب ضده، وما تناقضات العقلانيين إلا نتيجة إدخالهم عقولهم فيما ليس لهم إلى معرفته سبيل ولا إلى الوصول إليه دليل، والحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولهذا لا يحكم العقل على الشيء حكما صحيحا إلا إذا تصوره تصورا تاما وفهمه فهما عاما ونظر في عواقبه وسبر عن مطالبه، وعلم ما هو العائد مِن فعله سلبا وإيجابا نفعا وضررا، وإذا أُدخل على العقل ما ليس واقعا في منظوره ولا داخلا في مقدوره حَكَمَ العقل حكما مستعجلا . بِغَضِّ النظر عن صحته . ليرضي صاحبَه الذي ظلمه وحمله ما ليس مِن محمولاته وجشمه الصعاب.

٧ ـ العقل معنا أم معكم؟!

إن مِنْ أعظم أخطاء التأريخ أن وَسَمَ هذه الكائنات الغريبة والمخلوقات العجيبة بالعقلانيين، ونلتمس للتأريخ عذرا بأنه وسمهم بالعقلانيين تفاؤلا لعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يتفضل عليهم بعقلٍ صحيحٍ مِن عنده، وهذا له نظائر في اللغة العربية فيقال للديغ سليمًا وللصحراء مفازةً مِنْ بابِ التفاؤل.

وقد ذكرت في الحجة الوهمية، أن حجتهم المزعومة: خالفتم العقل، لا حقيقة لها إلا الفرار عن المناقشات العقلية والنقلية، فإذا انتفى دليلهم صارت اعتقاداتهم عارية عن دليل مِن العقل أو النقل، وبقي هنا السؤال الذي يحتاج إلى جواب، هل العقل معنا أم معكم؟ أما كونُ العقلِ موافقا للنقل فواقع الشرع يقتضي ذلك، ومن ادعى المخالفة فهذه الآيات والأحاديث في متناول الجميع، أرونا ما تزعمون مخالفته للعقل، فواقع الإسلام وما جاء به من أحكام لا يخفى.

وهل حرم الإسلام الخمر والحشيشة والمخدرات والحبوب والسحر ونحوها إلا حفاظا على العقل؟ بل إِنَّ مِن مقاصدِ التشريع الخمسة الحفاظَ على العقل، وسنبين لك في العقل في الإسلام كيف أكرم الله العقل.

ولننظر جميعا إلى العقلانيين هل خالفوا العقل أم وافقوه؟ وهل حافظوا عليه أم ضيعوه؟ ولكي نكون على بصيرة في حكمنا عليهم لا بد أن ننظر في بِضَاعتهم المزجاة بل المنعدمة ونقارن بينها وبين العقل، هل هي مخالفة أم محالفة؟

أولا: لا شك ولا ريب ان الخمر عدو لدود للعقل بل هي مذهبة له بالكلية، فهل يا ترى سيقف العقلانيون مع العقل فيحرمونها دفاعا عن آلهتهم؟ وقياما معها؟ أم أنهم مستعدون أن يضحوا بعقولهم تضحية تامة ليشبعوا شهواتهم ورغباتهم؟!

لقد أوضح البخيتي أن الخمر أساس حياته التي يعيش عليها، وأصول معتقده التي يدعوا الناس إليها، ولهذا شن على الإسلام حربا ضروسا ضارية عندما حرم الخمرَ حفاظا على العقل!! وقام البخيتي مع الخمر. قومة الولد مع والده. يُعَيِّرُ مَنْ يحرمها ويهزئ بمن يمنعها وإن كان يترتب من ذلك كله إذهاب العقل الذي زعم البخيتي أنه إلهه الذي لا شريك له.

إن إباحة الخمر المذهبة للعقل مما لا يخالف العقل فحسب بل مما يلغيه، أفلا يستحيي البخيتي وأضرابه من دجلهم وافترائهم على الناس ودعاواهم الزائفة أنهم يحكمون العقل ويعظمونه ؟!.

ثانيا: إن مِن أعظم ما خالف البخيتي به العقل الذي يدعي. كذبا. أنه سيجعله معيارا لمنهجه الذي يسير عليه هو قوله بأن ملايين بل مليارات بل جميع مَن في الكون يستطيعون العيش بدون نظام للجميع يسيرون عليه ومنهج للكل ينتسبون إليه، وأن الصواب هو أن كلَّ رجل يجعل له منهجا مِن عقله سواء كان صوابا أو خطأ، وهذا يخالف العقل بلا خلاف بين الناس سوى البخيتي وشرذمته؛ إذ أن طبع الإنسان يدعوه إلى كراهية الانضباط وحب الفوضى والطيش، وقد يتجرأ

الإنسان على ما يضره بدافع الشهوة أو الغضب، فإذا تُرك الحبل على الغارب وفُتح الباب على مصراعيه سلك الناس مسالك شتى في شؤون حياتهم فبين مُشَرِّق ومُغَرِّب وهلم جرا، فتعم البلوى وتنتشر الفوضى ويختل نظام الحياة، والله المستعان.

فهذان مثالان وغيرهما كثير جدا يتضح لك بهما مدى جراءة البخيتي على الكذب والدجل واحتقار عقول الناس وكأنه يخاطب صبية لا عقول لهم، فنقول للبخيتي ومَن على شاكلته في الكفر والإلحاد: أمامك رجال عقولهم كالجبال رسوخًا، ولو ظللت تنعق بخرافاتك وهذرمتك إلى قيام الساعة لما وصلت إلى نتيجة مفيدة إلا أن تجد لبضاعتك رواجا عند أمثالك من الملاحدة الضُّلال الذين لا هَمَّ لهم سوى إشباع رغباتهم الجنسية الشهوانية والعيش على أنقاض الآخرين، وصدق مَن قال فأوجز:

وَمَنْ جَعَلَ الْغُرَابَ لَهُ دَلِيْلًا   يَمُرُّ بِهِ عَلَى جِيَفِ الْكِلَابِ

والعجب أن البخيتي المدمن للخمر الذي يزيل عقل مَن شربه في نفس الوقت يدعو إلى التفكير بالعقل والمحاكمة إليه، فبعقل مَن سيفكر؟ وإلى أي عقل سيرجع وقد غطى عقلَه سكرُه؟ ثم ما دام قد جعل كل شخص حرا يفعل ما يدله عليه عقله ويقول ما يمليه عليه فكره بدون قيد يحجزه، فلماذا ينتقد ويهاجم

أفكار المسلمين ويصفهم بالتخلف والرجعية؟ أليسوا ـ عنده ـ كغيرهم يعتقدون ما يشاؤون؟ أم أن حرية الفكر مباحة إلا على المسلمين؟[١]

أَحَرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

إن الإسلام لا يبالي بمن سقط؛ لأن حفظه ليس موكولا بالأشخاص، بل تكفل رب العالمين سبحانه أن يحفظه مِن أيادي العابثين ونوايا المفسدين، ولهذا يقف الإسلام في أوج ضعفه أمام أعدائه وهم في أوج قوتهم وقوفا راسخا كالجبل لا تضره الأعاصيف ولا تهزه الأقاصيف، كلما أشتد عداؤهم قوي وقوفه وعظم!! ولسان حاله ينادي فيقول:

وَمَا خُذُلٌ قَوْمِيْ فَأَخْضَعَ وَلَكِنْ إِذَا أَدْعُوْهُمُ فَهُمُ هُمُ

فنقول لعلي البخيتي وأمثاله: لا يغرنكم وصفكم بالعقلانيين فإنه اسم على غير مسمى، فلهذا ارحموا عقولكم، ولا تكلفوها ما لا تطيق، بإدخالها فيما ليس لها إليه مجال، وطلبها له من أعظم المحال، وإذا فكرتم ـ بإنصاف ـ وأنتم متجردين عن الأفكار التي غرسها الغرب في عقولكم، فستعلمون حينئذ على الحقيقة أن العقل معنا وليس معكم.

(١) وهذا الكلام أقوله تنزلا ومناقضة للخصم بأصله أما في حقيقة الأمر فليس لأحد أن يعتقد ما يشاء، ولو كان الأمر كذلك لما أنزل الله كتبه وأرسل رسله...

٨ ـ لَـمَّا حكم العقل

بأي عقل يريد هؤلاء أن يحكموا؟ وبأي مقياس ومنظار يريدون أن يفرضوا على العالم قوانين تخصهم؟ ولماذا لما حكم الإسلام استوت جميع طوائف البشرية ممن يعتنقون الإسلام وممن يصطلحون معه في حقن دمائهم وحفظ أموالهم وصون أعراضهم وأمن معيشتهم؟ ولم يوجد في دين الإسلام أي انحياز لفئة معينة لذاتها أو للونها أو تعنصر لجماعة محصورة بأهلها.

إن دين الإسلام لم يكن حرزا على القرشيين بل انتشر الخير في أرجاء الأرض، وكان الميزان في الإسلام هو صلاح العبد وتقواه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ :١٣]، ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو نبي الإسلام ورسول رب الأنام قال فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ**، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ**،

قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: **لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»[(١)] وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ**[(٢)] **الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**»[(٣)] وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٤]، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**»، رواه مسلم[(٤)]، وفي الصحيحين[(٥)] عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ

---

(١) **صحيح.**

رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٧٤، ح: ٢٣٤٨٩)، عن أبي نضرة عمن سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وصححه العلامة الألباني كما في الصحيحة (٦/ ٤٥٠).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٧): الجُعَلُ: حيوان مَعْرُوفٌ كالْخُنْفُسَاء.

(٣) **حسن.**

رواه أبو داود (٤/ ٣٣١، ح: ٥١١٦)، والترمذي (٥/ ٧٣٤، ح: ٣٩٥٥) واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وحسنه الألباني.

(٤) (١/ ١٩٢، ح: ٢٠٥)، وبنحوه عن أبي هريرة في البخاري (٦/ ١١١، ح: ٤٧٧١)، ومسلم (١/ ١٩٢، ح: ٢٠٦)

(٥) البخاري (٣/ ١٤٩، ح: ٢٥٤٥)، ومسلم (٣/ ١٢٨٢، ح:١٦٦١)، واللفظ لمسلم.

لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»، فلم يحصل في دين الله عنصرية أبدا لا للون ولا لفئة ولا لأهل بلد بعينه ولا لنسب محصور بأهله، فلهذا دخل الناس في دين الله أفواجا، وجاؤا مِن جميع أقطارها مؤمنين بمحمد بن عبد الله النبي الأمي الذي فتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا، فبصَّر به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، ودان لما جاء به السند والهند، وخضع له العرب والعجم، واعترف بفضله وصدقه وأمانته العدو قبل الصديق، وساق الله إليه وهو في جزيرة العرب مِنَ الحبشة بلالا، ومِنْ فارس سلمانَ، ومِنَ الروم صهيبا وغيرَهم، فكان لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يكون الوالد لولده، وكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يكون الولد لوالده بل أعظم وأجل مِن هذا كله، فآباؤهم يحرزون لهم دنياهم الزائلة، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرز لهم آخرتهم الأبدية السرمدية الدائمة، تركوا أهلهم وأموالهم وآثروا لقاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل أمر من أمور الدنيا، كما روى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن أبي عثمان النهدي أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ فَقَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، ثُمَّ

أَصَبْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَالَ، وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ وَمَالُكَ؟ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ: فَقَالَ صُهَيْبٌ أَرَأَيْتُ، إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَمُخَلُّونَ أَنْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالَ: قَالُوا: نَعَمْ، فَخَلَعَ لَهُمْ مَالَهُ قَالَ: فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ**»(١).

فهكذا كانت الحال لما حكم الإسلام، وأما عند أن حكم العقل في البلاد الغربية وصارت له الدِّوَلة نتج الانحطاط في الحضارة الغربية العنصرية الهدامة، وقوي جانب التطرف، وانتشر الاستعمار الأوربي الذي عانى من ويلاته معظم العالم مِن قتل للكبار وتشريد للصغار وترميل للنساء وقصف للبيوت باستخدام الأسلحة الثقيلة والكيماوية التي يستمر ضررها إلى أزمنة متطاولة، فيعاني منها أناس لا زالوا في أصلاب آبائهم، فكان منهج الغرب المتطرف المنحرف. رغم ما هم فيه من التقدم المادي . كمنهج الجاهليين سواء بسواء، يأكل القوي الضعيف، ويستعبد الغني الفقير، ويزرعون الفتن بين الدول المسالمة، ثم ذا رفعت تلك البلاد المستعبَدَةُ رأسَها، وأَنِفَتْ ذُلَّها واستعبادَها جاء أولئك الطغاة وقد خلعوا أقنعة الغزاة ولبسوا أقنعة قضاة؛ ليفصلوا بين المتخاصمين، فكانوا هم الخصم والحكم!!

---

(١) **صحيح.**

أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ـ واللفظ له ـ (٢/ ٨٢٨، ح: ١٥٠٩)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٥٧، ح: ٧٠٨٢)، وصححه العلامة الألباني.

ثم هناك أسئلة يتناقلها الرأي العام يحار الغرب.المنتسب كذبا وبهتانا للعقل .عن الإجابة عنها بلغة العقل والمنطق والسلام، ويستخدمون لغة القوة والسلاح، وإليك بعض النقاط التي يتبين مِن خلالها البون الواسع والفرق الشاسع بين الادعاءات والحقائق:

أولا: حق الفيتو

١. ما هي حقيقة ما يسمى بحق الفيتو أو حق النقض؟ وهل قضاياه عادلة أم عائلة؟ ولماذا تنعمت دولة اسرائيل بهذا الحق الأمحق وعاشت على أنقاض الفلسطينيين بكل وقاحة ودناءة؟ تنبه أيها القارئ لما ذكر في الويكيبيديا[1] عن هذا الحق لتتعرف على الإجابات الصحيحة عن جميع هذه التساؤلات وهأنا أنقل لك الكلام بنصه:

... كما ساعد حق النقض. الفيتو. الولايات المتحدة على تقديم أفضل دعم سياسي للكيان الإسرائيلي ذلك بإفشال صدور أي قرار من مجلس الأمن يلزم إسرائيل بضرورة وقف احتلال أراضي فلسطين وأعمال العنف ضد الشعب الفلسطيني أو إفشال أي قرار يدين إسرائيل باستخدام القوة المفرطة وخصوصا في حرب لبنان ٢٠٠٦م والحرب على قطاع غزة في نهاية عام ٢٠٠٨م أدى ذلك إلى الشك بمصداقية الأمم المتحدة بسبب الفيتو الأمريكي.

ثم لماذا عدد دول العالم ١٩٥ دولة تقريبا وتم إهمال ١٩٠ دولة واقصائها مِن هذا الفيتو؟ وبأي ضوابط عقلية تم تخصيص خمس دول كفرية بهذا الحق وهي روسيا والصين والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا؟ فلماذا

(١) عند مصطلح: حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

اختصت هذه الدول الخمس بهذا الحق؟ وكيف أهمل الواضعون له ٥٧ دولة اسلامية يبلغ عدد أهلها قريبا من ٨ , ١ مليار بل يزيدون فهم يمثلون ربع العالم!!

على كل لسنا مهتمين بإدخالنا في هذا الحق لأننا لا نؤمن به ولا بمن وضعه وإنما نؤمن بالحق الذي لا إله غيره ونكفر بمن سواه من الباطل، وإنما ذكرت هذا ليكون أنموذجا واضحا للحالة التي يعيشها العالم في فترة حكم من ينتسبون إلى العقل والمساواة والإنسانية.

ثانيا: جائزة نوبل

٢.جائزة نوبل للسلام هذه الجائزة اسم على غير مسمى، فالسلام الذي يُعطى مَن يتعاطاه هذه الجائزة ليس هو السلام المعروف، فلك أن تجعل الميم حاءً أو الزاء راءً أو السين ظاءً كلها توضح لك معنى هذه الجائزة، وكثيرا ما تسمع عن جوائز كثيرة ومغرية، ولكن هذه الجائزة تفوق الخيال في حجمها ومقدارها وثمن الثروة التي يحصل عليها مَن أعطيها، وهي تتلخص في: شهادة وميدالية ذهبية تساوي تقريبا تسعة ملايين كرونة أي: ما يعادل ٩١٨٠٠٠ دولار، ولن يُذهبَ الواضعون لها تلك الأموال هدرا، ومَن تأمل صنيع (لي دوك ثو) حين رفض جائزة نوبل للسلام التي حصل عليها سنة ١٩٧٣م مناصفة مع (هنري كسنجر).بحجة أنه رأى السلام الذي وضعت له هذه الجائزة موجودا في اسمها لا في واقعها.علم حقيقة الأمر.

إن جائزة نوبل للسلام على عظم حجمها المالي إلا أن الحصول عليها ليس بتلك الصعوبة التي يتخيلها الشخص، فدعك من معاييرها المطاطية وضوابطها التي وضعتها اللجنة المتبنية لها؛ فإنها وهمية أضحوكية لتغطية عقول الناس وتعمية أبصارهم عن أن يعرفوا حقيقة هذه الجائزة، والخلاصة: أن مَن أراد الجائزة فليقتل أكبر عدد مِن المسلمين لكي يحصل عليها، قتلا لأبدانهم أو على الأقل لأفكارهم، وأدعك أيها القارئ مع هذه المقالة التي نشرها الكاتب

الفلسطيني أدهم شرقاوي في مجموعته على التليجرام وعنوانها يدلك على مضمونها:

[سفّاحو نوبل للسلّام!]

يقول برنارد شو[١]: إني لأغفرُ لألفرد نوبل اختراعه الديناميت، ولكن لا أغفرُ له اختراعه جائزة نوبل!

لا يخفى على أحد فيما أعتقد، أن جوائز نوبل تخضع في كثير من الأحيان لمعايير مطاطة، ولعلّ أصدقها جوائز نوبل في العلوم والطبّ، وأكذبها جوائز نوبل في السّلام والأدب! فهذه تحديداً يجب أن تتوافق مع هوى البيت الأبيض في واشنطن، وهوى الكنيست الإسرائيلي في تلّ أبيب! أو على الأقل لا تتعارض معه! ولو أن كاتباً عربياً كتب رواية عن محرقة اليهود على يد هتلر فسيكون مرشحاً بقوة للجائزة، أما مجرد التشكيك بأعداد الضحايا المبالغ فيه، فعاقبته كعاقبة روجيه جارودي تهمة معاداة السامية! ولا يحاججني أحد بنجيب محفوظ وأحمد زويل، نجيب محفوظ حصل على نوبل لأنه كان من دعاة التطبيع مع إسرائيل، وأحمد زويل حصل عليها لدوره في برنامج الصواريخ الإسرائيلي وليس للفيمنتو ثانية!

وعن جائزة نوبل للسلام فحدّث ولا حرج! مناحيم بيغن قائد عصابات الأراغون التي ارتكبت عشرات المجازر، أشهرها دير ياسين التي تحدث عنها بيغن بفخر في كتابه التمرد، قصة الأراغون ورغم هذا حاز على جائزة نوبل

(١) بدأ الكاتب مقالته بذكر كلامه ثم التعليق عليها، ومعنى كلامه أن نوبل هذا جعل هذه الجائزة تكفيرا لخطيئته السابقة في صنعه للديناميت، فكان في هذه الجائزة من الإفساد أعظم من إفساد الديناميت.!!

للسلام! اسحاق رابين قائد عصابات الهاجاناه التي ارتكبت الفظائع ليس بحسب ما قال الناجون، ولكن بحسب ما قال المؤرخ اليهودي إيلان بابي في كتابه التطهير العرقي في فلسطين، ورغم هذا حاز على جائزة نوبل للسلام! شيمون بيريز مؤسس مفاعل ديمونا، وسفاح غزة وقانا نال هو الآخر جائزة نوبل للسلام! باراك أوباما الذي كانت تحتل جيوشه بلادًا، وتقيم قواعد عسكرية عنوة حتى في عقر أوروبا، وعاث فسادا في أرجاء الأرض، نال هو الآخر جائزة نوبل للسلام!

قائمة السفاحين لا تنتهي هنا، ما زال هناك سفاحة أيضا، رئيسة وزراء بورما، وقائدة الإبادة ضد مسلمي الروهينغا حاصلة هي الأخرى على جائزة نوبل للسلام! وجائزة سخاروف الأوروبية لحرية الفكر والمعتقد! وميدالية الكونغرس لخدمة البشرية!

لو أن أحداً دهسَ قطة عمداً، ثم أوقف بعد ذلك ألفَ حرب في هذا العالم، ما شفع له هذا جريمته النكراء تلك، ولاستحال أن يحصل على نوبل للسلام، ولكن دماء المسلمين رخيصة، فنحن لا بواكي لنا، وقتلنا ليس من خوارم جائزة نوبل للسلام ا.هـ

وكما يقال: في الزوايا خبايا، ولو ذكرنا البلايا التي تحصل في زمن العقلنة من الاستعمارات لدول بأسرها لطال المقام!! ولو ذكرنا التساؤلات عن أسباب الحرب العالمية الأولى والثانية وعن نتائجها وعن سبب بناء القواعد العسكرية الأمريكية في معظم بلدان العالم، وعن حال دول أفريقيا وما يحصل فيها من

الانتهاكات من قبل الغرب لما وسعتها المجلدات، ففي كل زمن تظهر فضيحة للعقلانيين والملاحدة، ولكن العميان مِنْهُم لا يرون إلا ما يدعون أنها عيوب في الإسلام، وحالهم كما قال المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : «**يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ، أَوِ الْجَذْلَ فِي عَيْنِهِ مُعْتَرِضًا**»[1] ، وصدق القائل:

أَرَى كُــلَّ إِنْسَانٍ يَــرَى عَيْبَ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّـذِيْ هُوَ

فَلَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَا يَرَى عَيْـبَ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِيْ بِأَخِيْهِ

والقائل:

وَعَيْنُ الرِّضَــا عَنْ كُـلِّ عَيْـبٍ وَلَكِـنْ عَيْـنَ الْسُّــخْطِ تُبْـدِيْ

ووالله إن مجتمع أبي جهل وأبي لهب مع ما فيه مِنَ التخلف الدنيوي خير مِن مجتمع الغرب رغم ما وصلوا إليه في الدنيا مِنِ اكتشافات هائلة متقدمة لكنهم بلغوا في الانحطاط الغاية، ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا تحقيق العدل والمساواة التي حققها محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبل ١٤٤٠ سنة، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ

---

(١) صحيح.

رواه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٣، ح: ٥٧٦١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وصححه العلامة الألباني.

قوله: الجذل، قال في النهاية (١/ ٢٥١): (الجِذْلُ بِالْكَسْرِ والفَتْح: أصلُ الشَّجرة يُقْطع، وَقَدْ يُجْعل العُود جِذْلًا).

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :١٣٥].

وإلى القراء، أشير إلى بعض ما يتعلق بهذا الباب مِن أوضاع الناس تحت ظل شرعية العقلانيين؛ ليكون في هذا اسكاتا للبخيتي وأضرابه بل إخراسا عندما يقوم بتعيير المسلمين بما يعيرونهم به كقولهم عنهم مثلا أنهم شهوانيون يبيحون الزواج مثنى وثلاث ورباع ولا يهتمون إلا بالجزء السفلي من المرأة ونحوها من العبارات الاستهتارية، ويعيرونهم بما كانوا يفعلونه في الفتوحات التي يتم فيها تحرير المحارَبين من عبودية العبيد إلى عبودية رب العبيد!

واعتبر أيها القارئ عن بعض النتائج التي كانت جراء الحروب الغربية التي لا أدري لماذا لا يراها البخيتي جيدا ليقوم بانتقادها مع قربها ويرى ما فعله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باليهود قبل ١٤٤٠ سنة دفاعا عن نفسه، بعد أن حزبوا عليه الأحزاب وهموا بقتله ونقضوا عهده واعتدوا على عرض امرأة مِن المسلمين، وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل ثم بعد ذلك كله قتل محاربيهم وحفظ لهم أموالهم وأولادهم ونساءهم وصاروا بخير عيش بين المسلمين. وإن كانوا مواليا لهم فقد كانوا في غاية التكريم. ومنهم مَن أسلم بل وبلغ رتبةَ علماءِ المسلمين كمحمد

بن كعب القرظي الذي قال فيه الذهبي كما في ترجمته له في سير أعلام النبلاء[(١)]: كان مِن أوعية العلم وقال: كان من أئمة التفسير.

وهل هكذا كانت حروبات الغرب نزيهة شريفة لا تضر بالصبية والنساء والمدنيين؟ أم بعكس ما يصوره لنا الملاحدة؟ وكيف هي الأوضاع في دول الغرب تحت ظل حكم العقل والعلمنة والإلحاد؟ هل نجحت أنظمتهم الفاسدة في إعطاء المرأة حقوقها؟ أذكر لك ما يجيب عن هذه التساؤلات، وأترك لك التعليق:

(١) (٥/ ٦٥).

أولا: حقوق المرأة والطفل

تذكر منظمة الأنباء الإنسانية إيرين أن ما يقدر بـ ٥٠٠ ألف حالة اغتصاب ترتكب سنويا في جنوب إفريقيا مع وجود أكثر من ٦٧ ألف حالة اغتصاب واعتداءات جنسية ضد أطفال ؟؟[١].

اغتصبت عشرات الآلاف من النساء من قبل الجنود اليابانيين خلال مذبحة النانجيغ مدينة في شرقي الصين التي استمرت ستة أسابيع[٢].

عند انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، قُدِّر عدد النساء الألمانيات اللواتي تعرضن للاغتصاب على يد الجنود السوفييت بنحو ٢ مليون امرأة، وأوضح المؤرخ ويليام هيتشكوك تعرض نسبة كبيرة من النساء للاغتصاب المتكرر، ووصل الرقم إلى ٦٠ وحتى ٧٠ مرة، ووفقاً للتقارير الطبية ومعدلات عمليات الإجهاض التي ظهرت في الأشهر اللاحقة، تعرّضت ١٠٠ ألف امرأة على الأقل للاغتصاب في برلين وحدها، ويقدر عدد وفيات النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب في ألمانيا بنحو ٢٤٠ ألف حالة[٣].

---

(١) تصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح (اغتصاب) عند التعليق رقم ١٢٢.

(٢) بتصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح (اغتصاب إبادي: حالات موثقة) عند التعليق رقم ١٩.

(٣) بتصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح (اغتصاب إبادي: حالات موثقة) عند التعليق رقم ٢٤.

طبقًا للمؤرخة الألمانية ميريام جبيهرت حوالي ١٩٠ ألف امرأة تم اغتصابهن من جنود الولايات المتحدة في ألمانيا[١].

قال ترامب ـ الذي طالما يتبجح به البخيتي ـ عن النساء: لا يهم ما يكتبونه المهم أن لديهن وجها جميلا ومؤخرة أجمل. عذرا فترامب لا يمثل ثقافة الغرب وتقدمه، فلنبحث عن مثال آخر...

جامعة هارفارد أرقى جامعة أمريكية بل كما يقولون عالميا: معقل التقدم في الفكر والعلم، وكذلك الاغتصاب!! تشهد عام ٢٠١٥م تسجيل حوالي ٤٠ حالة اغتصاب مع العلم بأن نسبة الحالات التي تسجل لا تتجاوز ٣٠٪ من الحالات الفعلية، ولا أنسى أيضا أن ٧٠ ٪ من الطالبات ـ ولله الحمد ـ لم يتعرضن للاغتصاب وإنما تعرضن للتحرش الجنسي (يبدو أن طلاب جامعة هارفارد لم تشغلهم الدراسة عن الجزء السفلي للمرأة).

نشرت صحيفة ليبراسيون عريضة تحمل توقيع ٥٠٠ امرأة تدين التصرفات الشاذة من بعض الزملاء في الفئات السياسية[٢].

---

(١) بتصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح (اغتصاب) عند التعليق رقم ١٨٠.

(٢) صحيفة (ليبراسيون).

حسب صحيفة الاندبنتت فإن شبكة النت الخاصة بالبرلمان البريطاني شهدت عام (٢٠١٣.٢٠١٥) ألف محاولة دخول للمواقع الإباحية من حواسيب موظفي البرلمان ونوابه[١].

وصفت صحيفة التايمز البرلمان الأوروبي بأنه: مرتع للتحرش الجنسي بالنساء[٢].

ماذا عن الكونجرس الأمريكي الذي يضم مجلس الشيوخ ومجلس النواب؟ قالت صحيفة التايمز الأمريكية: إنه أحد أسوأ الأماكن في الولايات المتحدة بأكملها التي تتعرض فيه النساء للتحرش بمستويات عالية وغير مسبوقة. (يبدو أن مجلس شيوخ أمريكا مشغولون بالجزء السفلي للمرأة).

لماذا لم تنشر جائزة نوبل لعام ٢٠١٨م ؟! نشرت صحيفة نيويورك تايمز خبرا تقول فيه: جائزة نوبل للأدب لن تُمنحَ هذا العام لأن اللجنة الأكاديمية المسؤولة عنها تغرق في فضيحة تحرش جنسي.

(١) صحيفة (الأندبنتت).

(٢) صحيفة (التايمز).

تقول المجلة العالمية الشهيرة إكونوميست أن إحدى الدراسات وجدت أن أكثر من ٤٠٪ من المديرين التنفيذيين يقولون إنهم تورطوا في علاقات جنسية مع زميلات وأن ٢٠٪ منهم ليس بأعزب. (خيانات زوجية)[1].

وزارة الدفاع الأمريكية: ٧٨ ٪ من النساء تعرضن للتحرش الجنسي من زملائهن[2].

وزارة التعليم الأمريكية: ٤,٥ مليون يُتحرش بهم جنسيا في مدارس أمريكا[3].

في أمريكا أكثر من ٦٥ مليون شخص مصاب بأمراض جنسية لا يمكن شفاؤها[4].

---

(١) http://www.economist.com/node/٣٧٤٣٧٤٥?story_ID=٣٧٤٣٧٤٥.

(٢) الوزارة الأمريكية: http://www.rehab.research.va.gov/jou...pdf/Street.pdf.

(٣) وزارة التعليم الأمريكية:

http://www.ed.gov/rschstat/research/pubs/misconductreview/report.pdf.

(٤) CNN والمراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http://www.cnn.com/٢٠٠٠HEALTH//١٢/٠٥health.stds.reut/.
http://www.cdc.gov/STD/Trends٢٠٠٠Trends/٢٠٠٠pdf.

٥٠٪ من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية، و٤٢٪ من البريطانيين، و٣٨٪ من الإيطاليين، و٣٦٪ من الفرنسيين[(١)].

نشرت المراكز الحكومية للسيطرة على الأمراض أن الرجل الأمريكي يقيم علاقات جنسية مع أكثر من امرأة يبلغ متوسطهن ٧ نساء للرجل الواحد، بل إن ٢٩٪ من الرجال أقاموا علاقات جنسية غير شرعية مع أكثر من ١٥ امرأة طيلة حياتهم[(٢)]. (قرود بكل ما تعنيه الكلمة، ثم ينقمون على المسلمين الارتباط مع أربع نساء وبعلاقات شرعية قانونية).

٤٠ إلى ٥٠ ٪ من النساء اللواتي يقتلن في أمريكا يكون القاتل هو زوجها أو صديقها[(٣)].

(عذرا أيتها الآنسات فمنظمة حقوق المرأة ضاعت في الجزيرة العربية، ولم تعرف طريق الرجوع).

(١٣٢٠) امرأة يقتلن سنويا في أمريكا من قبل أزواجهن أو أصدقائهن[(٤)].

---

(١) بي بي سي BBC: http://news.bbc.co.uk/٢/hi/uk_news/١٧٧٣٣٣.stm.

(٢) http://www.cdc.gov/nchs/date/ad/ad٣٨٤.pdf.

(٣) وزارة العدل الأمريكية:

http://www.nij.gov/topics/crime/inti...nce/extent.htm .

(٤) تقرير لوزارة العدل الأمريكية:

حوالي ٨٠٠ ألف فتاة يحملن بطريقة غير شرعية سنويا في أمريكا[(١)].

أكثر من مليون طفل في أمريكا يقتلون بالإجهاض سنويا[(٢)].

بلغت نسبة المصابين بالإيدز في دولتي بوتسوانا وسوازيلاند ٤٠٪ من عدد السكان[(٣)].

١٠,٤ مليون أسرة في أمريكا تتكون من أم وأبناء (الأب عابر سبيل)[(٤)].

وجد في أمريكا وأوروبا نساء عاريات يقمن بتغسيل السيارات.

٧٥ ألف برازيلية يمارسن البغاء يوميا في أوروبا[(٥)].

اثبتت دراسات الأمم المتحدة أن ١٢ مليون طفل تحت سن الخامسة، يموتون سنوياً نتيجة أمراض قابلة للشفاء.

.sectionl.pdf_١٩٩٧٠١nij//١http://www.ncjrs.gov/pdffiles

(١) وزارة الصحة الأمريكية:

.pdf.١٥ch/٩٩organized-http://aspe.hhs.gov.HSP/get

(٢) المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:

. htm.١a٥٥١١http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss

(٣) منظمة الصحة العالمية:

. 1_en.pdf_٢٠٠٣http://www.who.int/hiv/pud/epidemiol...e

(٤) دائرة الإحصاءات الأمريكية:

./https://www.census.gov/newsroom/releases/archives/families_households

(٥) الإسلام محرر العبيد صـ٦٣.

في قرية من قرى الشيشان اغتصب الجنود الروس جميع نساء تلك القرية أمام رجالها المكبلين بالأغلال فصاح أولئك الرجال المسلمون فترك الروس النساء واغتصبوا جميع .... (وعند الله تجتمع الخصوم).

تم اغتصاب ٤٠ ألف امرأة وفتاة مسلمة في البوسنة والهرسك من قبل المستعمرين.

في بابوا غينيا الجديدة، تطلب عصابات المدن مثل عصابات راسكول غالبًا اغتصاب النساء كبادرة للانضمام.

وصفت مراسلة للحرب السوفييتية ما شاهدته بقولها:

كان الجنود الروسيون يغتصبون أي انثي ألمانية من سن الثامنة حتى الثمانين، لقد كان جيشاً من المغتصبين[١].

في عام ٢٠٠٥ اعتبر العنف الجنسي والاغتصاب على وجه الخصوص أكثر جرائم العنف التي يتم الإبلاغ عنها في بريطانيا العظمى[٢].

في فرنسا ١٢٠ مليار أورو في كل سنة تنفق في شراء الكحول وقدر ٤١ ألف شخص يتوفى نتيجة استخدام الكحول.

---

(١) بتصرف من ويكيبيديا. مصطلح: (اغتصاب) عند التعليق رقم [١٧٩].

(٢) بتصرف من ويكيبيديا. (مصطلح اغتصاب برقم ١٢٦).

طبقا لمنظمة راينن فهناك شخص يُعتدى عليه جنسيا في أمريكا كل ١٠٧ ثانية[١].

في عام ٢٠١٥ حلل بروفيسور جامعة تكساس (A&M) جايسون ليندو (Jason Lindo) وزملاؤه تحقيقات أكثر من عقدين أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالية، ملاحظين أن تقارير الاغتصاب زادت بنسبة ١٥-٧٥٪ وبالأخص عند اقتراب مباريات هامة لكرة القدم الأمريكية في قسم ١ من الجامعة عندما حاولوا اكتشاف رابط بين الاعتداءات التي تحدث في الحرم الجامعي والمشروبات الكحولية [٢].

أسس جنود الفيرماخت[٣] نظاماً لبيوت دعارة الجيش، حيث يتم إجبار النساء الصغيرات والفتيات من الأراضي المحتلة على ممارسة الفاحشة تحت ظروف قاسية. في الاتحاد السوفيتي كان يتم اختطاف النساء بواسطة القوات الألمانية لممارسة الفاحشة أيضاً[٤].

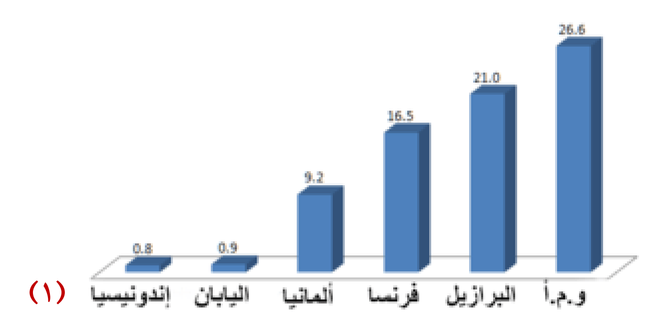
(١) بتصرف من ويكيبيديا. مصطلح: (اعتداء جنسي) عند التعليق رقم [٥٦] Cissner ٢٠٠٩.

(٢) المصدر السابق عند التعليق رقم [٦٣].

(٣) اسم القوات المسلحة الموحدة لألمانيا من العام ١٩٣٥ إلى ١٩٤٥.

(٤) ويكيبيديا ـ مصطلح: (اغتصاب) عند التعليق رقم [١٧٥].

إحصائيات (مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة) لعام ٢٠١١ م



(١)

(و.م.أ) أي: الولايات المتحدة الأمريكية

في موطن الحضارة العريقة أوروبا وموطن التقدم العالمي أمريكا، مطاعم تقدم الطعام على أجساد نساء عاريات !!!! ونساء عاريات يقمن بغسل السيارات!!! (٢)

وأخيرًا وبعد فوات الأوان، وتداركا لهذه الكارثة الغربية: أصدر نائب رئيس البرلمان الفرنسي عن حزب الخضر دنيس بوبان بيانا شديدا بعبارات لاذعة يدين فيه الانتهاكات الجنسية ضد النساء ويدعو فيه إلى حسم قضية التحرش ومعاقبة الجاني بما يستحق!! فاستبشرت نساءُ فرنسا بهذا البيان العظيم إلا أن زميلته في

---

(١) نقلا من ويكيبيديا ـ مصطلح: (الاغتصاب).

(٢) نيويورك تايمز: عدد: ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧ م، ٢٤/٨/٢٠٠٨م.

وأيضا: بي بي سي: http://news.bbc.co.uk/٢/hi/uk_news/e...re//٤٨٨٩٥٧٠.stm.

الحزب النائبة ساندرين روسو استفزها البيان مما دفعها للإفصاح عن تعرضها للتحرش الجنسي من قبل دنيس بوبا نفسه، وتوسعت الدائرة قليلا حيث أفصحت سبعُ زميلات لدنيس عن تعرضهن للتحرش الجنسي من قبله !! وغد دنيس.

ثانيا: الحروب والحقوق الإنسانية

نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرا جاء فيه أن ٨٠٠ ألف شخص سنويا يقومون بعملية الانتحار معظمهم من دول الكفر والعلمنة وعلى رأس القائمة أوروبا[١].

أهدى كولونيل فرنسي مغربيين لممثل أمريكي ليحصل على إعدام حقيقي في فيلمه المسمى بالوردة السوداء[٢] (دعاة الإنسانية).

قال المؤرخ الهندي كيشوري ساران لال. هندوسي الديانة.: إن الفرق بين الاحتلال المغولي[٣] الإسلامي للهند والاحتلال البريطاني كان مثل الفرق بين الجنة والنار، في حين اهتم المسلمون بالرقي بالهند في العلم والعمارة والتجارة وجعلوا الهند أغنى بلاد الدنيا لم يهتم الانجليز إلا بنهب خيرات الهند واستعباد شعبها وتسببوا في موت الملايين من أبنائها في حروب بريطانيا العظمى الاستعمارية[٤].

---

(١) بتصرف من ويكيبيديا، مصطلح: (انتحار).

(٢) http://www.hibapress.com/details-٩٤٧٤٠.html.

(٣) هكذا عبر المؤرخ.

(٤) تراث الحكم الاسلامي في الهند ص٣١.

ومن هنا يتبين للبخيتي وأضرابه لماذا نسمي حروب المسلمين بالفتوحات وحروب الغرب بالاحتلالات؟

في السويد وواشنطن وغيرهما من دول الغرب يتم تحويل جثث البشر الموتى إلى سماد لبيعه والانتفاع بثمنه[١].

في الحرب الأمريكية الفلبينية قتل ما يقارب مليون ونصف مدني[٢].

٢,٥ مليون مدني قتلوا تحت القصف الجوي الأمريكي والبريطاني.

(والملحد العربي يحدثنا عن قتلى بني قريظة مع أنهم من المحاربين والبادئين بالاعتداء)[٣].

بعد استسلام اليابانيين في ولاية (كاناجاوا) لأيدي الأمريكان تم الإبلاغ عن ١٣٣٦ حالة اغتصاب من قبل الجنود الأمريكيين[٤].

---

(١) BBC: ٢٢ مايو٢٠١٩م، وأيضا:

-tech-and-http://www.bbc.com/science

٨٨l٨QuK٠T٠mCcrZyJYs١ocid=socialflow_facebook&fbclid=lwAR؟٤٨٣٦٤٥٧٤

.LgKLs٢٢NSp٨NGZqy_z٠Z-q٨WwGh٥LJ٨LMvB٠r

(٢) بتصرف من ويكيبيديا – مصطلح: (جرائم حرب أمريكية).

(٣) المصدر السابق.

(٤) بتصرف من ويكيبيديا. مصطلح (جرائم حرب أمريكية) بعد التعليق رقم [٢].

٣ مليون ونصف تقريبا هو عدد القتلى الفيتناميين في غزو أمريكا لها[١].

أكثر من ٤٠٠ مدني قتيل نتيجة القصف الجوي الذي قامت به قوات الناتو بدعم أمريكي سنة ١٩٩٩م[٢].

قدرت بعض الجهات أن قتلى العراق بلغ ٢ مليون مدني منذ بداية الحرب في ٢٠٠٣م[٣].

(والملحد العربي يبكي على إماء بني قريظة).

تم إبادة أكثر من عشرين مليون مسلم على يد الطاغية الروسي جوزيف ستالين.

دهس الطاغية اليوغسلافي "تيتو" آلاف المصلين في المساجد بالدبابات.

أكثر من ٢٠٠ ألف شهيد يمثلون ربع تعداد الشيشان كانوا ضحية للاستعمار الروسي للشيشان.

منظمات حقوق الإنسان العراقية تؤكد اختفاء ما لا يقل عن ١٥ألف عراقي.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

سجن (أبو غريب) وما أدراك ما سجن (أبو غريب) لن تنسى حيطانه وحشية الأمريكان عندما كانوا يجردون العراقيين عن ملابسهم ثم يطلقون عليهم كلابا جائعة لتفترسهم أحياء.

تجاوز عدد القتلى في العراق من المدنيين -معظمهم من الأطفال والنساء- المليون حتى أكتوبر ٢٠٠٧م.

تم نهب نفط عراقي طوال أربع سنوات يُقَدَّر ثمنه بمئات البلايين من الدولارات.

سقط خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ما يزيد على السبعين مليوناً من القتلى، وأضعاف هذا الرقم من المعوقين والمشوهين والمشردين. ودمرت خلالهما معظم المدن الأوربية بالكامل.

ذكر الدكتور إبراهيم جنانوفيتش الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية جامعة سراييفو قائلًا إنه شاهد الصرب يدخلون منطقة نجاريتش الاستراتيجية قرب مطار سراييفو وخلال ساعة واحدة ذبح الجزارون ٢٠٠ مسلماً في ثلاثة شوارع فقط !! واعتقلوا ٥٠٠ شخصا من منازلهم.

وذكر ماكيتش عضو هيئة الرئاسة الإسلامية. الذي كان معتقلاً في معسكر بالقرب من بنيالوكا. أن المجرمين الصرب هناك ذبحوا ٥ آلاف معتقل خلال أربعة أيام فقط!! وفي مدينتي بريدور وكازارتس أبادوا ٢٥ ألف أسير مسلم. من المدنيين وخاصة الأطفال والنساء. في أقل من شهر واحد !! وفي منطقة "يوبيا"

وضعوا عشرة آلاف مدني مسلم في منجم مهجور وقاموا بتفجيرهم بالديناميت دفعة واحدة !!. كما أبادوا تسعة آلاف في مدينة سربرنيتسا بتواطؤ من القوات الهولندية التي كان منوطا بها حمايتها. !! ويلاحظ ماكتيتش أن المجرمين كانوا يركزون على تصفية الشباب من سن ١٥ حتى ٤٠ سنة للقضاء على أي أمل للمسلمين في إنجاب المزيد من النسل.

خلال أقل من عامين، وبالتحديد في الفترة من أول يناير سنة ١٩٩٠ وحتى نهاية أغسطس سنة ١٩٩١ كانت خسائر المسلمين في كشمير ما يلي:

١. استشهاد ٣٥ ألف مسلم ومسلمة، منهم ٢٢٠٠ ضحية أحرقهم الجيش الهندي أحياء في منطقة كبوارة وحدها.

٢.جرح وإعاقة ٣٠ ألف شخص من بينهم عدد كبير أصيبوا بعاهات مستديمة إثر اعتداء من قوات الاحتلال.

٣.اعتقال ٦٩ ألف شخص في السجون ومعسكرات التعذيب.

٤.طرد ٢٥ ألف مسلم إلى كشمير الحرة بعد هدم أو حرق منازلهم.

٥. فصل آلاف الموظفين المسلمين تعسفياً وحرمانهم من مورد الرزق الوحيد.

٦. اغتصاب ٣٥٧٥ مسلمة بصورة جماعية مروعة، واستشهد من المجني عليهن ١١٠ إثر الاغتصاب، كما جرى إغراق ٢٠.على الأقل. من الضحايا في الأنهار لبث الرعب في المنطقة.

٧.تعرض ٦٠٠ امرأة للإجهاض بعد الاغتصاب البربري.

٨.تم نزع الخصيتين لأكثر من ٤١٥ رجلاً في قرية سنور كليبورة وغيرها.

٩. إحراق ٢١ ألف متجرًا ومنزلاً و٥٥٠ مدرسة وكلية، وقامت سلطات الاحتلال بإحراق حبوب غذائية قيمتها تفوق المليار دولار، وأعدموا عشرات الألوف من المواشي والأغنام الحية !!.

كما تولى أعداء الحياة الهندوس تخريب وإحراق مساحات هائلة من الغابات الطبيعية والبساتين تفوق قيمة ما بها من أشجار وموارد طبيعية وثمار عدة بلايين من الدولارات![١].

يقدر بعض الباحثين أن أعداد السكان الأصليين الذين أبادهم الغزاة الأوروبيون يصل إلى عشرات الملايين من الهنود الحمر!!!.

قدر ٢ مليون أفغاني فقدوا حياتهم أثناء الاحتلال السوفيتي[٢].

يزعم الباحثون أن الصين قتلت قرابة ٦٠ مليون مسلم في تركستان منذ احتلالها.

في البلقان قتل ما يقارب ٥ مليون مسلم من قبل الروس.

---

(١) الإسلام محرر العبيد صـ٩٤.

(٢) بتصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح: (الإبادة الجماعية في التاريخ).

في غزو فرنسا للجزائر تم إبادة سدس الجزائريين.

لقي أكثر من تسعة ملايين مقاتل وسبعة ملايين مدني مصرعهم نتيجة الحرب العالمية الأولى[(١)].

انتهت الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤٥م بعد استسلام ألمانيا في مايو ١٩٤٥م، وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان واستسلامها في سبتمبر سنة ١٩٤٥م، ونتج عن هذه الحرب خسائر فادحة في الأرواح والأموال والعمران، كما أنها خلفت مشكلات اجتماعية عديدة، وقدرت هذه الخسائر بـ ١١٥٤مليار دولار، وفقد فيها ٤١ مليون قتيل بخلاف الجرحى والأسرى[(٢)].

(١) ويكيبيديا مصطلح: الحرب العالمية الأولى.

(٢) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (١٣/ ١٣٠، بترقيم الشاملة آليا).

ثالثا: العبودية والاسترقاق

خلال الحرب العالمية الثانية تم إجبار ما يقارب ٢٠٠ ألف امرأة كورية وصينية على ممارسة الفاحشة في بيوت دعارة الجيوش اليابانية وكن يسمين بنساء الراحة ؟؟! (كلاب في صور بشر)[١].

... كان فلاسفة اليونان يجاهرون بتأييدهم للرق !! ويرى أفلاطون أن العبيد لا يصلحون لأن يكونوا مواطنين !! وعليهم فقط لزوم الطاعة العمياء لسادتهم أحرار أثينا !!. ولا ندرى أي مدينة فاضلة تلك التي يكون ثلاثة أرباع أهلها من العبيد !!أما تلميذه أرسطو فهو يرى أن بعض الناس خُلِقُوا فقط ليكونوا عبيدًا لآخرين!!! ليوجهوهم كما يريدون، وبعضهم خُلِقُوا ليكونوا سادة، وهم الأحرار ذوو الفكرة والإرادة والسلطان. فالعبيد خلقوا ليعملوا كأنهم آلات، والأحرار خُلِقُوا ليفكروا ويلقوا الأوامر لينفذها العبيد !! ويجب في رأي أرسطو أن يستمر هذا الاستعباد حتى يتوصل الإنسان إلى صنع آلات معدنية تحل محل الرقيق !![٢].

(١) بتصرف من ويكيبيديا ـ مصطلح: (اغتصاب) عند التعليق رقم [١٧١].

(٢) الإسلام محرر العبيد صـ١٢.

قدر ٥٠ ألف امرأة وطفلة يتم تهريبهن إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنويا لاسترقاقهن وإجبارهن على ممارسة الدعارة[١].

أكثر من أربعة ملايين امرأة برازيلية يتم ترحيلهن بصورة غير مشروعة كل سنة لممارسة البغاء في بلاد أخرى[٢].

في دول الغرب ٢ مليون امرأة وطفلة يتم بيعهن كعبيد سنويا[٣].

مائتا ألف فتاة من الاتحاد السوفيتي يتم إجبارهن على ممارسة البغاء في إسرائيل[٤].

منظمة مناهضة الرق العالمية تؤكد أن ٢٧ مليون شخصا في دول الغرب ما زالوا يخضعون لشتى ألوان العذاب في جحيم العبودية خاصة النساء والأطفال[٥].

---

(١) نيويورك تايمز:

http://www.unifem.org/campaigns/sayno/docs/SayNOunite_FactSheet_VAWworldwide.pdf.

(٢) الإسلام محرر العبيد صـ٦٣.

(٣) الإسلام محرر العبيد صـ٦٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق صـ٦١.

رابعا: العنصرية

قبل الحرب المدنية الأمريكية كان اغتصاب السود للبيض جريمة عاقبتها الموت أو الإخصاء وأما اغتصاب البيض للسود فكان يعتبر قانونيا.

أظنني قد أتعبت ضمير القارئ بما ذكرت، ولكن كما يقال هذه هي الحقيقة، أوثم بعد هذا يعير الإسلامَ بما يقوم به في الحروب من أعمال لا تتم الحرب إلا بها، وبأحكامه تجاه المرأة التي لا يوجد مثلها في جميع الديانات.

إن الأمر كما قيل: رمتني بدائها وأنسلت، وأرجو من القارئ الكريم أن يعيرني عقله مرة أخرى لنقوم بجولة يسيرة حول محور من هذه المحاور الأربعة التي طالما يقبق به البخيتي وأضرابه ويظهرونه للعالم على غير حقيقته، ولن نطيل فيه الكلام بل سنذكر النصوص الشرعية التي تعامل فيها الإسلام معه ليتضح لك الفرق مفتتحين كلامنا بهذه المقدمة المهمة:

قضية العبيد

إِن أي عالم بالاجتماع أو التاريخ أو حتى طبائع البشر يدرك تمامًا أن إحداث تغيير جذري في المجتمع مثل إلغاء الرق أمر لا يمكن حدوثه في جيل واحد أو بضعة أجيال من عمر البشر لقد كان ربع سكان العالم من السادة، وثلاثة أرباع البشر وقت بدء نزول الوحي على النبيﷺ هم من الأرقاء المستعبدين. فهل كان مجرد نزول آية قاطعة تقول: حرروا العبيد كافياً لتحرير ثلاثة أرباع العالم حالاً ؟!! بالطبع هذا مستحيل، ومن يزعم غير هذا فهو إما ساذج أو مكابر أو خيالي حالم لا صلة له بالواقع ولا علم له بالبشر. وهذا يقودنا إلى الجانب الاقتصادي في الأمر. إذ أن الرق كان نشاطاً اقتصادياً واسع النطاق في كل أنحاء العالم. فإذا أردنا تحرير ثلاثة أرباع الناس من الأقلية المستغلة، فإن هذا يعنى ضرورة إيجاد وسائل لإعاشة المحررين الجدد، وهم أغلب السكان كما رأينا، وفرص عمل لملايين العتقاء، ومساكن لإيوائهم بعد مغادرتهم لبيوت السادة السابقين، إذ ليس من العدل ولا المنطق ولا الواقع أن تطالب السادة الذين فقدوا مصدرًا هامًا وأساسيًا للدخل. هو ما يدره عليهم عمل أولئك العبيد. لا يعقل أن نطالبهم بالاستمرار في الإنفاق على هؤلاء وإعالتهم، وقد انتهت العلاقة أو السبب القانوني لذلك، فضلاً عما يلحق بالملّاك من خسائر اقتصادية فادحة بسبب هذا التحرير المفاجئ لعبيدهم. ولا مفر كذلك من تعويض هؤلاء عن هذه الخسائر، إما بمقابل مادي، أو على الأقل بجزاء معنوي. الجنَّة. يجعل نفوسهم

تطيب بهذا العتق. وبالطبع فإن تدبير لوازم المعيشة المستقلة للمحررين، وفرص عمل لهم، وكذلك تدبير موارد لتعويض السادة السابقين، كل ذلك يحتاج إلى وقت بلا خلاف. ولعل أبلغ رد على من يتوهمون إمكانية إلغاء الرق بضربة واحدة حاسمة هو ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد حاول الرئيس المصلح أبراهام لنكولن القضاء على الرق هناك بقانون حاسم فماذا كانت النتيجة؟ اندلعت حرب أهلية طاحنة بين ولايات الشمال المطالبة بإلغاء الرق، والولايات الجنوبية داعمة الاستعباد، استمرت سنوات، وهلك فيها الملايين من الفريقين، وتعرضت البلاد لخراب شامل. بل لقي لنكولن نفسه مصرعه بسبب محاولته إلغاء الرق، فقد اغتاله أحد المجرمين البيض الذين يرفضون السماح بتحرير السود ومساواتهم بالسادة !! وبقيت التفرقة العنصرية بعده قروناً عديدة بل مازالت العبودية هناك في صور أخرى كما رأينا !! ونشير أيضاً إلى مئات الثورات الدموية الرهيبة التي اندلعت من جانب العبيد على مر العصور، احتجاجاً على القهر والإذلال وإهدار الآدمية، وتطلب قمع هذه الثورات. من جانب السادة. أنهاراً من الدماء، وخسائر اقتصادية فادحة. فهل هذا الهلاك للحرث والنسل والخراب الشامل مما يُلام الإسلام على تجنبه ؟! إن هذه الجزئية في حد ذاتها هي من دلائل عظمة الإسلام، وأنه بالفعل من عند الله

الحكيم العليم بما يصلح خلقه وما يناسبهم من تشريعات تحقق العدل والمساواة بين الجميع، وفي ذات الوقت تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع ا.ه[(١)]

وإلى القارئ أسوق بعض النصوص الشرعية التي عالجت هذه القضية السلبية في المجتمعات وهي. أي: النصوص. متضمنة لعدة أمور أهمها: الحث على إعتاقهم، الحث على الإحسان إليهم والرفق بهم، عدم إيذائهم، وجوب الإنفاق عليهم، عدم التعالي عليهم:

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [سُورَةُ البَلَدِ: ١١-١٣].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي مَمْلُوكٍ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْتِقَ كُلَّهُ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ قَدْرَ ثَمَنِهِ، يُقَامُ قِيمَةَ عَدْلٍ، وَيُعْطَى شُرَكَاؤُهُ حِصَّتَهُمْ، وَيُخَلَّى سَبِيلُ المُعْتَقِ**».

(١) الإسلام محرر العبيد (١٠٦ـ١٠٨).

(٢) (٣/ ١٤١، ح: ٢٥٠٣)، وبنحوه عند مسلم (٢/ ١١٣٩، ح: ١٥٠١).

قال الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبُرْسَانِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَعَاصِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ**».

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَمْلُوكًا لِأُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ: أُعْتِقُكَ وَأَشْتَرِطُ عَلَيْكَ أَنْ تَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عِشْتَ فَقُلْتُ: وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِطِي عَلَيَّ مَا فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عِشْتُ فَأَعْتَقَتْنِي، وَاشْتَرَطَتْ عَلَيَّ.

---

(١) **صحيح.**

سنن ابن ماجه (٢/ ٨٤٣، ح: ٢٥٢٤)، وأخرجه أبو داود (٤/ ٢٦، ح: ٣٩٤٩)، والترمذي (٣/ ٦٣٨، ح: ١٣٦٥)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) **حسن.**

سنن أبي داود (٤/ ٢٢، ح: ٣٩٣٢)، ورواه ابن ماجه (٢/ ٨٤٤، ح: ٢٥٢٦) مختصرا، وحسنه العلامة الألباني.

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجَ عِبْدَانٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَبْلَ الصُّلْحِ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيهُمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَبًا مِنَ الرِّقِّ. فَقَالَ نَاسٌ: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**مَا أُرَاكُمْ تَنْتَهُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا. وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمْ**، وَقَالَ: **هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَاقِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ - صَاحِبُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ - قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**» قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ: فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَعَمَدَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى عَبْدٍ لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَعْتَقَهُ.

---

(١) **صحيح.**

سنن أبي داود (٣/ ٦٥، ح: ٢٧٠٠)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٤، ح: ٢٥١٧)، ومسلم (٢/ ١١٤٨، ح: ١٥٠٩).

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٢٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ﴾، الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَلَكُمْ ظَوَاهِرُهَا، وَكُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ التَّزَوُّجِ بِالْإِمَاءِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِسِبَاءٍ أَوْ كَانَتْ خَرْسَاءَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَفِي اللَّفْظِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ إِيمَانُ أَمَةٍ أَفْضَلَ من إيمان بعض الحرائر(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٢١].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٣٦].

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَعْتَقَ عَبْدًا، وَلَهُ مَالٌ فَمَالُ الْعَبْدِ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَهُ السَّيِّدُ**» قال الألباني: صحيح.

قال الشيخ عبد المحسن العباد في شرح سنن أبي داود[(٢)]:

قيل: إن المقصود بهذا الندب والاستحباب، وأنه كان ينبغي للسيد أن يسامحه وأن يحسن إليه عند إعتاقه؛ لأن كونه يخرج من الرق وبيده شيء قد أحسن إليه السيد به خير من كونه يعتقه ثم يخرج خالي اليدين وليس معه شيء، فمن تمام الإحسان أن يحسن إليه ويمتعه ويعطيه ما يستمتع به ويستفيد منه.

---

(١) (٤/ ٢٨، ح: ٣٩٦٢)، والحديث في البخاري (٣/ ١١٥، ح: ٢٣٧٩)، ومسلم (٣/ ١١٧٣، ح: ١٥٤٣)، وفي أوله: «**مَنِ ابْتَاعَ نَخْلًا...**».

(٢) (٤٤٥/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا).

قال البخاري(١): حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ»**.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ - وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ، وَالسِّيَاقُ لِهَارُونَ - قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ أَبِي حَزْرَةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ

(١) (٣/ ١٥٠، ح: ٢٥٥٧)، وبنحوه روى الإمام مسلم (٣/ ١٢٨٤، ح: ١٦٦٣).

(٢) (٤/ ٢٣٠١، ح: ٣٠٠٦ـ٣٠٠٧).

فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا قَالَ: قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللهِ قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ - وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «**أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ**» وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ**

---

(١) (٣/ ١٢٨٤، ح: ١٦٦٥)، رواه البخاري على الإدراج (٣/ ١٤٩، ح: ٢٥٤٨).

الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ النُّورِ: ٣٢-٣٣].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ اشْتَرَى غُلاَمًا حَجَّامًا، فَقَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ، وَثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ وَالمُصَوِّرَ»، والشاهد فيه النهي عن كسب البغِي وهي الأمة التي يجبرها سيدها على الزنا.

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ، قَال: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَدَعَاهُ أَبِي وَدَعَانِي، فَقَالَ: اقْتَصَّ مِنْهُ؛ فَإِنَّا مَعْشَرَ بَنِي مُقَرِّنٍ كُنَّا سَبْعَةً عَلَى عَهْدِ

(١) (٧/ ١٦٩، ح: ٥٩٦٢).

(٢) (٤/ ٣٤٢، ح: ٥١٦٧)، وأصله في مسلم (٣/ ١٢٧٩، ح: ١٦٥٨).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ، فَلَطَمَهَا رَجُلٌ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْتِقُوهَا**» قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَادِمٌ غَيْرَهَا، قَالَ: «**فَلْتَخْدُمْهُمْ حَتَّى يَسْتَغْنُوا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا فَلْيُعْتِقُوهَا**».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فِرَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ذَكْوَانَ، يُحَدِّثُ عَنْ زَاذَانَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، دَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَرَأَى بِظَهْرِهِ أَثَرًا، فَقَالَ لَهُ: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزِنُ هَذَا[(٢)]، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي: أَنَّ زِنْبَاعًا أَبَا رَوْحٍ وَجَدَ غُلَامًا لَهُ مَعَ جَارِيَةٍ لَهُ، فَجَدَعَ أَنْفَهُ وَجَبَّهُ[(٤)]، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "**مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ؟** " قَالَ: زِنْبَاعٌ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ

---

(١) (٣/ ١٢٧٩، ح: ١٦٥٧).

(٢) بناء على أنه ضربه وإلا ففي العتق أجر عظيم عند الله عز وجل.

(٣) (١١/ ٣١٤، ح: ٦٧١٠)، ورواه مختصرا أبو داود (٤/ ١٧٦، ح: ٤٥١٩)، وابن ماجه (٢/ ٨٩٤، ح: ٢٦٨٠).

(٤) أي: قطع ذكره.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: "**مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟**" فقَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا، فقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبْدِ: «**اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ**»، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَوْلَى مَنْ أَنَا؟ قَالَ: «مَوْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، فَأَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فقَالَ: وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، نُجْرِي عَلَيْكَ النَّفَقَةَ وَعَلَى عِيَالِكَ، فَأَجْرَاهَا عَلَيْهِ، حَتَّى قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ جَاءَهُ، فقَالَ: وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: مِصْرَ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ أَنْ يُعْطِيَهُ أَرْضًا يَأْكُلُهَا(١).

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي هَانِئٍ الخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَبَّاسٍ الحَجْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الخَادِمِ؟ فقَالَ: «**كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) **صحيح.**

سنن الترمذي (٤/ ٣٣٦، ح: ١٩٤٩)، ورواه أبو داود (٤/ ٣٤١، ح: ٥١٦٤)، وصححه العلامة الألباني.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بُكَيْرَ بْنَ الْأَشَجِّ، حَدَّثَهُ عَنِ الْعَجْلَانِ، مَوْلَى فَاطِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ**»

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ، جُلِدَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**».

قال الإمام مسلم[(٣)]: حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ أَنَسٌ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ

---

(١) (٣/ ١٢٨٤، ح: ١٦٦٢).

(٢) (٨/ ١٧٥، ح: ٦٨٥٨)، وهو في مسلم (٣/ ١٢٨٢، ح: ١٦٦٠).

(٣) (٤/ ١٨٠٥، ح: ٢٣١٠).

قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: **«يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟»** قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.

قال صاحب كتاب الإسلام محرر العبيد[١]: ومن يطالع السيرة العطرة وتاريخ الصحابة سوف يجد تطبيقات عملية كثيرة بهذا الخصوص. فقد زوّج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنة عمته زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة[٢]، وذكر البخاري في باب الأكفاء في الدين أن أبا حذيفة زوّج ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة من مولى هو سالم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣]، وأشار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القرشية الحسيبة النسيبة فاطمة بنت قيس بالزواج من مولاه أسامة بن زيد، وفَضَّله على

---

(١) (١٢٢).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٥٢٣): وَقَدْ أَخْرَجَ بن أَبِي حَاتِمٍ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ فَسَاقَهَا سِيَاقًا وَاضِحًا حَسَنًا وَلَفْظُهُ: بَلَغَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَكَانَتْ أُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهَا رَضِيَتْ بِمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ...

(٣) كما في البخاري (٧/ ٧، ح: ٥٠٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

خاطبيها الآخرين معاوية بن أبي سفيان - وهو الحسيب النسيب - وأبي جهم وهو من الأحرار أيضا[١]، وروى الحاكم وأبو داود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لقبيلة عربية عريقة: «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه**»[٢]، وكان مولى لبني بياضة وكان حَجَّامًا. وتزوج بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هالة بنت عوف وهي أخت عبد الرحمن بن عوف[٣]، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يخطبها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهى.

وليس هناك في رأينا ما هو أقوى من هذا لإثبات أن الرقيق في الإسلام ظفر بمعاملة نبيلة يستحيل وجود مثلها في أية أمة أو ديانة أو حضارة أخرى.

هذا وقد جعل الله أبوابا كثيرة يتم بواسطتها تحرير الرقاب، ومنها:

(مصارف الزكاة، كفارة القتل الخطأ، كفارة الحنث باليمين، كفارة الظهار، الإفطار العمد في رمضان، ضرب الحر لعبده المملوك، المكاتبة، ولادة الأمة وغيرها).

---

(١) كما في صحيح مسلم (٢/ ١١١٤، ح: ١٤٨٠).

(٢) **حسن.**

أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٧٨، ح: ٢٦٩٣)، وأبو داود في سننه (٢/ ٢٣٣، ح: ٢١٠٢) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وحسنه العلامة الألباني.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ط هجر: (١٤/ ٢٥٣، ت: ١١٩٦٩)، ترجمة هالة بنت عوف.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدا كلها تبين عظمة الإسلام في تعامله مع الرقيق والسعي في ترقيتهم والنهوض بهم في عالم التقدم والحرية لا ليتخلصوا من الرق بل ليكونوا سادة وقادة، ورضي الله عن نافع بن عبد الحارث عندما ولَّى على سادات قريش مولى من الموالي يقال له ابن أبزى، فلما قال له عمر: استخلفت عليهم مولى، قال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فعندها أيقن عمر وقال: أما إن نبيكم قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

وفي المقابل لم يلق العبيد من الغرب إلا الاضطهاد والاستعباد والتكليف لهم بالأعمال الشاقة المضنية، التي من عملها نجا ومن رفضها هلك، بل إن العبيد في نظر الغرب أناس خلقوا لا ليعيشوا بل ليكونوا خدما للأسياد، فإذا تعطلت المصلحة المتحصلة منهم قُتِلُوا بدون أدنى شفقة، كما كان حال الأمريكان والأوروبيين مع الهنود الحمر وسكان جنوب أفريقيا مِن جرائم بشعة تُعَدُّ وصمة عار في تأريخ الغرب إلى يوم يبعثون، والأدلة في هذا موجودة ومستفيضة جدا، ولئن نسيها الإعلام فلم تنس أفريقيا بعدُ المليون الزنجي الذين أخذوا قهرا ليكونوا عبيدا للأمريكان فضلا عن موت تسعة ملايين أثناء ما كان الغرب الهمجي يسميه عملية الاصطياد للعبيد، ولم تنس أيضا تلك القوانين المخزية

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١/ ٥٥٩، ح: ٨١٧).

التي صدرها الأمريكان ولا تزال محل نقاش عند السود إلى ساعتنا هذه، وذكل مثل أن العبد إذا اعتدى على سيده قُتل، وإذا هرب قطعت يداه ورجلاه، وإذا هرب مرة أخرى قتل، ولا أدري كيف سيهرب ذلك المسكين من مستنقعات أولئك القردة بعد أن قطعوا يديه ورجليه، وكذلك الحكم بتحريم التعليم على السود، وفي بعض القوانين الهمجية أن العبيد لا نفس لهم ولا روح، ولا توجد الحياة إلا في أذرعهم لا غير.

ومن طرق هذا الباب في التأريخ وجد حقائق يندى لها الجبين، بينما لا يزال الملحد العربي إلى يومنا هذا يبكي على نساء بني قريظة، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ألا فليُعلم أن مِن أصول شريعة الغرب وقوانين العجماء ألا عيش للضعفاء، لم يتوقف الأمر في الغرب على استعباد العبيد بل واستعباد الأحرار أيضا !!.

سلوا تأريخ الإسلام عن معاملته للعبيد، لا تزال صفحاته مشرقة إلى يومنا هذا وزاخرة بنجوم تصدروا في عظماء الأمة الإسلامية بعد أن كانوا عبيدا لا يلتفت إليهم، فالمعيار في ديننا تقوى الله لا الألوان و الأنساب، فمؤذن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عبدا حبشيا أسود يطأ بقدمه السوداء. التي هي أطيب عند الله من أوجه جميع الكفار . سطح بيت الله ليندو بالأذان بين يدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول مسجد أسس في الإسلام. قباء. أَمَّ الناس فيه سالم مولى أبي حذيفة، وكان ربما صلى خلفه القرشي العدوي الحسيب النسيب عمر بن الخطاب ولا أنسى أيضا أن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة. وكان خليفة على

جميع المسلمين. قال: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته وأنا واثق به، وكان في الناس عثمان بن عفان زوج ابنتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلي ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيرهما من أحساب قريش وأنسابها[(١)]، وما زالت كتب المفسرين طافحة بذكر أقوال عكرمة مولى ابن عباس في تفسير كتاب الله تعالى، وما ذُكِر كتاب حديث إلا وذكر فيه سالم مولى ابن عمر، وعندما كان المبشر بالجنة عبد الرحمن بن عوف يمر مع عبيده لا يميز بينهم مَن رءاهم؛ لأن كان يلبس مثلهم ولا يتقدمهم، وقطز قاهر التتار كان عبدا مملوكا، وعندما مات الفاروق خليفة المسلمين صلى عليه العبد الرومي صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يصلي المهاجرون والأنصار وغيرهم من كبار الصحابة خلفه، زيد بن حارثة الذي لم يذكر أحد من هذه الأمة باسمه صريحا في القرءان غيره كان من العبيد، وقالت السيدة عائشة عندما مات: لو كان حيا لاستخلفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المسلمين[(٢)]، وسيرين الذي حرره المسلمون كان ولده محمد بن سيرين إمام المعبرين ومن خيرة علماء التابعين، لا تنتهي هنا تراجم عظماء الإسلام ممن كانوا عبيدا وموا ليا، وإذا لم يُلجَم البخيتي بما ذكرناه فليسأل إخوانه المستشرقين

---

(١) انظر ترجمته في السير: (١ / ١٦٧ - ١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣/ ٧٤، ث: ٢٥٨٩٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٩٢، ث: ٣٢٣٠٧)، وقال محققو المسند: إسناده حسن، إن صح سماع البهي وهو عبد الله من عائشة.

كـ(جوستاف لوبون) والمستشرقة الألمانية (أنا ماري شيمل) وغيرهم كالمفكر المصري النصراني (نظمي لوقا) عندما قال في كتابه محمد الرسالة والرسول: لقد سوى الإسلام بين العبدان والأحابيش وملوك قريش.

فلهذا يقال للبخيتي وأضرابه من الملاحدة العرب:

وَمَنْ يَبِعْ مَجْدَهُ فِي مِلْىءِ مِعْدَتِهِ فَلَا يُهَنِّيْهِ فِي الْشِّبْعِ الْأَمَاجِيْدُ

وفي أسطر يسيرة يحدثنا الأمريكي موطنا مالكولم إكس الزعيم السابق لعنصرية السود وتطرفهم الذي كان يلقب بالشيطان لشدة فتكه بالبيض عن سبب إسلامه وتركه للعنصرية والتطرف ونحوها في رسالته التي وجهها من مكة إلى أتباعه السود في أمريكا قائلا لهم:

ما رأيت قط كرماً أصيلاً، ولا روحاً غامرة من الأخوة كهذه التي تسود هنا بين الناس من كل لون وجنس، في هذه الأرض المقدسة، وطن إبراهيم ومحمد ... فها هنا عشرات الألوف من الحجاج قدموا من كل أنحاء العالم، ليؤدّوا المناسك نفسها بروح من الوحدة والأخوة، ما كنت أظن - بحكم خبراتي في أمريكا - أنها يمكن أن تنشأ بين البيض والسود ... وإن أمريكا في حاجة إلى أن تفهم الإسلام، لأنه هو الوحيد الذي يمكن أن يمحو المشكلة العنصرية في مجتمعها ... لقد تقابلت مع مسلمين بيض وتحدثت معهم، بل تناولت الطعام معهم! ولكن النزعة العنصرية محاها من أذهانهم دين الإسلام. إننا هنا نصلي

لإله واحد، مع أخوة مسلمين لهم أعين زرقاء كأصفى ما تكون الزرقة، ولهم بشرة بيضاء كأنصع ما يكون البياض(١).

فواعجبا كيف أظهر فرحه وسعادته بهذه العبارات الدافئة! وكيف امتلأ ذلك الجسد الأسود بهاء وفرحا عندما وجد رجلا أبيض يأكل معه؟ ولا يأنف أن يكلمه بَيْد أنه كان يعيش في غابة موحشة لا يجد من البيض هنالك إلا الإهانات والتعسفات، وإذا سلم من القتل فهو من المحظوظين، ورحم الله الفاروق عمر فقد كان يقول: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا(٢)، والله المستعان.

(١) نقلا من كتاب (ربحت محمدا ولم أخسر المسيح صـ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٧، ث: ٣٧٥٤) عن جابر بن عبد الله قال: كان عمر يقول: فذكره.

أسئلة يضعها الملاحدة مع الجواب عنها:

س١/ لماذا لم يصدر الإسلام حكما حتميا بتحرير جميع الرقيق؟

الجواب: سبق أن ذكرنا الجواب على هذه الشبهة من كتاب (الإسلام محرر العبيد) ونلخصه ونزيد عليه في الآتي:

١.أن عدد الرقيق حينئذ كان أكثر من عدد الأحرار فكان شيئا مألوفا في ذلك المجتمع، وتغيير المألوف لا يمكن إلا بمراحل.

٢.أن تحرير ذلك العدد الكبير يحتاج إلى إمكانيات كبيرة جدا لأن كافة العبيد عالة على غيرهم، فيحتاجون إلى إيواء وإطعام وإكساء وغيرها.

٣. أن السادة يحتاجون إلى تعويضات لخسائرهم المضرة بهم وسد لحوائجهم التي كان يغطيها العبيد من زراعة ورعي وأعمال متنوعة تدر عليهم الأموال الطائلة.

٤. أن الإسلام لم يكن هو المسئول عن وجود الرقيق حينئذ بل كان الاسترقاق موجودا قبل بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بل من ضروريات الحياة عند تلك المجتمعات، فتركه مباشرة متعسر أو متعذر.

س٢/ لماذا كان المسلمون يسترقون أعدائهم؟

الجواب:

أولا: هذه ليست ببدع من المسلمين بل هي موجودة في جميع الملل بل وعند من لا ينتسبون إلى الملل، فهي من قوانيين الحروب المعروفة عند الجميع، فتعيير المسلمين بها باطل بل هم كغيرهم فيها بل أحسن؛ فإن غير المسلمين معروفون بالخبث في سجونهم والتعذيب للسجناء بل القتل كما هو معروف عند الجميع من الجرائم التي يقومون بها في سجونهم ضد أسرى الحروب، ولا تخفى أخبار سجن (أبو غريب)، والسجون السرية للولايات المتحدة الأمريكية، والآن وفي ساعتي هذه مع انتشار الوباء المعروف بـ(كورونا) في العالم الذي راح ضحيته ما يقارب نصف مليون وبلغ عدد المصابين به إلى ٧ ملايين في أنحاء العالم وينتشر في الناس انتشار النار في الهشيم تجد المنظمات الدولية التي تنتسب إلى السلام وهو منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب. تنادي بضرورة إخراج السجناء الأمريكيين الذين لا يتجاوزون العشرات من بعض الدول الشرقية بيد أن في السجون الصهيونية. أكرم الله القارئ. آلاف الفلسطينيين الذين لا يجدون من يوصل إليهم الأدوية الطبية والوقايات الصحية.

وللعبد رب يحميه، ولكن أردت من هذا أن أبين نقطة مهمة وهي أن الملحد العربي يسوؤه جدا أن يصاب غير المسلم بشوكة في أخمص قدميه لأن هذا عنده من خوارم السلام ومما يوجب تحرك حقوق الإنسان لإنقاذه من هذه الشوكة

الإرهابية، وأما المجازر الوحشية التي يقيمها الغرب في المسلمين ويذهب ضحيتها الآلاف بل الملايين بمن فيهم من النساء والأطفال والعجزة فهي قانونية ولا تناقض السلام بل ويعطى أصحابها جائزة نوبل للسلام؛ لأنها توافق قانون البيت الأبيض والكنيسة الإسرائيلية أو على الأقل لا تخالفه، فكفانا هراء ودجلا وتزييفا وتزلفا فقد انكشف الستار وسقط القناع من أوجه الذئاب التي تلبست بصور بشر.

ثانيا: أن الحرب فيها نصر أو هزيمة كما هو معروف، والشخص المنتصر على خصمه إما أن يقتله أو يأسره، والقتل أشد من الأسر، فكون المسلمين كانوا يسترقونهم ولا يعذبونهم كما يفعل الأمريكان هذا دليل على كرمهم وعظيم خلقهم، مع أن الخصم لو تمكن منهم لقتل، ثم إنهم بعد أسرهم واسترقاقهم يعاملونهم أحسن المعاملة ويكرمونهم غاية التكريم ومنهم من يسلم ويحسن إسلامه.

ثم لم يكن الاسترقاق كأمر حتمي لا بد منه في الحروب بل كان الفداء أيضا معمولا به بل والمن بدون مقابل، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سبي هوازن(١)، بل قدم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المن على الفداء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٤].

(١) كما في البخاري (٣/ ١٤٧، ح: ٢٥٣٩).

س ٣/ لماذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقبل العبيد والإماء كهدايا؟

الجواب:

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخير بين أمرين، إما أن يقبلهم أو يردهم، فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يختار الأصلح والأنفع للرقيق كما قبل مارية القبطية وغيرها؛ لأن قبوله لهم من جهةٍ تحبيبٌ لهم في الإسلام مع ما فيه من الرأفة بهم والإحسان إليهم بل وفوق ذلك كله إخراج لهم من الكفر بما فيه من الظلم لهم والإساءة إليهم، ثم كونهم عبيدا للمسلمين يضاعف نسبة إعتاقهم لأن الإسلام يحض على ذلك بخلاف الأديان الأخرى التي يظل فيه العبد عبدا حتى الموت لأن هذه هي الحكمة من خلق العبيد عندهم!.

ثم لماذا لم يصدر الغرب قرارا بإعتاق كافة العبيد؟ ويتم وجود هذا القرار نظريا وعمليا؟ ثم لماذا استعبدوهم من الأصل؟! ولكن عفوا! فقد أصدر الأمريكان قرارا بتحرير كافة العبيد وخاصة الهنود الحمر وتم تحريرهم مِن على قيد الحياة بالكلية!!

وإن قال قائل:

س ٤/ لماذا لم يعتقهم النبي عليه الصلاة والسلام فورا؟

الجواب:

أن غالب الرقيق من النساء والأطفال وعامتهم من المعدمين والمستضعفين الذين يحتاجون إلى رعاية واهتمام من جهة السيد المالك، وفي إعتاقهم قبل أن يتمكن الإيمان من قلوبهم مفسدة عائدة عليهم وعلى غيرهم؛ ولأن بعضهم أَلِف الرق فلا يستطيع أن يقيم نفسه كالحر، ثم أيضا لقد تم الحض على تحريرهم واعتاقهم، ثم أيضا من لم يدخل في عبودية الله فهو أحق بأن يبقى في عبودية العبيد، ونحو هذا من الأمور التي لا يسع العاقل اختيار غيرها.

٩ ـ العقل في الإسلام

إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق جميع الكائنات من العدم، وفضل بعضها على بعض، وجعل أسباب التفضيل متنوعة مختلفة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٦٨]، فيخلق الله ما يشاء ويصطفي من يشاء بما يشاء، ولقد كرم الله عَزَّوَجَلَّ الناس بالعقل وميزهم به عن غيرهم من الجمادات والبهائم العجماوات، وكرم الله بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٧٠]، ومن تكريم الله عَزَّوَجَلَّ لبني آدم أن جعل فيهم غريزة العقل الذي هو مناط التكليف ومحل التمييز بين الحق والباطل والخير والشر والنافع والضار بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ.

والعقول هي محل التفكير وإنتاج الأفكار المتنوعة والآراء المختلفة وقد يحصل في معقولات الناس نوع اختلاف واضطراب فتختار طائفة من الناس الحق في شيء ما بينما تراه الطائفة الأخرى باطلا، ولهذا كان من حكمة الله جَلَّوَعَلَا أن أرسل رسله وأنزل كتبه؛ لتكون ميزانا لآراء الناس، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٣]

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٤١]، فجعل الله عَزَّوَجَلَّ الشرع حاكما على العقل وميزانا لآرائه وأفكاره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية:

لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة، بحيث استجاب لها كل من فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج التي أوصلها إلى العباد، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١٧] فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، مما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت

أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك مَنْ خَبَرَ المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان[(١)].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم يبين أنه جعل للعباد الآيات والأحكام والشرائع لعلهم يعقلون ويتفكرون كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٦٣-١٦٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ: ٢-٤]، وقال تعالى:

---

(١) تفسير السعدي (٧٥٦).

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ :٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٤﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ :٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٧٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ :٢]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦١﴾ [سُورَةُ النُّورِ :٦١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ :٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ :٣]، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٢٦٩]، وقال تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ :١٩]، وعندما يرد الله عَزَّوَجَلَّ على المعترضين يبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أقوالهم تخالف العقل وأنهم لو استخدموا عقولهم وأعملوا أفكارهم لم يقعوا في الضلال الذي وقعوا فيه، فمن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٤٤]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٥﴾ [سُورَةُ

آل عمران: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٣٢]، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٦٩] وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ١٦] وقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سُورَةُ هُودٍ: ٥١] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ١٠٩] وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ: ١٠] وقوله عن نبيه إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ: ٦٦–٦٧] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ٧٨–٨٠] وقوله عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢٨] وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٦٠] وقوله: ﴿۞ أَلَمْ

أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سُورَةُ يسٓ: ٦٠-٦٢] وقوله: ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٣٣-١٣٨].

وهكذا يذكر الله عَزَّوَجَلَّ الذين لا يعقلون في مقام الذم كما قال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٧١] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٥٨] وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٦٣] وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٤٣].

فالإسلام ليس كما يدعي أعداؤه أنه دين لا يهتم بالعقل أوأنه يقلل من شأن العقل، بل العكس هو الصواب؛ يحث الإسلام على إعمال العقل والاهتمام به فهو مناط التكليف في ديننا الحنيف، ولهذا من سقط عقله سقط تكليفه كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يعقل**»(١).

والخلاصة: أن القول بأن الإسلام لا ينظر إلى العقل ولا يعيره أي اهتمام قول باطل؛ بل جعل الله عَزَّوَجَلَّ للعقل مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في حدود ما يستطيعه العقل ويدركه، ولم يحمله الله جَلَّجَلَالُهُ ما لا طاقة له به مما ليس له إليه مجال، وإدراكه له من أشد المحال، والله أعلم.

---

(١) صحيح.

رواه أبو داود (٤/ ١٤١، ح: ٤٤٠٣) واللفظ له، والترمذي (٤/ ٣٢، ح: ١٤٢٣) عن علي مرفوعا، وصححه العلامة الألباني.

١٠ ـ عقلانيون أم مهرجون؟

إليك أيها القارئ أدع الجواب وأعتقد أنك لن تختار غير الصواب، وسأنزل في هذه الفقرة اليسيرة مثالاً واحداً يشهد لما عنونته وييسر لك الجواب عما سألته، وضيفنا في هذه الفقرة هو كبير العقلانيين (ديكارت)، الذي يعد أبا للفلسفة الحديثة، وبالنظر في حال الأب يتبين حال الأبناء !!.

إن هذا الديكارت قدم أعظم إنجاز للبشرية بل للعالم أجمع، وهذا الإنجاز الكبير لم يستطع كافة العقلاء المتقدمين من عهد آدم عليه السلام إلى عهد ديكارت إنجازه واكتشافه، إلى أن جاء فنال شرف اكتشافه ونشره بين الناس؛ ليتيقنوا من أنهم موجودون أم أنهم غير موجودين؟!! لقد كانت البشرية كلها في حكم المعدوم المجهول حتى أثبت لها المخترع الشهير والعقلاني الكبير (ديكارت) وجودها، فخرجت بعد ذلك من حيز العدم إلى الوجود، وسبب هذا الاكتشاف أن ديكارت لم يكن متأكدًا تأكدًا تامًا من وجوده، فكان في حيرة مِن أمره هل هو موجود أم مفقود؟ وهل هو كائن حي أم ميت؟ وظل شاكًّا من وجوده مدة من الزمن غير قصيرة حتى وجد دليلاً يثبت به وجوده، وهذا الدليل العليل هو أنه بعد عناء كبير وجهد غير يسير اكتشف أنه موجود وليس بمفقود ببرهان: (أنا أفكر إذن أنا موجود)، يعني: أن ديكارت شيخ الفلاسفة والعقلانيين ليس متأكداً هل هو موجود أم مفقود!

وهنا السؤال يقول: لو أن ديكارت ما وجد الدليل؟ ثم هل يحتاج الإنسان إلى أن يبحث عن دليل على وجوده؟ ثم أضف إلى هذا أن دليل ديكارت دليل خاطئ، وأن وجودنا هو أعظم دليل على وجودنا، ولا نحتاج إلى أن ندلل عليه، ثم قوله: (أنا أفكر إذن أنا موجود)، غلط بين؛ لأن الحجر بل والجمادات كلها لا تفكر وهي موجودة، فليس مجرد التفكير دليلا على الوجود إذ أن مفهوم الدليل العكسي أن يقال: (أنا لا أفكر إذن لست بموجود) وهذا باطل قطعا؛ لأن من الموجودات ما لا يفكر مع أنه موجود، فصار كلام ديكارت كما يقال: حشف وسوء كيل، أخطأ في البحث عن الدليل على وجوده، ثم أخطأ مرة أخرى في اختيار الدليل.

ومن هنا أترك للقارئ الاختيار هل ترضى بأمثال هؤلاء أن يكونوا قادة للعالم؟ وأن يهتدي بهم الناس؟ وأن يعمل بكلامهم ويترك كلام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بل وكلام الله عَزَّوَجَلَّ لنتبع كلام هؤلاء المهرجين المتهوكين؟

إنا والله لنزداد بقراءة كلامهم حمدًا لله عَزَّوَجَلَّ على نعمة الإسلام ونعمة العقل الذي أكرمنا الله به وحرَمه كثيرا من الناس ومنهم هؤلاء العقلانيون أو بمعنى أوضح المهرجون.

١١ ـ الإسلام يخالف العقل أم يحالفه؟

لقد شوه العقلانيون بدعاواهم الباطلة واتهاماتهم العائلة صورة الإسلام الحسنة الجميلة وأخرجوه للناس في قالب جهل وتخلف وتحجر وهذا الكلام وبالأصح الترهات يكذبها واقع الإسلام فهذه أحكام الإسلام في كتاب الله وسنة رسول الله تمتلئ بها مكاتب العالم، فإذا أردت أن تنظر في أحكام هذا الدين ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والتعاملية والأخلاقية فدونكها في دواوين السنة التي تظهرها بفخر وعز أمام جميع العالم وحقيقة الأمر كما قال بعضهم:

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلَا تَدْنُوا فَتُبْصِرَ مَا   قَدْ حَدَّثُوْكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

ولسنا كالعقلانيين الذين يظهرون ما لهم ويخفون ما عليهم مما خلفه مَن قبلهم مِن أسلافهم الذين مضوا فنحن نظهر جميع جوانب ديننا لأننا نعلم علما يقينيا جازما أن كل ما جاء به الرسول حق لا ريب فيه ومن هذه الأحكام التي جاء بها الدين الإسلامي محالفة للعقل ما يلي:

١ - تحريم الزنا يحالف العقل.

٢ - تحريم الربا يحالف العقل.

٣ - تحريم اللواط يحالف العقل.

٤ - تحريم الغش يحالف العقل.

٥ - تحريم الخمر المذهبة للعقل يحالف العقل.

٦ – تحريم أكل أموال الناس بالباطل يحالف العقل.

٧ – تحريم الكذب يحالف العقل.

٨ – تحريم الظلم يحالف العقل.

٩ – تحريم عقوق الوالدين يحالف العقل.

١٠ – تحريم الإضرار بالآخرين يحالف العقل.

١١ – تحريم الاستبداد يحالف العقل.

١٢ – تحريم الاحتكار يحالف العقل.

١٣.تحريم الاختلاط يحالف العقل.

١٤.تحريم أكل الميتة يحالف العقل.

١٥.وجوب غسل اليدين ثلاثا عند الاستيقاظ يحالف العقل.

١٦.إرجاع الذباب الذي وقع في الإناء إليه مرة أخرى يحالف العقل.

١٧.إيجاب دفن الميت يحالف العقل.

١٨.إيجاب الاغتسال على الجنب يحالف العقل.

وغيرها كثير جدا بل من الضروريات الخمس التي عني الإسلام بحفظها العقل، ولعل فيما ذكرته الكفاية لكي يتبين لجميع العقلاء بل ولجميع المسلمين أن هذا الدين العظيم يحالف العقل في جميع أحكامه ولكن العلمانيين الملاحدة أعجموا الحاء المهملة مغالطة لأعشى البصر والبصيرة.

١٢ ـ العقل طريق من طرق العلم وليس كل طريق

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن طرق العلم الحس والعقل والمركب منهما، فالمعلومات ثلاثة أقسام:

أحدهما: ما يعلم بالعقل

والثاني: ما يعلم بالسمع

والثالث: ما يعلم بالعقل والسمع

وكل منهما ينقسم إلى ضروري ونظري وإلى معلوم ومظنون وموهوم فليس كل ما يحكم به العقل علما بل قد يكون ظنا وقد يكون وهما كاذبا كما أن ما يدركه السمع والبصر كذلك فلا بد من حكم يفصل بين هذه الأنواع ويميز بين معلومها ومظنونها وموهومها فإذا اتفق العقل والسمع والعقل والحس على قضية كانت معلومة يقينية وإن انفرد بها الحس عن العقل كانت وهمية كما ذكر من أغلاط الحس في رؤية المتحرك أشد الحركة وأسرعها ساكنا والساكن متحركا والواحد اثنين والإثنين واحدا والعظيم الجرم صغيرا والصغير كبيرا والنقطة دائرة وأمثال ذلك.

فهذه الأمور يجزم بغلطها تفرد الحس بها عن العقل وكذلك حكم السمع قد يكون كاذبا وقد يكون صادقا ضرورة ونظرا وقد يكون ظنيا فإذا قارنه العقل كان حكمه علما ضروريا أو نظريا كالعلم بمجرد الأخبار المتواترة فإنه حصل بواسطة السمع والعقل فإن السمع أدى إلى العقل ما سمعه من ذلك والعقل حكم بأن

المخبرين لا يمكن تواطؤهم على الكذب فأفاده علما ضروريا أو نظريا على الاختلاف في ذلك بوجود المخبر به والنزاع في كونه ضروريا أو نظريا لفظي لا فائدة فيه.

وكذلك الوهم يدرك أمورا لا يدري صحيحة هي أم باطلة فيردها إلى العقل الصريح فما صححه منها قبله وما حكم ببطلانه رده فهذا أصل يجب الاعتناء به ومراعاته وبه يعلم الصحيح من الباطل فإذا عرف هذا فمعلوم أن السمع الذي دل العقل على صحته أصح من السمع الذي لم يشهد له عقل ولهذا كان الخبر المتواتر أعرف عند العقل من الآحاد وما ذاك إلا لأن دلالة العقل قد قامت على أن المخبرين لا يتواطؤون على الكذب وإن كان الذي أخبروا به مخالفا لما اعتاده المخبر وألفه وعرفه فلا تجد محيدا عن تصديقهم فالأدلة العقلية البرهانية على صدق الرسل وتثبيت نبوتهم أضعاف الأدلة الدالة على صدق المخبرين خبر التواتر فإن أولئك لم يقم على صدق كل واحد منهم دليل وإنما أفاد اجتماعهم على الخبر دليلا على صدقهم والرسل صلاة الله وسلامه عليهم قد قامت البراهين اليقينية على صدق كل فرد منهم وقد اتفقت كلمتهم وتواطأ خبرهم على إثبات العلو والفوقية لله وأنه على عرشه فوق سماوات بائن من خلقه وأنه مكلم متكلم آمر ناه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويحب ويبغض.

فإفادة خبرهم العلم لمخبره أعظم من إفادة الأخبار المتواترة لمخبرها فإن الأخبار المتواترة مستندة إلى حس قد يغلط وأخبار الأنبياء مستندة إلى وحي لا

يغلط فالقدح فيها بالعقل من جنس شبه السوفسطائية القادحة في الحس والعقل ولو التفتنا إلى كل شبهة يعارض بها الدليل القطعي لم يبق لنا وثوق بشيء نعلمه بحس أو عقل أو بهما[١].

(١) الصواعق المرسلة (٣ / ٨٧٠.٨٧٣).

١٣ ـ العقل مخاطَب أم مخاطِب؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن هؤلاء عكسوا شرعة الله وحكمته وضادوه في أمره فإن الله سبحانه جعل الوحي إماما والعقل مؤتما به وجعله حاكما والعقل محكوما عليه ورسولا والعقل مرسلا إليه وميزانا والعقل موزونا به وقائدا والعقل منقادا له فصاحب الوحي مبعوث وصاحب العقل مبعوث إليه والآتي بالشرع مخصوص بوحي من الله وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي وفكرة وصاحب الوحي ملقى وصاحب العقل كادح طالب هذا يقول أمرت ونهيت وأوحى إلي وقيل لي وما أقول شيئا من تلقاء نفسي ولا من قبل عقلي ولا من جهة فكري ونظري وذاك المتخلف يقول نظرت ورأيت وفكرت وقدرت واستحسنت واستنتجت والمتخلف يقول معي آلة المنطق والكليات الخمس والمقولات العشر والمختلطات والموجهات أهتدي بها والرسول يقول معي كتاب الله وكلامه ووحيه والمتخلف يقول معي العقل والرسول يقول معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي والرسول يقول قال الله كذا قال جبريل عن الله كذا والمتخلف يقول قال أفلاطون قال بقراط قال أرسطو كذا قال ابن سينا قال الفارابي.

فيسمع من الرسول ظاهر التنزيل وصحيح التأويل وشرع سنة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخبر عن السماء والملائكة واليوم الاخر ويسمع من الآخر الهيولى والصورة والطبيعة

والاستقص والذاتي والعرض والجنس والنوع والفصل والخاصة والأيس والليس وعكس النقيض والعكس المستوي وما شاكل هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي إلا من رضي لنفسه بما يرضى به هؤلاء المتخلفون لأنفسهم ورغب فيما رغبوا فيه وبالجملة فهما طريقان متباينان فمن أراد أن يتمعقل بعقول هؤلاء فليعزل نظره عن الوحي ويخلي بينه وبين أهله ومن أحب أن يكون من أهل العقل والوحي فليعتصم بالوحي ويستمسك بغرز من جاء به ويسلم إليه أعظم من تسليم الصبي لأستاذه ومعلمه بكثير فإن التباين الذي بين النبي وبين صاحب المعقول أضعاف أضعاف التباين الذي بين الصبي والأستاذ.

ومن العجب أن هؤلاء المقدمين عقولهم على الوحي خاضعون لأئمتهم وسلفهم مستسلمون لهم في أمور كثيرة يقولون هم أعلم بها منا وعقولهم أكمل من عقولنا فليس لنا أن نعترض عليهم فكيف يعترض على الوحي بعقله من نسبته إليه أدق وأقل من نسبة عقل الطفل إلى عقله وجماع الأمر أن قضايا المعقول مشتملة على العلم والظن والوهم وقضايا الوحي كلها حق فأين قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ من قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته[١].

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٠ـ ٨٩٤).

١٤ ـ لا يعارض الشرع إلا معلوم فساده بالعقل الصريح والنقل الصحيح

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الوجه الخمسون: أن يقال كل ما عارض السمع من العقليات ففساده معلوم بالعقل وإن لم يعارض السمع فلسنا متوقفين في إبطاله والعلم بفساده على كونه عارض السمع بل هو باطل في نفسه وفي معارضة السمع له دليل سمعي على بطلانه فقد اتفق على فساده وبطلانه دليل العقل والسمع وما كان هكذا لم يصلح أن يعارض به عقل ولا سمع وتفصيل هذه الجملة ببيان شبهة المخالفين للسمع وبيان فسادها ومخالفتها لصريح العقل وهذا الأمر بحمد الله لم يزل أنصار الرسول يقومون به ويتكفلون ببيانه وهم فيه درجات عند الله على منازلهم من العلم والإيمان والبيان ولا ترى مسألة واحدة عورض بها الرسول إلا وقد ردها أنصاره وحزبه وبينوا فسادها وسخافة عقل أربابها المعارضين بها في كل نوع من أنواع العلم وقد أجرى الله سنته وعادته أن يكشف عن عورة المعارض ويفضحه ويخذله في عقله حتى يقول ما يضحك منه الإنسان كما خذل المعارض بكلامه حتى أضحك عليه الناس فيما عارضه به وهذا من إتمام أدلة النبوة وبراهين صحة الوحي أن تجد المعارض له يأتي بما يضحك منه العقلاء فلعل قائلا يقول ما جاءت به الرسل قد يكون له معارض صحيح فإذا وقف على المعارض وسخفه وتحقق بطلانه زاده قوة في إيمانه ويقينه وصار ذلك بمثابة رجل ادعى أن معه طيبا ليس مع أحد مثله ولا مثل ريحه فعارضه آخر بأن معه مثله أو أفضل منه فلما

أخرجه إذ هو أنتن شيء وأخبثه ريحا ولكن هناك عقول جعلية نشأت في النتن والحشوش فلا تألف غير ما نشأت فيه[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من آمن بالله ورسوله إيماناً تاماً، وعلم مراد الرسول قطعاً تيقن ثبوت ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة من جنس شبه السوفسطائية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١٦][(٢)].

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٠٥-٩٠٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١).

١٥ ـ لو تعارضا فأيهما يقدم؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل [(١)].

ومن هنا يتبين للقارئ الكريم أن هؤلاء الحثالة الذين ينفون وجود الله ويزعمون أننا وجدنا في الأرض عبثا ينتسبون إلى العقل ادعاء لا غير، فإن خالفهم عاقل فيما يذهبون إليه من الجنونيات صاحوا في وجهه قائلين خالفت العقل، ويأتون بالكلام المزهنق المرتب المرصع بالكذب والسفسطة، ويضيفون إليه شيئا من السخرية والدجل فينفق عند مزجي البضاعة وقليل العلم والفهم والأناة، فعلى العباد أن يتقوا الله وأن يراقبوا الله لقد خلق الله سماء ذات أبراج وأرضا ذات فجاج خلق الله النجوم والكواكب والشمس والقمر والأرض وجعل كلا في فلك يسبحون وفي نظام محكم متزن يسيرون ثم في هذا العالم الواسع المتناهي الأطراف يأتي شخص حقير. إذا أصابته شوكة صعب عليه الحراك. يدعي أن الله لا يستطيع أن ينظم حياة الناس بشريعته السماوية، عقول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨).

مسخها باريها، لا تتكبر على الله وأعلم أنك مهما بلغت في الذكاء والعلم والقوة والتقدم والتطور المادي أن قوة الله أشد وملكه أعظم وعلمه لا منتهى له سبحانه.

وانظروا يا معشر مَن على الأرض إلى أحوال الناس في هذه الأيام كيف أبان الله قوته وضعفهم وقدرته وعجزهم عبر فيروس صغير لا يرى بالعين المجردة ورغم هذا أفزع العالم بأسره ولم يُستطع إلى ساعتنا هذه إيجاد علاج ناجع له مع بلوغ عدد القتلى من جرائه أكثر مِن ٣٠٠٠٠٠ شخص.

بل أصدر رئيس أمريكا ترامب مقالة يوم الأحد ١٥ مارس ٢٠٢٠م يدعوا فيها العالم إلى الرجوع إلى الله بالدعاء والصلاة ليرفع الله هذا الوباء معلنا بلسان حاله عجز العالم بأسره عن الوقوف أمام قوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو كسابقيه من الكفار كما ذكر الله حالهم في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٣﴾ [سُورَةُ يُونُسَ :٢٢-٢٣] والحديث يجر بعضه بعضا فلهذا أذكر لك مقالة نشرتُها في بعض المجموعات حول هذا الموضوع:

صفعة في وجوه الملاحدة

في ظل الأحوال المرعبة التي يعيشها الناس في عصرنا هذا أمام الوباء الخطير الذي يهدد العالم أجمع (كورونا) ينشر بعض إخواننا الفضلاء مقالات مفيدة للمجتمعات أن يتوجهوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء والصلاة والتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليكشف الله ما نزل بهم من البلاء وفي الجانب الآخر يبقبق الملاحدة كعادتهم مستهزئين بمثل هذه التوجيهات الربانية ويقولون على سبيل التعيير (الغرب في المختبرات يبحثون عن علاج لهذا الفيروس وأنتم تثرثرون) فهل الملحد الغبي الآن في المختبرات أم أنه يثرثر معنا؟ لا التفات إلى كلام الملاحدة كالبخّيتي وغيره لأنهم كعادتهم لا للخير نصروا ولا للشر كسروا لم يقعدوا مع الغرب في المختبرات بحثا عن الدواء ولم ينشروا للناس التوجيهات التي تنفعهم ولسنا بصدد البحث عن فعالية الدعاء في مكافحة هذا الفيروس ولكننا نشرنا كلام الملاحدة التعييري لما حصل في واقعنا مما يخالف كلامهم ويناقضه مما نشره الرئيس الأمريكي ترامب في يومنا هذا الأحد ١٥ من شهر مارس للعام ٢٠٢٠م مقالة يحث فيها الناس على الإقبال على الله والاهتمام بالدعاء فهل سيطلق الملاحدة تلك المقالات الساخرة على كلام ترامب كما يطلقونها على كلام علمائنا أم أنهم لن يجسروا على ذلك وسيعترفوا بحقيقة الحال التي هم عليها من المكر والخداع وسوء القصد وحب التشويه للإسلام والمسلمين؟ ا.هـ.

١٦ـ الأدلة العقلية لا تنضبط !!

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثاني: أن الأدلة العقلية القطعية ليست جنساً متميزاً عن غيره، ولا شيئاً اتفق عليه العقلاء، بل كل طائفة من النظار تدعي أن عندها دليلاً قطعياً على ما تقوله، مع أن الطائفة الأخرى تقول: إن ذلك الدليل باطل، وإن بطلانه يعلم بالعقل، بل قد تقول: إنه قام عندها دليل قطعي على نقيض قول تلك الطائفة، وإذا كانت العقليات ليست متميزة، ولا متفقاً عليها، وجوز أصحابها فيما لم يعلمه أحدهم بالاضطرار من أخبار الرسول أن يقدمها عليه. لزم من ذلك تكذيب كل من هؤلاء بما يعلم غيره بالاضطرار أن الرسول أخبر به.

ومعلوم أن العلوم الضرورية أصل للعلوم النظرية، فإذا جوز الإنسان أن يكون ما علمه غيره من العلوم الضرورية باطلاً جوز أن تكون العلوم الضرورية باطلة، وإذا بطلت بطلت النظرية، فصار قولهم مستلزماً لبطلان العلوم كلها، وهذا مع أنه مستلزم لعدم علمهم بما يقولونه، فهو متضمن لتناقضهم، ولغاية السفسطة[(١)].

وبعد أن تم هدم الأصل الأول للبخيتي ننتقل إلى الأصل الثاني لهدمه فبنيان الملاحدة مبنية على المكر والتلبيس سرعان ما يتم تساقطها وبهدم القاعدة يسقط

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٨٣).

السقف الذي بني عليها كما قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٢٦].

أصل البخيتي الثاني

وهو: أن محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يكن نبيا مرسلا من عند الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ولكن لذكائه أقنع الناس أنه نبي من عند الله فصدقوه.

١. قال البخيتي: عندما أكتب في مقالاتي: النبي محمد، أو: الرسول محمد، أكتبه باعتباره اسم الشهرة لا باعتبار ذلك إقرار بالصفة الواردة فيه[(١)].

٢. ونشر في مدونته[(٢)]:

أنا مؤمِن بالعقل ليَسِ بَغْيرِه ... فهو الرسوُل بِه ارتضيُت نبيا

لا تنطلي فوقي خرافُة كاذِب ... باِسم الإلِه أتى يكوُن وصّيا

٣. وقال: الله أرسل لكم العقل لا سواه[(٣)].

٤. وقال: لو عاد النبي محمد لعاد كمهاتير[(٤)].

(١) المدونة / "النبي محمد" اسم الشهرة / علي البخيتي.

(٢) المدونة / الشاعر ماجد الحجاجي في معلقته مادحًا لـ صحيحا لبخيتي وأفكاره/ علي البخيتي ١٨ نوفمبر ٢٠١٩.

(٣) T علي البخيتي ١٢ / ١٢ / ٢٠١٩م ٨:٤٩ ص.

(٤) T علي البخيتي ٦ / ١٢ / ٢٠١٩م ١:٥٧ ص.

٥. وقال: أنا قلت إن محمد كانُ مصلحًا اجتماعيًا عظيمًا وعبقريًا وفلتة من فلتات الزمن، وكان من يحمل تلك الصفات في منطقة الجزيرة العربية وبلاد الشام في ذلك الزمن الغابر يوصف بأنه نبي من الله، والنبي محمد اعتقد فعًلا أنه مبعوث من الله، ولم أتهمه بالكذب مطلقًا، فتلك كانت ثقافة منطقة وعصر بأكمله، وكان في المنطقة آلاف الأنبياء، انقرضت أغلب دياناتهم[(١)].

٦.وقال: حاولت تذكر شيء قبل قليل قلت بصوت عال وأنا أضع كفي على جبهتي (اللّٰهم صلي وسلم عليه وعلى آله)، نسيت (الإسلام الاجتماعي)؛ ُعدت لضبط المصنع؛ لقد غزوا وعينا الباطن بقوة؛ لذا أعذر كثير ممن لم يتقبل بعد ما أطرحه[(٢)].

٧. وقال: كان هناك دور رئيسي لورقة بن نوفل في الوحي بالقرآن، وطالما هناك دور لورقة فهذا لا يمنع وجود دور لآخرين لم تتطرق لهم عائشة، وسكوتها عنهم لا ينفي وجودهم، وبالأخص أنه ليس من صالح المؤرخين المسلمين التركيز على نقل ما قد يكون مطعنًا في نبوة رسولهم. الأولى: أن ذهاب خديجة

---

(١) المدونة: عن ورقة بن نوفل وعلاقته بنبوة محمد... مناظرة بين بلال الزهيري وعلي البخيتي/ ٢٦ نوفمبر ٢٠١٩.

(٢) المدونة: ومضات تنويرية/ ١٢ / علي البخيتي ٢٧ نوفمبر ٢٠١٩.

بمحمد الى عنده يدل على أن وعي ورقة كان أعلى من محمد، والثاني ان كثير من العميان أكثر إبصارًا من المبصرين أنفسهم(١).

(١) المدونة: عائشة من قال إن لـ ورقة بن نوفل دور في كتابة القرآن لمحمد لا علي البخيتي/ ٢٧ نوفمبر ٢٠١٩.

نقض الأصل الثاني:

قبل أن أشرع في إثبات نبوة رسول الله ـ أفضل خلق الله ـ لا بد وأن أروي غليلي وأشفي عليلي وأشن حربا هذا زمانها وذا مكانها على كل قرد نجس وكلب دنس نبح فلم يسمع نباحه فوجب علينا كفاحه.

لِأَنَّ الْكَلْبَ بَيْنَ الْأُسْدِ عَارٌ   تَوَجَّبَ قَطْعُ أَدْبَارِ الكِلَابِ

يتطاول على الجناب العلي الطاهر الزكي الصفي النقي خير البشر ونجم الدرر من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين فأبان به الملة وكثر به القلة ورفع به الذلة شرح له صدره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

نَهَقْتُمْ نَعَقْتُمْ مَّا أَجَبْنَا بِكِلْمَةٍ   وَجِئْتُمْ عِظَامًا مَا هُدِيتُمْ
فَلَمَّا وَقَعْتُمْ فِي جَنَابِ مُحَمَّدٍ   زَأَرْنَا أُسُودًا كَيْ تَكُفَّ كِلَابَهَا

إنه نبي الله وأنت قرد من شرار القرود، إنه رسول الله وأنت بغل من بغال اليهود، إنه خليل الله وأنت عبد تشترى بالنقود، والله ما خلق الإله ولا برى فوق الثرى خلقا أعز وأطهر مِن أحمد خير الورى صلى عليه ربنا وسلما ما طار طير وسما في السماء وما بكى طفل وما تبسما.

أَتَطْعَنُ فِي عِرْضِ الْنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   خَسِئْتَ الْدَّهْرَ كَذَّابًا خَنِيْعًا
سَأَجْعَلُ مُهْجَتِيْ وَدَمِيْ   لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ حِصْنًا مَنِيْعًا

أشهره صارما مسلولا لكل ناف كونه رسولا من ملحد جاحد ويهودي حاقد أرخص من بعرة وأغبى من بقرة ذي عقل فاسد وفكر راكد أنشر أضراره وأظهر أخباره وأهتك أستاره وأكشف أسراره من خمر ودعارة ودجل ونكارة ودناءة واضحة ودياثة فاضحة.

فَوَاللهِ مَا سَامَى الْبُخَيْتِيُّ بِنَعْلِ رَسُوْلِ اللهِ بَلْ هِيَ أَرْفَعُ
وَيَأْبَى الْثُرَيَّا أَنْ يُقَارَنَ رِفْعَةً بِمَا فِي الْثَّرَى مِمَّا يُوَارَى

فيا أيها الكلب المسعور أتقول في النبي مهتور، والله لأجعلنك مدحورا، وعدوك مسرورا، ودمك مهدورا، ولأرسلن عليك صواعق وحوارق وطوارق ومواحق، تسد فاك وتدق قفاك ولأجعلنك عبرك لمن وراك ومُثْلة وضحكة لمن يراك.

فأحرفي حطب من فوقها لهب تصليك نارا في الدنيا تلاظيها

لقد وعد الله بحفظه ونصره وتأييده وعصمته من الناس ورفعه، فأنى يُخفض ما رفع!

وإلى القارئ الكريم أكتب هذه الوريقات التي تستبين بها صحة نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعقل والنقل وتجارب الأمم الماضية وسننهم وغيرها من البديهيات مما يكون إنكاره في غاية المكابرة الصريحة التي تدل على جهل قائلها والمنتسب إليها وبالله الإعانة:

إن بيان نبوة محمد عليه الصلاة والسلام على معناها الحقيقي أي أنها وحي من الله عز وجل لا بالاكتساب من العقل المجرد لا بد فيه من تقرير أمرين اثنين للبخيتي ومن كان على شاكلته، وهما:

الأول: **إثبات جنس الرسالة العامة.**

الثاني: **إثبات رسالة محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الخاصة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْكَلَامَ فِي النُّبُوَّاتِ تَارَةً فِي جِنْسِهَا، وَتَارَةً فِي شَخْصِ النَّبِيِّ الْمُعَيَّنِ[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَإِنَّ النَّاسَ فِي النُّبُوَّةِ عَلَى دَرَجَاتٍ: مِنْهُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ جِنْسَ النُّبُوَّةِ فَيُصَدِّقُ بِجِنْسِ الرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ لَا يُكَذِّبُ بِالْجِنْسِ كَمَا كَذَّبَ بِذَلِكَ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَغَيْرِهِمْ، وَلِهَذَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ١٤١] لِأَنَّ تَكْذِيبَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ بَلْ كَانُوا مُكَذِّبِينَ لِجِنْسِ الرُّسُلِ، وَهَؤُلَاءِ يُخَاطِبُهُمُ اللهُ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩١] فَاحْتَجَّ بِإِنْزَالِ كِتَابِ

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٥٢٠).

مُوسَى لِمَا تَوَاتَرَ فِي خَبَرِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، وَالْإِنْجِيلُ تَبَعٌ لِلتَّوْرَاةِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩٢] لَمَّا قَامَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُزُولِهِ، وَلِهَذَا يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ مِنْ تَثْبِيتِ أَمْرِ الرُّسُلِ، وَآيَاتِهِمْ، وَبَرَاهِينِهِمْ، وَحُسْنِ عَاقِبَتِهِمْ، وَمِنْ ضَلَالِ مُخَالِفِيهِمْ، وَجَهْلِهِمْ، وَغَيِّهِمْ، وَخِذْلَانِهِمْ، وَسُوءِ عَاقِبَتِهِمْ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُقِرُّ بِالرُّسُلِ فِي الْجُمْلَةِ لَكِنْ لَا يُؤْمِنُ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِيقَةِ إِرْسَالِهِمْ كَالْمَلَاحِدَةِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ الَّذِينَ يُعَظِّمُونَ الْأَنْبِيَاءَ مَعَ اعْتِقَادِهِمْ فِي الْبَاطِنِ مَا يُنَاقِضُ بَعْضَ مَا جَاءُوا بِهِ لِشُبُهَاتٍ انْعَقَدَتْ فِي قُلُوبِهِمْ ظَنُّوهَا عُلُومًا عَقْلِيَّةً، وَهِيَ مُنَاقِضَةٌ لِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يُوَفِّقُوا بَيْنَهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يُشْبِهُونَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٦٠-٦٣][1].

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

الأمر الأول: إثبات جنس الرسالة العامة

أقول وبالله التوفيق إن جنس النبوة ثابت من وجوه كثيرة جدا، وقبل أن أشرع في ذكرها أضع مقدمة نافعة ذكرها الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى:

قال: الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان؛ لأنهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالته وإقامة حجته على خلقه، والإيمان بهم يعني التصديق برسالتهم والإقرار بنبوتهم، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وقد بلغوا الرسالات، وبينوا للناس ما لا يسع أحدًا جهله.

والأدلة على وجوب الإيمان بالرسل كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٧٧] وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٥٠-١٥١] ففي هذه الآيات قرن الله الإيمان بالرسل بالإيمان به - سبحانه - وبملائكته وكتبه، وحكم بكفر من فرق بين الله ورسله؛ فآمن ببعض وكفر ببعض. وبَعْث الرسل نعمة من الله على البشرية؛ لأن حاجة البشرية إليهم ضرورية؛ فلا تنتظم لهم حال، ولا يستقيم لهم دين؛ إلا بهم، فهم يحتاجون إلى الرسل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الله - سبحانه

- جعل الرسل وسائط بينه بين خلقه، في تعريفهم بالله وبما ينفعهم وما يضرهم، وفي تفصيل الشرائع، والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه؛ فلا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهة الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفصيل هذه الأمور، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٣] وحاجة العباد إلى الرسالات أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب؛ فإن غاية ما يحصل بعدم وجود الطبيب تضرر البدن، والذي يحصل من عدم الرسالة تضرر القلوب، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم، فإذا ذهبت آثار الرسالة من الأرض؛ أقام الله القيامة.

والرسل الذين ذكر الله أسماءهم في القرآن يجب الإيمان بأعيانهم، وهم خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨٣] إلى قوله: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨٦] والباقون - وهم سبعة - ذكروا في آيات متفرقة، ومن لم يسَّم في القرآن من الرسل؛ وجب الإيمان به إجمالاً؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٧٨] وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٦٤] إلى أن قال الشيخ ـ حفظه الله ـ:

هذا؛ والنبوة تفضل واختيار من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٧٥] وليست النبوة كسبا يناله العبد بالجد، والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب النفس وتنقية الخاطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس؛ كما يقول الفلاسفة أنه يجوز اكتساب النبوة؛ حيث يزعمون أن من لازم المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة؛ فإنها تنصقل مرآة باطنه، وتفتح بصيرة لبه، ويتهيأ ما لا يتهيأ لغيره.

فللنبوة عند الفلاسفة ثلاث خصائص:

الأولى: القوة العلمية؛ ينال العلم بدون تعلم، بل بطريق القوة.

الثانية: قوى التخيل؛ بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانية تخاطبه ويسمع الخطاب منها.

الثالثة: قوة التأثير في الناس، وهي التي يسمونها التصرف في هيولي العالم.

وهذه الصفات عندهم تحصل بالاكتساب ولهذا؛ طلب النبوة بعض المتصوفة؛ فهي عندهم صنعة من الصنائع، وهذا قول باطل يرد عليه قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٧٥] فالنبوة اصطفاء من الله حسب حكمته وعلمه بمن يصلح لها، وليست اكتسابا من قبل العبد. صحيح أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، اختصوا

بفضائل يمتازون بها عن غيرهم، ولكن ليست على النحو الذي يقوله الفلاسفة الضلال.

دلائل النبوة:

دلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة؛ لأن هذا موضوع مهم جدّاً. ودلائل النبوة كثيرة ومتنوعة وغير محصورة:

فمنها: المعجزة، وهي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة.

وفي القاموس: معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته.

ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة؛ منها الناقة التي أوتيها صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حجة على قومه، وقلب العصا حية آية لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى آية لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنها معجزات نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي كثيرة، أعظمها القرآن الكريم، وهي المعجزة الخالدة، التي تحدى الله بها الجن والإنس، ومنها الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصا في كفه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحنين الجذع إليه، وإخباره عن حوادث المستقبل والماضي.

ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة.

منها: إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء؛ كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما قصه الله في كتابه.

ومنها: أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق؛ مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعمل الناس وأبرهم.

ومنها: أن الله يؤيدهم تأييداً مستمراً، وقد علم من سنته - سبحانه - أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق، بل لا بد أن يفتضح الكذاب، وقد يمهله الله ثم يهلكه.

ومنها: أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما صدق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع النبيين قبله.

ومن دلائل النبوة: تأييد الله للأنبياء؛ فقد علم من سنة الله وعادته أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد الصادق، بل يفضح الكذاب ولا ينصره، بل لا بد أن يهلكه، وإذا نصر ملكا ظالما؛ فهو لم يدع النبوة ولم يكذب عليه، بل هو ظالم سلطه الله على ظالم مثله؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٢٩]؛ بخلاف من قال: إن الله أرسله، وهو كاذب؛ فهذا لا يؤيده تأييدًا مستمرًا، لكن يمهله مدة ثم يهلكه والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة؛ فكيف بدعوى النبوة؟! ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكمله، وإما أن يكون من أنقص الخلق، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغهم ودعاهم إلى الإسلام؛ فقال له: والله لا أقول لك كلمة واحدة، إن كنت صادقا؛ فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا؛ فأنت أحقر من أن أرد عليك.

فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم؟!. وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع والخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز؛ فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أموراً، والكاذب يظهر من نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله ما يظهر به كذبه من وجوه كثيرة.

هذا؛ وربما يسأل سائل عن الفرق بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان، وعجائب المخترعات التي ظهرت اليوم.

والجواب: أن هناك فوارق كثيرة بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان والاختراعات الصناعية:

منها: أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف ولا غلط؛ بخلاف أخبار الكهنة والمنجمين؛ فالغالب عليها الكذب، وإن صدقوا أحيانا في بعض الأشياء؛ بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق شياطينهم للسمع.

ومنها: أن السحر والكهانة والاختراع أمور معتادة معروفة، ينالها الإنسان بكسبه وتعلمه؛ فهي لا تخرج عن كونها مقدورة للجن والإنس، ويمكن معارضتها بمثلها؛ بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يقدر عليها جن ولا إنس؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٨٨]؛ فآيات الأنبياء لا يقدر عليها الخلق، بل الله هو الذي يفعلها آية وعلامة على صدقهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وتسبيح الحصا بصوت يسمع، وحنين الجذع، وتكثير الماء والطعام القليل؛ فهذه لا يقدر عليها إلا الله.

ومنها: أن الأنبياء مؤمنون مسلمون، يعبدون الله وحده بما أمر، ويصدقون جميع ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرة والكهان والمتنبئون الكذبة؛ فلا يكونون إلا مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله.

ومنها: أن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأما السحرة والكهان والدجالون والكذابون؛ فإنهم يخالفون الأدلة السمعية والعقلية والفطرية.

ومنها: أن الأنبياء جاؤوا بما يكمل الفطر والعقول والسحرة والكهان والكذبة يجيئون بما يفسد العقول والفطر.

ومنها: أن معجزات الأنبياء لا تحصل بأفعالهم هم، وإنما يفعلها الله عَزَّوَجَلَّ آية وعلامة لهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به؛ فأمر الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق؛ كما قال الله لنبيه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية؛ قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٥٠] وأما خوارق السحرة والكهان والمخترعات الصناعية؛ فإنها تحصل بأفعال الخلق، والفوارق بين آيات الأنبياء وخوارق الكهان كثيرة واضحة، ومن أراد المزيد؛ فليراجع كتاب (النبوات) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

أدلة إثبات الرسالات كثيرة جدا أذكر بعضها على وجه الاختصار وابتدأها بذكر عشرة أوجه ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ استطرادا بعد أن تكلم عن أعظم سور القرآن وهي:

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (١٧٧.١٨٤).

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ: ١-٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فصل في بيان تضمنها[١] للرد على منكري النبوات)

وذلك من وجوه:

أحدها: إثبات حمده التام،

فإنه يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق خلقه عبثا، ولا يتركهم سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، ولذلك نزه الله نفسه عن هذا في غير موضع من كتابه، وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة وأن يكون ما أنزل على بشر من شيء فإنه ما عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه، ولا قدره حق قدره، بل نسبه إلى ما لا يليق به، ويأباه حمده ومجده.

فمن أعطى الحمد حقه علما ومعرفة وبصيرة استنبط منه: أشهد أن محمدا رسول الله، كما يستنبط منه أشهد أن لا إله إلا الله، وعلم قطعا أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد، كتعطيل صفات الكمال، وكإثبات الشركاء والأنداد.

---

(١) أي: سورة الفاتحة.

الثاني: إلهيته،

وكونه إلها، فإن ذلك مستلزم لكونه معبودا مطاعا، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله.

الثالث: كونه ربا،

فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وجزاء محسنهم بإحسانه، ومسيئهم بإساءته، هذا حقيقة الربوبية، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة.

الرابع: كونه رحمانا رحيما،

فإن من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسنى، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها.

الخامس: ملكه،

فإن الملك يقتضي التصرف بالقول، كما أن الملك يقتضي التصرف بالفعل، فالملك هو المتصرف بأمره وقوله، فتنفذ أوامره ومراسيمه حيث شاء، والمالك هو المتصرف في ملكه بفعله، والله له الملك، وله الملك، فهو المتصرف في خلقه بالقول والفعل.

وتصرفه بقوله نوعان: تصرف بكلماته الكونية، وتصرف بكلماته الدينية، وكمال الملك بهما فإرسال الرسل موجب كمال ملكه وسلطانه، وهذا هو الملك

المعقول في فطر الناس وعقولهم، فكل ملك لا تكون له رسل يبثهم في أقطار مملكته فليس بملك.

وبهذه الطريق يعلم وجود ملائكته، وأن الإيمان بهم من لوازم الإيمان بملكه، فإنهم رسل الله في خلقه وأمره.

السادس: ثبوت يوم الدين،

وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي.

السابع: كونه معبودا،

فإنه لا يعبد إلا بما يحبه ويرضاه، ولا سبيل للخلق إلى معرفة ما يحبه ويرضاه إلا من جهة رسله، فإنكار رسله إنكار لكونه معبودا.

الثامن: كونه هاديا إلى الصراط المستقيم،

وهو معرفة الحق والعمل به، وهو أقرب الطرق الموصلة إلى المطلوب، فإن الخط المستقيم: هو أقرب خط موصل بين نقطتين، وذلك لا يعلم إلا من جهة الرسل، فتوقفه على الرسل ضروري، أعظم من توقف الطريق الحسي على سلامة الحواس.

التاسع: كونه منعما على أهل الهداية إلى الصراط المستقيم،

فإن إنعامه عليهم إنما تم بإرسال الرسل إليهم، وجعلهم قابلين الرسالة، مستجيبين لدعوته، وبذلك ذكرهم منته عليهم وإنعامه في كتابه.

العاشر: انقسام خلقه إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين،

فإن هذا الانقسام ضروري بحسب انقسامهم في معرفة الحق، والعمل به إلى عالم به، عامل بموجبه، وهم أهل النعمة، وعالم به معاند له، وهم أهل الغضب، وجاهل به وهم الضالون، هذا الانقسام إنما نشأ بعد إرسال الرسل، فلولا الرسل لكانوا أمة واحدة، فانقسامهم إلى هذه الأقسام مستحيل بدون الرسالة، وهذا الانقسام ضروري بحسب الواقع، فالرسالة ضرورية وقد تبين لك بهذه الطريق والتي قبلها بيان تضمنها للرد على من أنكر المعاد الجسماني، وقيامة الأبدان، وعرفت اقتضاءها ضرورة لثبوت الثواب والعقاب والأمر والنهي وهو الحق الذي خلقت به وله السماوات والأرض والدنيا والآخرة وهو مقتضى الخلق والأمر،ونفيه نفي لهما[١].

وأضف إلى هذه الأوجه العشرة ما يأتي:

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٨٨-٩٢).

١١ - اتفاق جميع الأنبياء والمرسلين على خبر معين بغير تواطئ فيما بينهم

قال علامة اليمن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعْلَم أَن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ على كَثْرَة عَددهمْ وَاخْتِلَاف أعصارهم وتباين أنسابهم وتباعد مساكنهم قد اتَّفقُوا جَمِيعًا على الدُّعَاء إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ وَصَارَ الآخر مِنْهُم يقر بنبوة من تقدمه وبصحة مَا جَاءَ بِهِ ... وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا شكّ وَلَا ريب أَن الْأَنْبِيَاء متفقون على تَصْدِيق بَعضهم بَعْضًا وَأَن مَا جَاءَ بِهِ كل وَاحِد مِنْهُم هُوَ من عِنْد الله عَزَّوَجَلَّ وَقد عرفناك فِيمَا سبق أَن عَددهمْ بلغ إِلَى مائَة ألف وَأَرْبَعَة وَعشْرين ألفا وَلَا خلاف بَين أهل النّظر أَن اتِّفَاق مثل هَذَا الْعدَد يُفِيد الْعلم الضَّرُورِيّ بِصدق مَا اتَّفقُوا عَلَيْهِ بل اتِّفَاق عشر هَذَا الْعدَد بل اتِّفَاق عشر عشره يُفِيد ذَلِك وَمن أنكر فِي هَذَا الِاتِّفَاق فَعَلَيهِ بمطالعة التَّوْرَاة فَإِنَّهَا قد اشْتَمَلت على حِكَايَة حَال الْأَنْبِيَاء من لدن آدم إِلَى بعثة مُوسَى وفيهَا التَّصْرِيح بِتَصْدِيق بَعضهم بَعْضًا وَلم يَقع من أحد مِنْهُم الْإِنْكَار لنبوة أحد مِمَّن تقدمه ثمَّ جَاءَ من بعد مُوسَى وَهَارُون أَنْبيَاء بني إِسْرَائِيل وكل وَاحِد مِنْهُم يقر بِمن تقدمه وَثَبت نبوته كَمَا اشْتَمَل على ذَلِك كتب نبواتهم...(١)

(١) إرشاد الثقات (٢٥ ـ ٢٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

النَّوْعُ الثَّانِي: مَا لَا يُعْلَمُ إلَّا بِخَبَرِ الرُّسُلِ فَهَذَا يُعْلَمُ بِوُجُوهِ: مِنْهَا: اتِّفَاقُ الرُّسُلِ عَلَى الْإِخْبَارِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَوَاطُئِ وَلَا اتِّفَاقٍ بَيْنَهُمْ فَإِنَّ الْمُخْبِرَ إمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا خَبَرُهُ مُطَابِقًا لِمَخْبَرِهِ وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ خَبَرُهُ مُطَابِقًا لِمَخْبَرِهِ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَمِّدًا لِلْكَذِبِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُخْطِئًا فَإِذَا قُدِّرَ عَدَمُ الْخَطَأِ وَالتَّعَمُّدِ: كَانَ خَبَرُهُ صِدْقًا لَا مَحَالَةَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إذَا أَخْبَرَ وَاحِدٌ عَنْ عُلُومٍ طَوِيلَةٍ فِيهَا تَفَاصِيلُ كَثِيرَةٌ: لَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ خَطَؤُهُمْ وَأَخْبَرَ غَيْرُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَعَ الْجَزْمِ بِأَنَّهُمَا لَمْ يَتَوَاطَآ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إنَّهُ يُمْكِنُ الْكَذِبُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: أَفَادَ خَبَرُهُمَا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ حَالُهُمَا فَلَوْ نَاجَى رَجُلًا بِحَضْرَةِ رِجَالٍ وَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ طَوِيلٍ فِيهِ أَسْرَارٌ تَتَعَلَّقُ بِهِ وَفِي رَجُلٍ بِتِلْكَ الْأُمُورِ الْأَسْرَارِ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَتَّفِقْ مَعَ الْمُخْبِرِ الْأَوَّلِ فَأَخْبَرَ عَنْ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ وَالْأَسْرَارِ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْأَوَّلُ: جَزَمْنَا قَطْعًا بِصِدْقِهِمَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُوسَى أَخْبَرَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ الْمَسِيحُ. وَمَعْلُومٌ أَيْضًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِحَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا وَلَا يَعْلَمُونَ عُلُومَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَنُبُوَّةَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَدْ أَخْبَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَعَرْشِهِ وَكُرْسِيِّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَخْبَارِهِمْ وَأَخْبَارِ مُكَذِّبِيهِمْ: بِنَظِيرِ مَا يُوجَدُ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا. فَمَنْ تَدَبَّرَ التَّوْرَاةَ وَالْقُرْآنَ: عَلِمَ أَنَّهُمَا جَمِيعًا يَخْرُجَانِ

مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ[(١)]، وَكَمَا قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى[(٢)]. وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ التَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ فِي مِثْلِ هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٤٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٤٩] وَقَالَتْ الْجِنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ٣٠] الْآيَةَ. وَقَالَ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ﴾ [سُورَةُ هُودٍ: ١٧] وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩٢]. فَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ: كُلُّ مَنْ عَلِمَ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى وَالنَّبِيُّونَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ مُخْبِرُونَ عَنْ اللَّهِ صَادِقُونَ فِي الْإِخْبَارِ وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. خِلَافُ الصِّدْقِ مِنْ خَطَأٍ وَكَذِبٍ[(٣)].

---

(١) حسن.

أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٣، ح: ١٧٤٠) من حديث أم سلمة، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) كما في البخاري (١/ ٧، ح: ٣)، ومسلم (١/ ١٣٩، ح: ١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١١ ـ ٢١٣).

١٢ - أحوال أقوام الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنْ الطُّرُقِ: الطُّرُقُ الْوَاضِحَةُ الْقَاطِعَةُ الْمَعْلُومَةُ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ بِالتَّوَاتُرِ مِنْ أَحْوَالِ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَكَفَرَ بِهِمْ حَالِ نُوحٍ وَقَوْمِهِ وَهُودٍ وَقَوْمِهِ وَصَالِحٍ وَقَوْمِهِ وَحَالِ إبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ وَحَالِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَحَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمِهِ. وَهَذَا الطَّرِيقُ قَدْ بَيَّنَهَا اللَّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْۖ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٥] إلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٥] وَقَالَ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٤٢-٤٦] وَقَوْلُهُ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٣٧-١٣٨] وَقَالَ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [سُورَةُ الحَجِّ ر:٧٥] فَبَيَّنَ أَنَّهُ تَارِكٌ آثَارَ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِيْنِ لِلْمُشَاهَدَةِ وَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى عُقُوبَةِ اللَّهِ لَهُمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ١٧] الْآيَتَيْنِ فَذَكَرَ طَرِيقَيْنِ يُعْلَمُ بِهِمَا ذَلِكَ..أَحَدُهُمَا: مَا يُعَايَنُ وَيُعْقَلُ بِالْقُلُوبِ..وَالثَّانِي: مَا يُسْمَعُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَوَاتَرَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَمُصَدِّقُهُمْ وَمُكَذِّبُهُمْ وَعَايَنُوا مِنْ آثَارِهِمْ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ

سُبْحَانَهُ عَاقَبَ مُكَذِّبَهُمْ وَانْتَقَمَ مِنْهُ وَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَأَنَّ مَنْ كَذَّبَهُمْ كَانَ عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَنَّ طَاعَةَ الرُّسُلِ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَمَعْصِيَتَهُمْ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ (١).

وقال أيضًا:

ولهذا إنّما يقرّر الربّ تعالى في القرآن أمر النبوّة وإثبات جنسها بما وقع في العالم؛ من قصة نوح وقومه، وهود وقومه، وصالح وقومه، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وغيرهم؛ فيذكر وجود هؤلاء، وأنّ قوماً صدّقوهم، وقوماً كذّبوهم ويُبيِّن حال من صدّقهم، وحال من كذّبهم؛ فيُعلم بالاضطرار حينئذٍ ثبوت هؤلاء، ويتبيّن وجود آثارهم في الأرض. فمن لم يكن رأى في بلده آثارهم، فليسر في الأرض، ولينظر آثارهم، وليسمع أخبارهم المتواترة يقول الله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٤٢-٤٨] ولهذا قال مؤمن آل فرعون لمّا أراد إنذار قومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٣٠-٣١] ولهذا لما سمع ورقة بن نوفل، والنجاشيّ، وغيرهما القرآنَ، قال ورقة بن نوفل: هذا هو النَّاموس الذي كان يأتي موسى[(١)]، وقال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة[(٢)]، فكان عندهم علمٌ بما جاء به موسى؛ اعتبروا به، ولولا ذلك لم يعلموا هذا وكذلك الجنّ لمّا سمعت القرآن، ولّوا إلى قومهم منذرين، ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ٣٠] ولما أراد سبحانه تقرير جنس ما جاء به محمد، قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ

---

(١) كما في البخاري (١/ ٧، ح: ٣)، ومسلم (١/ ١٣٩، ح: ١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) حسن.

أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٣، ح: ١٧٤٠) من حديث أم سلمة، وقال محققوه: إسناده حسن.

يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [سُورَةُ الأَنعَامِ: ٩١-٩٢] فهو سبحانه يُثبت وجود جنس الأنبياء ابتداءً؛ كما في السور المكية حتى يثبت وجود هذا الجنس، وسعادة من اتبعه، وشقاء من خالفه (١).

(١) النبوات (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٢).

١٣ - إرشاد الأنبياء أقوامهم إلى الدلالات العقلية البينة، و موافقة العقل لما جاؤوا به.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ الْغَالِطِينَ تَنَاقُضَ بَعْضِ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ الْغَالِطِينَ مُعَارَضَةَ الْعَقْلِ لِمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُعَارِضُ الْعَقْلِيُّ خَطَأً، لَيْسَ بِمَعْقُولٍ صَحِيحٍ، أَوِ السَّمْعِيُّ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُمْ لَفْظُهُ أَوْ دَلَالَتُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَخْبَارُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْخَبَرَيْنِ كَذِبًا أَوْ غَيْرَ دَالٍّ عَلَى مُنَاقَضَةِ الْخَبَرِ الْآخَرِ[(١)].

وقال أيضا:

...وأما القسم الثاني وهو دلائل هذه المسائل الأصولية فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين أو المتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق فدلالته موقوفة على العلم بصدق المخبر ويجعلون ما يبنى عليه صدق المخبر معقولات محضة فقد غلطوا في ذلك غلطا عظيما بل ضلوا ضلالا مبينا في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطرق الخبر المجرد بل الأمر ما عليه سلف الأمة أهل العلم والإيمان من أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في ذلك العلم مالا يقدر أحد من هؤلاء قدره ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).

التي قال فيها ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٥٨] فإن الأمثال المضروبة هي الأقيسة العقلية سواء كانت قياس شمول أو قياس تمثيل ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية وإن كان لفظ البرهان في اللغة أعم من ذلك كما سمى الله آيتي موسى برهانين ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٣٢] (١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَمَّا إنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ لَا يُقِرُّ بِنُبُوَّةِ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا غَيْرِهِمَا: فَلِلْمُخَاطَبَةِ طُرُقٌ مِنْهَا: أَنَّ نَسْلُكَ فِي الْكَلَامِ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ وَغَيْرِهِمْ - مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئِينَ والمتفلسفة والبراهمة وَغَيْرِهِمْ - نَظِيرَ الْكَلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ. فَنَقُولُ: مِنْ الْمَعْلُومِ لِكُلِّ عَاقِلٍ لَهُ أَدْنَى نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ: أَنَّ أَهْلَ الْمِلَلِ أَكْمَلُ فِي الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ مِمَّنْ لَيْسَ مَنْ أَهْلِ الْمِلَلِ؛ فَمَا مِنْ خَيْرٍ يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ أَهْلِ الْمِلَلِ: إلَّا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ أَكْمَلُ مِنْهُ وَعِنْدَ أَهْلِ الْمِلَلِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ يَحْصُلُ بِالْعَقْلِ: كَعِلْمِ الْحِسَابِ وَالطِّبِّ وَكَالصِّنَاعَةِ مِنْ الْحِيَاكَةِ وَالْخِيَاطَةِ وَالتِّجَارَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهَذِهِ الْأُمُورُ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَلِ كَمَا هِيَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ؛

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

بَلْ هُمْ فِيهَا أَكْمَلُ فَإِنَّ عُلُومَ الْمُتَفَلْسِفَةِ - مِنْ عُلُومِ الْمَنْطِقِ وَالطَّبِيعَةِ وَالْهَيْئَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - مِنْ مُتَفَلْسِفَةِ الْهِنْدِ وَالْيُونَانِ وَعُلُومِ فَارِسٍ وَالرُّومِ؛ لَمَّا صَارَتْ إلَى الْمُسْلِمِينَ: هَذَّبُوهَا وَنَقَّحُوهَا؛ لِكَمَالِ عُقُولِهِمْ وَحُسْنِ أَلْسِنَتِهِمْ وَكَانَ كَلَامُهُمْ فِيهَا أَتَمَّ وَأَجْمَعَ وَأَبْيَنَ وَهَذَا يَعْرِفُهُ كُلُّ عَاقِلٍ وَفَاضِلٍ؛ وَأَمَّا مَا لَا يُعْلَمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ كَالْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ وَعُلُومِ الدِّيَانَاتِ: فَهَذِهِ مُخْتَصَّةٌ بِأَهْلِ الْمِلَلِ وَهَذِهِ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ أَدِلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ؛ فَالْآيَاتُ الْكِتَابِيَّةُ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْ الرِّسَالَةِ. فَالرُّسُلُ هَدَوْا الْخَلْقَ وَأَرْشَدُوهُمْ إلَى دَلَالَةِ الْعُقُولِ عَلَيْهَا فَهِيَ عَقْلِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ فَلَيْسَ لِمُخَالِفِ الرَّسُولِ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ لَمْ تُعْلَمْ إلَّا بِخَبَرِهِمْ؛ فَإِثْبَاتُ خَبَرِهِمْ بِهَا دَوْرٌ؛ بَلْ يُقَالُ بِعَدَالَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَتَبْيِينِهِمْ لِلْمَعْقُولِ: صَارَتْ مَعْلُومَةً بِالْعَقْلِ وَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ وَالْأَقْيِسَةِ الْعَقْلِيَّةِ. وَبِهَذِهِ الْعُلُومِ: يُعْلَمُ صِحَّةُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُطْلَانُ قَوْلِ مَنْ خَالَفُوهُ ...»(١).

ولهذا مَن تدبر ما جاء به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وغيره من الأنبياء وجد بينه وبين العقل السليم وئاما عظيما وذلك لأن الله عزوجل فطر عباده على الإسلام الذي لا شك فيه ولا ريب كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٢١٠ ـ ٢١١).

ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٢٩-٣٢].

وروى البخاري مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**» ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٣٠] الْآيَةَ ...[(١)].

وإنما حصل التغيير والتبديل والاجتيال والتحويل لفطر العباد من قبل الشياطين ولهذا روى الإمام مسلم[(٢)] من حديث عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا... الحديث**» .

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥، ح: ١٣٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧، ح: ٢٦٥٨) واللفظ له.

(٢) (٤/ ٢١٩٧، ح: ٢٨٦٥).

ولهذا لا تجد رجلا منكوس الفطرة ضال الاعتقاد إلا وكان في كلامه من جنس ما عليه الشياطين الشيء الكثير وعلى رأسهم شيخ طريقتهم إبليس وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى بعض اعتقادات البخيتي التي حذا فيها منهج شيخه أبي مرة[(١)] حذو القذة بالقذة ما قاله البخيتي في بعض مقالاته.:

كان إبليس محقًا في رفضه السجود لآدم على فرض صحة تلك الخرافة فإبليس يمثل العقل المتمرد على القوالب الجاهزة، وذنبه الوحيد أنه سأل فقط: لماذا أسجد لمن هو أدنى مني؟![(٢)] فسلام الله على إبليس العظيم في الأولين والآخرين[(٣)].

ولنرجع إلى المقصود من هذه الفقرة وهو أن الشرع دل العباد وأرشدهم إلى البراهين العقلية بطرق سليمة صحيحة خالية من تهوكات المتهوكين وتخرصات المتفلسفين وتعقيدات المتكلمين، والدلالات العقلية والإرشادات الفطرية التي دعا إليها الأنبياء يعجز الفصحاء والبلغاء عن الإتيان بمثلها من سهولة ألفاظها وجزالة معانيها وإيجازها مع بسطها، وأذكر للقارئ بعض الآيات التي تضمنت

---

(١) كنية إبليس.

(٢) هذا وقد أخطأ البخيتي تبعا لشيخه إبليس في زعمهم أن النار أفضل من التراب وقد أوضح فساد هذا القول ابن القيم ـ بأتم إيضاح وأفصح بيان ـ كما في كتابه الصواعق المرسلة [٣/ ١٠٠٢ ـ ١٠٠٨].

(٣) المدونة / كان إبليس محقًا في رفضه السجود لآدم/ علي البخيتي ٢٩ نوفمبر ٢٠١٩.

دلالات عقلية يعجز العاقل عن تعديها وتجاوزها إلى غيرها، وهي أدلة عظيمة على صحة ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنها:

قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [سُورَةُ الطُّورِ : ٣٥–٣٦].

وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ :١٠].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٢١-٢٢].

وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٨٤﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ :١٨٤]

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ [سُورَةُ الرُّومِ :٤٠].

وقوله: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [سُورَةُ الرُّومِ :٥٤].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ

ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٦٤-٦٦].

وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ التَّغَابُنِ: ٥-٧].

وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سُورَةُ النَّمْلِ: ٦٠-٦٤].

وقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٦٥-٦٦].

وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٩٣-٩٥].

وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٧٦].

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٣-١٤].

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩١-٩٢].

وقوله: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٤٨-١٤٩].

وقوله: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ

يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٩١-١٩٨].

وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ١٦-١٨].

وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٣١-٣٢].

وقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ١٠١-١٠٣].

وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ: ١٦].

وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٤٢-٤٤].

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٥١]

وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٨٨-٨٩].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ٨٤-٨٩].

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ٩١].

وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤٩ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٤٩-٥٠].

وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٢٠].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سُورَةُ سَبَإٍ: ٢٢].

وقوله: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [سُورَةُ سَبَإٍ: ٢٤].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٤٠-٤١].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ

نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سُورَةُ يسٓ: ٧٧-٨٣].

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٨].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٦٤-٦٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ٤-٦].

وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ٩].

وقوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ: ١١].

وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ: ٢٨]

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٨].

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٧٣-٧٥].

وقوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٧٢-٧٣]

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٩].

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢﴾ [سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٩-١٢].

وقوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ٢٧-٣٣].

وقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٥٧].

وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ١٩-٢٠].

وقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١٩ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم

مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الروم: ١٩-٢٧].

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٥].

وقوله: ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ٩٩].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٣٣].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة: ٣٦-٤٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَمَّا قَوْلُنَا كُلُّ مُمْكِنٍ فَلَهُ مُرَجِّحٌ وَكُلُّ مُحْدَثٍ فَلَهُ مُحْدِثٌ: فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مُحْدِثٍ وَمُرَجِّحٍ وَهُوَ وَصْفٌ كُلِّيٌّ يَقْبَلُ الشَّرِكَةَ؛ وَلِهَذَا الْقِيَاسُ الْعَقْلِيُّ لَا يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينٍ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْكُلِّيِّ الْمُطْلَقِ فَلَا بُدَّ إذًا مِنْ التَّعْيِينِ. فَالْقِيَاسُ دَلِيلٌ عَلَى وَصْفِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ كُلِّيَّةٍ. وَأَيْضًا فَإِذَا اسْتَدَلَّ عَلَى الصَّانِعِ بِوَصْفِ إمْكَانِهَا أَوْ حُدُوثِهَا أَوْ هُمَا جَمِيعًا لَمْ يَفْتَقِرْ ذَلِكَ إلَى قِيَاسٍ كُلِّيٍّ؛ بِأَنْ يُقَالَ: وَكُلُّ مُحْدَثٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ أَوْ كُلُّ مُمْكِنٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُرَجِّحٍ فَضْلًا عَنْ تَقْرِيرِ هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ بَلْ عِلْمُ الْقَلْبِ بِافْتِقَارِ هَذَا الْمُمْكِنِ وَهَذَا الْمُحْدَثِ كَعِلْمِهِ بِافْتِقَارِ هَذَا الْمُمْكِنِ وَهَذَا الْمُحْدَثِ. فَلَيْسَ الْعِلْمُ بِحُكْمِ الْمُعَيَّنَاتِ مُسْتَفَادًا مِنْ الْعِلْمِ الْكُلِّيِّ الشَّامِلِ لَهَا؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ الْعِلْمُ بِحُكْمِ الْمُعَيَّنِ فِي الْعَقْلِ قَبْلَ الْعِلْمِ بِالْحُكْمِ الْكُلِّيِّ الْعَامِّ. كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْعَشَرَةَ ضِعْفُ الْخَمْسَةِ: لَيْسَ مَوْقُوفًا عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّ كُلَّ عَدَدٍ لَهُ نِصْفِيَّةٌ فَهُوَ ضِعْفُ نِصْفَيْهِ. وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [سُورَةُ الطُّورِ: ٣٥]؟ قَالَ جُبَيْرُ ابْنُ مُطْعِمٍ: لَمَّا سَمِعْتهَا أَحْسَسْت بِفُؤَادِي قَدْ تَصَدَّعَ. وَهُوَ اسْتِفْهَامُ إنْكَارٍ يَقُولُ أُوجِدُوا مِنْ غَيْرِ مُبْدِعٍ؟ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ غَيْرِ مُكَوِّنٍ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا نُفُوسَهُمْ وَعِلْمَهُمْ بِحُكْمِ أَنْفُسِهِمْ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ بِنَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ: بِأَنَّ كُلَّ كَائِنٍ مُحْدَثٌ أَوْ كُلَّ مُمْكِنٍ لَا يُوجَدُ بِنَفْسِهِ وَلَا يُوجَدُ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْعَامَّةُ النَّوْعِيَّةُ صَادِقَةً؛ لَكِنَّ الْعِلْمَ بِتِلْكَ الْمُعَيَّنَةِ الْخَاصَّةِ؛ إنْ لَمْ يَكُنْ سَابِقًا لَهَا فَلَيْسَ مُتَأَخِّرًا عَنْهَا؛ وَلَا دُونَهَا فِي الْجَلَاءِ. وَقَدْ بَسَطْت هَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛

وَذَكَرْت دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ؛ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ جَاءَ بِالطَّرِيقِ الْفِطْرِيَّةِ كَقَوْلِهِمْ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ١٠]؟ وَقَوْلِ مُوسَى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢٤] وَقَوْلِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢١-٢٢] بَيَّنَ أَنَّ نَفْسَ هَذِهِ الذَّوَاتِ آيَةٌ لِلَّهِ؛ كَمَا أَشَرْنَا إلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إلَى ذَيْنِك الْمَقَامَيْنِ؛ وَلَمَّا وَبَّخَهُمْ بَيَّنَ حَاجَتَهُمْ إلَى الْخَالِقِ بِنُفُوسِهِمْ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْتَاجَ إلَى مُقَدِّمَةٍ كُلِّيَّةٍ: هُمْ فِيهَا وَسَائِرُ أَفْرَادِهَا سَوَاءٌ؛ بَلْ هُمْ أَوْضَحُ. وَهَذَا الْمَعْنَى قَرَّرْته مَبْسُوطًا فِي غَيْرِ هَذَا[(١)].

وإنما لم تتوافق هذه الدلالات العقلية مع من سمعها بسبب فساد في عقله وانتكاس في فطرته وقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا كفار قريش ومن كان على شاكلتهم أن يقوموا لله مثنى وفرادى ثم يعملوا عقولهم في أمر محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإذا كان تفكرهم صحيحا سليما خاليا من مخلفات أبي جهل وأمية فإن النتيجة حينئذ واضحة جلية قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦﴾ [سُورَةُ سَبَإٍ: ٤٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١١-١٢).

قُلْ يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله، مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس بمجنون، لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلا.

ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمنا، وإيمانا، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته

العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما. فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟

فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقا، ونبيه صدقا، خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره[١].

وأسلم بعض الأعراب فسئل عن سبب إسلامه فقال:

ما أمر الإسلام بشيء قال العقل ليته ما أمر به وما نهى عن شيء قال العقل ليته ما نهى عنه[٢].

فعلى هذا فالإسلام ليس مقتصرا على النقل المجرد عن العقل بل إن النقل يوافق العقل والعقل يوافق النقل.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ الطُّرُقِ: أَنَّ الرُّسُلَ جَاءُوا مِنْ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ لَبِيبٍ وَلَا يُنْكِرُهُ إلَّا جَاهِلٌ غَاوٍ. وَهَذِهِ الْفُتْيَا لَا تَسَعُ الْبَسْطَ الْكَثِيرَ فَإِذَا تَبَيَّنَ صِدْقُهُمْ وَجَبَ التَّصْدِيقُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ. وَوَجَبَ الْحُكْمُ بِكُفْرِ مَنْ آمَنَ بِبَعْضِ وَكَفَرَ بِبَعْضِ. وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

---

(١) تفسير السعدي (٦٨٣).

(٢) مفتاح دار السعادة: (٢/ ٦-٧).

أَعْلَمُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين[١].

فللعقل في الإسلام مكانة عظيمة جدا ذكرت بعض دلائلها في (العقل في الإسلام).

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٢١٥).

١٤ - ثبوت وجود نبي واحد على وجه الأرض يستلزم إثبات جنس الرسالة

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فما كان دليلاً على نبوة شخص، فهو دليل على جنس النبوة؛ فإن نبوة الشخص لا تثبت إلا مع ثبوت جنس النبوة؛ فيمتنع وجود ذلك الدليل مع عدم النبوة وثبوت أحد النقيضين مستلزم لنفي الآخر؛ فثبوت صدق المخبر بثبوتها، مستلزم لكذب المخبر بانتفائها(١).

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع يوجب العلم بقضية مطلقة وهو أن هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون أصعب وإن كان ممكنا فان نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ولم يكن قبله رسول بعث إلى الكفار المشركين يدعوهم إلى الانتقال عن الشرك إلى التوحيد وآدم والذين كانوا بعده كان الناس في زمنهم مسلمين كما قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الإسلام، لكن لما بعث الله نوحا وأنجى من آمن به وأهلك من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) النبوات (٢ / ٩٨٠ ـ ٩٨١).

(٢) الرد على المنطقيين (٣٧٠).

والإنسان قد ينكر أمرا حتى يرى واحدا من جنسه فيقر بالنوع ويستفيد بذلك حكما كليا ولهذا يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥] ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١﴾ [الشعراء: ١٤١] ونحو ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مكذبين بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فإنهم لم يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحدا بعينه بخلاف مشركي العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتج عليهم في القرآن بإثبات جنس الرسالة، ولهذا يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة كقولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤﴾ فيقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣] أي هذا متواتر عند أهل الكتاب فاسألوهم عن الرسل الذين جاءتهم أكانوا بشرا أم لا...(١).

---

(١) الرد على المنطقيين (٣٦٩).

١٥ - تأييد الله لهم بالمعجزات وبالدلائل الواضحات.

إن مقام النبوة من أجل المقامات التي يختص الله بها مِن شاء من الناس وهي من أوضح المقامات وأبينها وأجلاها وأظهرها، لا يخفى على عوام الناس فضلا عن عقلائهم أمر مدعيها والمنتسب إليها، فالفرق كبير جدا بين من يكون صادقا في انتسابه إليها وبين من يكون كذابا دجالا ولا يلتبس هذا الباب إلا على أجهل خلق الله فلا يستطيع التمييز بين النبي والمتنبي وما ادعى مدع النبوة إلا عرف حاله وظهر أمره بين الناس وعفا الزمان على آثاره ومعالمه وطمسها وأخمدها فأين محمد وأين مسيلمة؟ لا مقارنة لأن الحق يدوم والباطل لا يقوم بل سرعان ما يتم إخماده وإطفاؤه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلَائِلُ صِدْقِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ، وَكَذِبِ الْمُتَنَبِّي الْكَذَّابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَإِنَّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَكَانَ صَادِقًا، فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَكْمَلِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ ؛ فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم وَسَلَامُهُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٢٥٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ :٥٥] وَإِنْ كَانَ الْمُدَّعِي لِلنُّبُوَّةِ كَاذِبًا فَهُوَ مِنْ أَكْفَرِ خَلْقِ اللَّهِ، وَشَرِّهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ :٩٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ

عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٢-٣٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٦٠] فَالْكَذِبُ أَصْلٌ لِلشَّرِّ، وَأَعْظَمُهُ الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالصِّدْقُ أَصْلٌ لِلْخَيْرِ، وَأَعْظَمُهُ الصِّدْقُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**»(١)، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَهَذَا مِنْ أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ، كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْفُرُوقِ، وَالدَّلَائِلِ، وَالْبَرَاهِينِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ أَحَدِهَا وَكَذِبِ الْآخَرِ مَا يَظْهَرُ لِكُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُمَا. وَلِهَذَا كَانَتْ دَلَائِلُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْلَامُهُمُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِمْ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، كَمَا أَنَّ دَلَائِلَ كَذِبِ الْمُتَنَبِّئِينَ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ(٢).

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٥، ح: ٦٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٣، ح: ٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) الجواب الصحيح (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنْ الطُّرُقِ أَيْضًا أَنْ يُعْلَمَ مَا تَوَاتَرَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِمْ الْبَاهِرَةِ وَآيَاتِهِمْ الْقَاهِرَةِ وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ الْمُعْجِزَةُ عَلَى يَدِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ وَهُوَ كَذَّابٌ مِنْ غَيْرِ تَنَاقُضٍ وَلَا تَعَارُضٍ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ؛ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالطَّرِيقَةُ الْمَشْهُورَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، تَقْرِيرُ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْمُعْجِزَاتِ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَعْرِفُ نُبُوَّةَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا بِالْمُعْجِزَاتِ، وَقَرَّرُوا ذَلِكَ بِطُرُقٍ مُضْطَرِبَةٍ، وَالْتَزَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِنْكَارَ خَرْقِ الْعَادَاتِ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى أَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالسِّحْرِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ، لَكِنَّ الدَّلِيلَ غَيْرُ مَحْصُورٍ فِي الْمُعْجِزَاتِ، فَإِنَّ النُّبُوَّةَ إِنَّمَا يَدَّعِيهَا أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ أَوْ أَكْذَبُ الْكَاذِبِينَ، وَلَا يَلْتَبِسُ هَذَا بِهَذَا إِلَّا عَلَى أَجْهَلِ الْجَاهِلِينَ. بَلْ قَرَائِنُ أَحْوَالِهِمَا تُعْرِبُ عَنْهُمَا، وَتُعَرِّفُ بِهِمَا، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ فِيمَا دُونَ دَعْوَى النُّبُوَّةِ، فَكَيْفَ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ؟ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ حَسَّانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٤).

وَمَا مِنْ أَحَدٍ ادَّعَى النُّبُوَّةَ مِنَ الْكَذَّابِينَ إِلَّا وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْكَذِبِ وَالْفُجُورِ وَاسْتِحْوَاذِ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهِ - مَا ظَهَرَ لِمَنْ لَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ. فَإِنَّ الرَّسُولَ لَا بُدَّ أَنْ يُخبِرَ النَّاسَ بِأُمُورٍ وَيَأْمُرَهُمْ بِأُمُورٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ أُمُورًا يُبَيِّنُ بِهَا صِدْقَهُ. وَالْكَاذِبُ يَظْهَرُ فِي نَفْسِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُخْبِرُ عَنْهُ وَمَا يَفْعَلُهُ مَا يَبِينُ بِهِ كَذِبُهُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ. وَالصَّادِقُ ضِدُّهُ. بَلْ كُلُّ شَخْصَيْنِ ادَّعَيَا أَمْرًا: أَحَدُهُمَا صَادِقٌ وَالْآخَرُ كَاذِبٌ - لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ صِدْقُ هَذَا وَكَذِبُ هَذَا وَلَوْ بَعْدَ مُدَّةٍ، إِذِ الصِّدْقُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْبِرِّ، وَالْكَذِبُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْفُجُورِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»**[(١)] . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢٢١-٢٢٦] فَالْكُهَّانُ وَنَحْوُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا أَحْيَانًا يُخْبِرُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ، وَيَكُونُ صِدْقًا - فَمَعَهُمْ مِنَ الْكَذِبِ

---

(١) سبق تخريجه.

وَالْفُجُورِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الَّذِي يُخْبِرُونَ بِهِ لَيْسَ عَنْ مَلَكٍ، وَلَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلِهَذَا «لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَيَّادٍ: **قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئًا**، فَقَالَ: هُوَ الدُّخُّ[1] - قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**، يَعْنِي: إِنَّمَا أَنْتَ كَاهِنٌ» وَقَدْ قَالَ لِلنَّبِيِّ : يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. وَقَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ،[2] وَذَلِكَ هُوَ عَرْشُ الشَّيْطَانِ وَبَيَّنَ أَنَّ الشُّعَرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، وَالْغَاوِي: الَّذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ وَشَهْوَتَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُضِرًّا لَهُ فِي الْعَاقِبَةِ. فَمَنْ عَرَفَ الرَّسُولَ وَصِدْقَهُ وَوَفَاءَهُ وَمُطَابَقَةَ قَوْلِهِ لِعَمَلِهِ - عَلِمَ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَاعِرٍ وَلَا كَاهِنٍ.

وَالنَّاسُ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَدِلَّةِ، حَتَّى فِي الْمُدَّعِي لِلصِّنَاعَاتِ وَالْمَقَالَاتِ، كَمَنْ يَدَّعِي الْفِلَاحَةَ وَالنِّسَاجَةَ وَالْكِتَابَةَ، وَعِلْمَ النَّحْوِ وَالطِّبِّ وَالْفِقْهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَالنُّبُوَّةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى عُلُومٍ وَأَعْمَالٍ لَا بُدَّ أَنْ يَتَّصِفَ الرَّسُولُ بِهَا، وَهِيَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَشْرَفُ الْأَعْمَالِ. فَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الصَّادِقُ فِيهَا بِالْكَاذِبِ؟ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ: قَدْ يَقْتَرِنُ بِهِ مِنَ الْقَرَائِنِ مَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ، كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ رِضَى الرَّجُلِ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ

---

(١) قال النووي رحمه الله: وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالدُّخِّ هُنَا الدُّخَانُ وَأَنَّهَا لُغَةٌ فِيهِ. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٩).

(٢) حديث ابن صياد أخرجه البخاري (٢/ ٩٣، ح: ١٣٥٤)، (٤/ ٧٠، ح: ٣٠٥٥)، (٨/ ٤٠، ح: ٦١٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٤، ح: ٢٩٣٠)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بألفاظ متقاربة.

وَفَرَحَهُ وَحُزْنَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِي نَفْسِهِ، بِأُمُورٍ تظهر على وَجْهِهِ، قَدْ لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٣٠] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٣٠] وَقَدْ قِيلَ: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ.

فَإِذَا كَانَ صِدْقُ الْمُخْبِرِ وَكَذِبُهُ يُعْلَمُ بِمَا يَقْتَرِنُ مِنَ الْقَرَائِنِ، فَكَيْفَ بِدَعْوَى الْمُدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، كَيْفَ يَخْفَى صِدْقُ هَذَا مِنْ كَذِبِهِ؟ وَكَيْفَ لَا يَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَاذِبِ بِوُجُوهٍ مِنَ الْأَدِلَّةِ؟ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَعْلَمُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ الصَّادِقُ الْبَارُّ، قَالَ لَهَا لَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ: «**إِنِّي قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، فَقَالَتْ: كَلَّا - وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُقِرِّي الضَّيْفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»(١). فَهُوَ لَمْ يَخَفْ مِنْ تَعَمُّدِ الْكَذِبِ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ، وَإِنَّمَا خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ، وَهُوَ الْمَقَامُ الثَّانِي، فَذَكَرَتْ خَدِيجَةُ مَا يَنْفِي هَذَا، وَهُوَ مَا كَانَ مَجْبُولًا عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ، وَقَدْ عُلِمَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّ مَنْ جَبَلَهُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَنَزَّهَهُ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ: فَإِنَّهُ لَا يُخْزِيهِ.

---

(١) كما في البخاري (١/ ٧، ح: ٣)، ومسلم (١/ ١٣٩، ح: ١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَكَذَلِكَ قَالَ النَّجَاشِيُّ لَمَّا اسْتَخْبَرَهُمْ عَمَّا يُخْبِرُ بِهِ وَاسْتَقْرَأَهُمُ الْقُرْآنَ فَقَرَؤُوا عَلَيْهِ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ وَكَذَلِكَ وَرَقَةُ ابْنُ نَوْفَلٍ، لَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا رَآهُ، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ مَا يَقُولُ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا رَأَى فَقَالَ: هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى.

وَكَذَلِكَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، طَلَبَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ قَدِمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ، وَأَمَرَ الْبَاقِينَ إِنْ كَذَبَ أَنْ يُكَذِّبُوهُ، فَصَارُوا بِسُكُوتِهِمْ مُوَافِقِينَ لَهُ فِي الْأَخْبَارِ، سَأَلَهُمْ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَقَالُوا: لَا، قَالَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقَالُوا: لَا، وَسَأَلَهُمْ: أَهُوَ ذُو نَسَبٍ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقَالُوا: لَا، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِبًا، وَسَأَلَهُمْ: هَلِ اتَّبَعَهُ ضُعَفَاءُ النَّاسِ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَذَكَرُوا أَنَّ الضُّعَفَاءَ اتَّبَعُوهُ؟ وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقَالُوا: لَا، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقَالُوا: يُدَالُ عَلَيْنَا مَرَّةً وَنُدَالُ عَلَيْهِ أُخْرَى، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَسَأَلَهُمْ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالُوا:

يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ». وَهَذِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِ مَسَائِلَ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ مَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الْأَدِلَّةِ، فَقَالَ: سَأَلْتُكُمْ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَقُلْتُمْ: لَا، قُلْتُ: لَوْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ فِيكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقُلْتُمْ: لَا، فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقُلْتُمْ: لَا، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكُمْ أَضُعَفَاءُ النَّاسِ يَتْبَعُونَهُ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتُمْ: ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَقُلْتُمْ، بَلْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقُلْتُمْ: لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ، إِذَا خَالَطَتْ بَشَاشَتُه الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ.

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عَلَامَاتِ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ، فَإِنَّ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ لَا بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، فَيَرْجِعَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَيَمْتَنِعَ عَنْهُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَالْكَذِبُ لَا يَرُوجُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَنْكَشِفُ.

وَسَأَلْتُكُمْ كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُمْ: إِنَّهَا دُوَلٌ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ لَهَا، قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَقُلْتُمْ: لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَهُوَ لِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِهِ بِعَادَةِ الرُّسُلِ وَسُنَّةِ اللَّهِ فِيهِمْ أَنَّهُ تَارَةً يَنْصُرُهُمْ وَتَارَةً

يَبْتَلِيهِمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ - عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ عَلَامَاتُ الرُّسُلِ، وَأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، لِيَنَالُوا دَرَجَةَ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ.

كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَ فِي الْقُرْآنِ مَا فِي إِدَالَةِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْحِكْمَةِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٣٩]، الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ١-٢]، الْآيَاتِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى سُنَّتِهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ الَّتِي بَهَرَتِ الْعُقُولَ. قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ؟ فَذَكَرْتُمْ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ، وَإِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ حَقًّا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥، ح: ٢٩٩٩) عن صهيب، بلفظ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ. الحديث».

فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ.[(١)] وَكَانَ الْمُخَاطَبَ بِذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ حِينَئِذٍ كَافِرٌ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بُغْضًا وَعَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَنَحْنُ خُرُوجٌ، لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[(٢)]، إِنَّهُ لَيُعَظِّمُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ[(٣)].

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ: أَنَّ مَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ بِمَجْمُوعِ أُمُورٍ، قَدْ لَا يَسْتَقِلُّ بَعْضُهَا بِهِ، بَلْ مَا يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ - مِنْ شِبَعٍ وَرِيٍّ وَشُكْرٍ وَفَرَحٍ وَغَمٍّ - فَأُمُورٌ مُجْتَمِعَةٌ، لَا يَحْصُلُ بِبَعْضِهَا، لَكِنْ بِبَعْضِهَا قَدْ يَحْصُلُ بَعْضُ الْأَمْرِ.

وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ بِخَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، فَإِنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ يُحَصِّلُ لِلْقَلْبِ نَوْعَ ظَنٍّ، ثُمَّ الْآخَرُ يُقَوِّيهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْعِلْمِ، حَتَّى يَتَزَايَدَ وَيَقْوَى. وَكَذَلِكَ الْأَدِلَّةُ عَلَى الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْقَى فِي الْعَالَمِ الْآثَارَ الدَّالَّةَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِأَنْبِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَا فَعَلَهُ بِمُكَذِّبِيهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ، كَتَوَاتُرِ الطُّوفَانِ، وَإِغْرَاقِ

---

(١) والموضع الشام وقد ملكها.

(٢) **أبو كبشة:** هو فهر بن غالب بن الحارث والد قيلة والدة وهب بن عبد مناف بن زهرة والد آمنة بنت وهب والدة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل أمه.

(٣) انظر قصة هرقل مع أبي سفيان في: صحيح البخاري (١/ ٨، ح: ٧)، (٦/ ٣٥، ح: ٤٥٥٣)، ومسلم (٣/ ١٣٩٣، ح: ١٧٧٣) بألفاظ متقاربة.

فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، وَلَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ، فِي سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، كَقِصَّةِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُ، يَقُولُ فِي آخِرِ كُلِّ قِصَّةٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ :٨-٩].

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ أَقْوَامًا اتَّبَعُوهُمْ، وَأَنَّ أَقْوَامًا خَالَفُوهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ نَصَرَ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ، وَعَاقَبَ أَعْدَاءَهُمْ: هُوَ مِنْ أَظْهَرِ الْعُلُومِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَأَجْلَاهَا. وَنَقْلُ أَخْبَارِ هَذِهِ الْأُمُورِ أَظْهَرُ وَأَوْضَحُ مِنْ نَقْلِ أَخْبَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ مِنَ مُلُوكِ الْفُرْسِ وَعُلَمَاءِ الطِّبِّ، كَبُقْرَاطَ وَجَالِينُوسَ وَبَطْلَيْمُوسَ وَسُقْرَاطَ وَأَفْلَاطُونَ وَأَرِسْطُو وَأَتْبَاعِهِ.

وَنَحْنُ الْيَوْمَ إِذَا عَلِمْنَا بِالتَّوَاتُرِ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلِيَائِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ - عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ عَلَى الْحَقِّ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ: مِنْهَا: أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا الْأُمَمَ بِمَا سَيَكُونُ مِنِ انْتِصَارِهِمْ وَخِذْلَانِ أُولَئِكَ وَبَقَاءِ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ. وَمِنْهَا: مَا أَحْدَثَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نَصْرِهِمْ وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ، إِذَا عُرِفَ الْوَجْهُ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ، - كَغَرَقِ فِرْعَوْنَ وَغَرَقِ قَوْمِ نُوحٍ وَبَقِيَّةِ أَحْوَالِهِمْ - عُرِفَ صِدْقُ الرُّسُلِ. وَمِنْهَا: أَنَّ مَنْ عَرَفَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الشَّرَائِعِ وَتَفَاصِيلِ أَحْوَالِهَا، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَذَّابٍ جَاهِلٍ، وَأَنَّ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ وَدَلَالَةِ الْخَلْقِ عَلَى مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَنْعِ مَا يَضُرُّهُمْ - مَا يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَاحِمٍ بَرٍّ يَقْصِدُ غَايَةَ الْخَيْرِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلْخَلْقِ.

وَلِذِكْرِ دَلَائِلِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَبَسْطِهَا مَوْضِعٌ آخَرُ، وَقَدْ أَفْرَدَهَا النَّاسُ بِمُصَنَّفَاتٍ، كَالْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ[(١)]. بَلْ إِنْكَارُ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعْنٌ فِي الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنِسْبَتُهُ لَهُ إِلَى الظُّلْمِ وَالسَّفَهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، بَلْ جَحْدٌ لِلرَّبِّ بِالْكُلِّيَّةِ وَإِنْكَارٌ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ عِنْدَهُمْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ صَادِقٍ، بَلْ مَلِكٌ ظَالِمٌ، فَقَدْ تَهَيَّأَ لَهُ أَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ وَيَتَقَوَّلَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَمِرَّ حَتَّى يُحَلِّلَ وَيُحَرِّمَ، وَيَفْرِضَ الْفَرَائِضَ، وَيُشَرِّعَ الشَّرَائِعَ، وَيَنْسَخَ الْمِلَلَ، وَيَضْرِبَ الرِّقَابَ، وَيَقْتُلَ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ وَهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَيَسْبِيَ نِسَاءَهُمْ وَيَغْنَمَ أَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَيَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَفْتَحَ الْأَرْضَ، وَيَنْسِبَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُشَاهِدُهُ وَهُوَ يَفْعَلُ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي الِافْتِرَاءِ عَلَيْهِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُؤَيِّدُهُ وَيَنْصُرُهُ، وَيُعْلِي أَمْرَهُ، وَيُمَكِّنُ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ الْخَارِجَةِ عَنْ عَادَةِ الْبَشَرِ، وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُجِيبُ دَعَوَاتِهِ، وَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُ، وَيَرْفَعُ لَهُ ذِكْرَهُ، هَذَا وَهُوَ عِنْدَهُمْ فِي غَايَةِ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ وَالظُّلْمِ، فَإِنَّهُ لَا أَظْلَمَ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَأَبْطَلَ شَرَائِعَ أَنْبِيَائِهِ وَبَدَّلَهَا وَقَتَلَ أَوْلِيَاءَهُ، وَاسْتَمَرَّتْ نُصْرَتُهُ عَلَيْهِمْ دَائِمًا، وَاللَّهُ تَعَالَى يُقِرُّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ بِالْيَمِينِ، وَلَا يَقْطَعُ مِنْهُ الْوَتِينَ.

---

(١) من هذه الكتب المصنفة في هذا الباب الآتي: ١ـ دلائل النبوة للبيهقي، ٢ـ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ٣ـ دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني، ٤ـ دلائل النبوة للفريابي، ٥ـ دلائل النبوة للمستغفري.

فَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا: لَا صَانِعَ لِلْعَالَمِ وَلَا مُدَبِّرَ، وَلَوْ كَانَ لَهُ مُدَبِّرٌ قَدِيرٌ حَكِيمٌ، لَأَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ وَلَقَابَلَهُ أَعْظَمَ مُقَابَلَةٍ، وَجَعَلَهُ نَكَالًا لِلصَّالِحِينَ. إِذْ لَا يَلِيقُ بِالْمُلُوكِ غَيْرُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟

وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ وَالشَّهَادَةَ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكَذَّابِينَ قَامَ فِي الْوُجُودِ، وَظَهَرَتْ لَهُ شَوْكَةٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، بَلْ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ رُسُلَهُ وَأَتْبَاعَهُمْ، وَقَطَعُوا دَابِرَهُ وَاسْتَأْصَلُوهُ. هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى إِنَّ الْكُفَّارَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [سُورَةُ الطُّورِ: ٣٠-٣١] أَفَلَا تَرَاهُ يُخْبِرُ أَنَّ كَمَالَهُ وَحِكْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ تَأْبَى أَنْ يُقِرَّ مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَجْعَلَهُ عِبْرَةً لِعِبَادِهِ كَمَا جَرَتْ بِذَلِكَ سُنَّتُهُ فِي الْمُتَقَوِّلِينَ عَلَيْهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ٢٤] وَهُنَا انْتَهَى جَوَابُ الشَّرْطِ، ثُمَّ أَخْبَرَ خَبَرًا جَازِمًا غَيْرَ مُعَلَّقٍ: أَنَّهُ يَمْحُو الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩١] فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ نَفَى عَنْهُ الْإِرْسَالَ وَالْكَلَامَ لَمْ يُقَدِّرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ[1].

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١ / ١٤٠ ـ ١٥٥).

وقد جعل الله جَلَّ وَعَلَا لأنبيائه علامات وآيات وأجرى على أيديهم المعجزات الباهرة والآيات القاهرة التي يعجز من شاهدها أو سمع بها عن دفعها وردها وإنكارها . إلا على جهة المكابرة . لأنه إذا ادعى عدم إعجازها طُولِب بالإتيان بمثلها وأنى له أن يشق القمر إلى نصفين وأن يجعل عصاه حيةً تلتهم ما سواها من الحيات والثعابين وأنى له أن يشق البحر إلى فلقتين ويمر من وسطهما وأنى له أن يدخل نارا تكون عليه بردا وسلاما، وأنَّى له أن يتكلم في المهد وأن يحيي الموتى وأنى له أن يأتي بكلام يعجز الفصحاء والبلغاء حال اجتماعهم عَن أن يأتوا بمثله بل وأنى له أن يقف أمام أمة مِن أعدائه بمفرده ثم يتحداهم أن يكيدوه ويحتج عليهم بقوة توكله وصدق لجأه إلى من أرسله سبحانه وتعالى وهلم جرا من المعجزات التي لا يستطيع السحرة أن يأتوا بمثلها فضلا عن غيرهم فلهذا كان في اختيار الله جَلَّجَلَالُهُ لأنبيائه المعجزات التي تكون من جنس ما عليه أقوامهم حكمة بالغة وعندما اشتهر قوم موسى بالسحر أرسل الله موسى بآيات من جنسه وإن لم تكن سحرا ولما كان أولئك القوم الذين وضعوا لمغالبة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في غاية من تعلم السحر ومعرفته حصل منهم الإيمان بما جاء به موسى لمعرفتهم أن ما جاء به موسى ليس سحرا كسحرهم بل هو أمر خارج عن قدرتهم واستطاعتهم فخروا لله سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وآثروا القتل على الرجوع فيما أكرههم عليه فرعون من السحر، فتأييد الله لهم بالمعجزات دليل على صدقهم إذ أنهم لو كانوا كاذبين على الله ´ فيما ادعوه لامتنع تأييده لهم

ونصره ولكان المتعين هو إهلاكهم وفضحهم لكي لا يضلوا عباد الله عن الحق الذي هم عليه والمقصود هو أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أخبروا أنهم أنبياء الله ورسله وأنه أرسلهم وأوحى إليهم وبعثهم ولو كانوا كاذبين على الله فيما ادعوه لما أيدهم بالمعجزات، وما ادعى أحد هذا المقام العظيم كذبا إلا أهلكه الله وأطفأ شوكته وفضحه أمام العالمين كما هو المعروف من حال مسيلمة والعنسي وغيرهم، فلما أيد الله رسله أمام أعدائهم وأظهرهم عليهم تبين لجميع العقلاء أنهم على الحق الأبلج الواضح البين الذي لا مرية فيه ولا فرية وأنهم أنبياء الله حقا ورسله صدقا، والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية مثال ذلك انقلاب العصا ثعبانا ثم ابتلاع الثعبان ما هنالك من العصي والحبال فإن هذا خارج عن قوى النفس والطبيعية لأن الخشب لا يقبل أن يصير حيوانا أصلا ولا يمكن في القوى الطبيعية أن عصا تصير حية لا بقوى نفس ولا بسحر ولا غير ذلك بل الساحر غايته أن يتصرف في الأعراض بفعل ما يحدث عنه الأمراض والقتل ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الآدميين فإن الإنسان يمكنه أن يضرب غيره حتى يمرضه أو يقتله فالساحر والعائن وغيرهما ممن يتصرف بقوى الأنفس يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدورة وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه كمصير الخشب حيوانا

حساسا متحركا بالإرادة يبلع عصيا وحبالا ولا يتغير فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتادا ولا نادرا ولا يحصل بقوى نفس أصلا ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٤٦-٤٨] وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوة أنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علما ضروريا أنه من القادر المختار لتصديق موسى ونصره على السحرة كما قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [سُورَةُ طه: ٦٧-٦٩] وكذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب أمر خارج عن قوى النفوس وغيرها ولهذا كان أئمة هؤلاء المتفلسفة يكذبون بهذه المعجزات وربما جعلوها أمثالا فقالوا إنه ألقى عصا العلم فابتلعت حبال الجهل وعصيه ونحو ذلك كما يغلب الرجل الرجل بحجته وهذا من تأويلات القرامطة التي يعلم بالضرورة بطلانها وأنها مخالفة للمنقول بالتواتر ومخالفة لما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى من نقل هذه المعجزات واعتبر هذا بأمثاله وكذلك وقوف الشمس ليوشع بن نون وانشقاق القمر لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو عندهم ممتنع لا يمكن لا بقوى نفس ولا غير ذلك لأن الفلك دائم الحركة ومعلوم أن هذه المعجزات لا ريب فيها وانشقاق القمر قد أخبر الله به في القرآن وتواترت به الأحاديث كما في

الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود وأنس وابن عباس وغيرهم وأيضا فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ بهذه السورة في الأعياد والمجامع العامة فيسمعها المؤمن والمنافق ومن في قلبه مرض ومن المعلوم أن ذلك لو لم يكن وقع لم يكن ذلك أما أولا فلأن من مقصوده أن الناس يصدقونه ويقرون بما جاء به لا يخبرهم دائما بشيء يعلمون كذبه فيه فإن هذا ينفرهم ويوجب تكذيبهم لا تصديقهم وأما ثانيا فلأن المؤمنين كانوا يسألونه عن أدنى شبهة تقع في القرآن حتى نساؤه فراجعته عائشة في قوله «**من نوقش الحساب عذب**»، وذكرت قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سُورَةُ الانْشِقَاقِ :٨]، حتى قال لها: «**ذلك العرض**»[1]، وراجعته حفصة في قوله: «**لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»، وذكرت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ :٧١] حتى أجابها بقوله: «**ألم تسمعي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ :٧٢]**»[2]، وراجعه عمر بقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ :٢٧] عام الحديبية لما صالح المشركين على الرجوع ذلك العام حتى قال له أبو بكر كما قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقال لك أن تدخله هذا العام قال لا قال فإنك داخله

---

(١) كما في البخاري (١/ ٣٢، ح: ١٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤، ح: ٢٨٧٦).

(٢) كما في مسلم (٤/ ١٩٤٢، ح: ٢٤٩٦) من حديث أم مبشر رضي الله عنها.

ومطوف به[١]، وأمثال ذلك كثيرة فكيف يقرأ عليهم دائما ما فيه الخبر بانشقاق القمر ولا يرد على ذلك مؤمن ولا كافر ولا منافق مع أن ابن الربعري وغيره من المشركين تعلقوا بالقياس الفاسد في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٩٨] فقاس المسيح على الأصنام بكونه معبودا وهذا معبود وهذا من جهله بالقياس فإن الفرق ثابت بأن هؤلاء أحيانا ناطقون وهم صالحون يتألمون بالنار فلا يعذبون لأجل كفر غيرهم بخلاف الحجارة التي تلقى في النار إهانة لها ولمن عبدها قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٥٧-٥٨] فلو لم يكن انشقاق القمر معلوما معروفا عندهم لعظم في إنكاره القيل والقال وكثرة الاعتراض وكثرة السؤال وصار في ذلك من المراء والجدال ما لا يخفى على أدنى الرجال وكذلك القرآن فإن القرآن فيه من الأخبار عن الأمم الماضية كقصة آدم وإبليس ونوح وقومه ومخاطبته لهم وقصة عاد وثمود وفرعون وما جرى من الأمم وقومهم من المخاطبات في الأمور الجزئية مما لا يمكن أن تعلم بالحدس وقوى النفس التي تنال بواسطة العلم بالحد الأوسط وكذلك الخبر عن الأمور المستقبلة المفصلة فإن هذه كلها لا يمكن في الجبلة أن تعلم إلا بمخبر يخبر بها

(١) كما في حديث صلح الحديبية الطويل، أخرجه البخاري (٣/ ١٩٣، ح: ٢٧٣١).

الإنسان وأما علمه بها بدون الخبر فممتنع من قوى النفس ولهذا يقول سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [سُورَةُ القَصَصِ :٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ :٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ ١٠٢/١٢]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ :٤٤][١].

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وليس المقصود هنا ذكر تفضيل بعض الأنبياء على بعض، بل المقصود أنّ جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم بالآيات، والدلائل الدالّة على صدقهم، التي يعلم العقلاء إنّها لم توجد لغيرهم؛ فيعلمون أنّها ليست لغيرهم؛ لا عادةً، ولا خرق عادة، بل إذا عبّر عنها بأنّها خرق عادة، وبأنّها من العجائب، فالأمر العجيب هو الخارج عن نظائره. وخارق العادة ما خرج عن الأمر المعتاد؛ فالمراد بذلك أنّها خارجة عن الأمر المعتاد لغير الأنبياء، وأنّها من العجائب الخارجة عن النظائر، فلا يُوجد نظيرها لغير الأنبياء. وإذا وجد نظيرها؛ سواء كان أعظم منها، أو دونها لنبيّ؛ فذلك توكيد لها أنّها من خصائص الأنبياء؛ فإنّ الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، فآية كلّ نبيّ آية لجميع الأنبياء؛ كما أنّ آيات أتباعهم آيات لهم أيضاً. وهذا أيضاً من آيات الأنبياء، وهو تصديق بعضهم لبعض؛ فلا يُوجد من

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ١٣٧ ـ ١٤٢).

أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون لغير الأنبياء؛ كالسحرة، والكهنة، وأهل الطبائع، والصناعات إلاّ من يخالف بعضهم بعضاً فيما يدعو إليه ويأمر به، ويُعادي بعضهم بعضاً. وكذلك أتباعهم إذا كانوا من أهل الاستقامة؛ فما أتى به الأول من الآيات، فهو دليلٌ على نبوّته ونبوّة من يُبشّر به، وما أتى به الثاني فهو دليلٌ على نبوّته ونبوة من يُصدّقه ممّن تقدّم؛ فما أتى به موسى، والمسيح، وغيرهما من الآيات، فهي آيات لنبوّة محمدٍ لإخبارهم بنبوّته، فكان هذا الخبر ممّا دلّت آياتهم على صدقه.

وما أتى به محمد من الآيات، فهو دليلٌ على إثبات جنس الأنبياء مطلقاً، وعلى نبوّة كلّ من سُمِّيَ في القرآن، خصوصاً إذا كان هذا ممّا أخبر به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله، ودلّت آياته على صدقه فيما يخبر به عن الله. وحينئذٍ فإذا قُدِّر أنّ التوراة، أو الإنجيل، أو الزبور معجزٌ لما فيه من العلوم والإخبار عن الغيوب، والأمر والنهي، ونحو ذلك، لم يُنازع في ذلك، بل هذا دليل على نبوّتهم صلوات الله عليهم، وعلى نبوّة من أخبروا بنبوّته[1].

قال الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٥١٨ ـ ٥١٩).

...أنا ما رأينا ولا سمعنا منذ أهبط آدم إلى الآن: أن نبيا كذابا استوسق له ناموسه، كما استوسق دين الإسلام نحو ألف سنة،(١) وهو كلما جاء في زيادة وتمكن.

بل كان المتنبّئ لا يلبث إلا يسيرا، حتى يفضحه الله، ويهتك ستره، لأن عادة الله في خلقه: أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويجعل العاقبة للمتقين(٢).

---

(١) إلى زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) الانتصارات الإسلامية (٢٥٠ ـ ٢٥٢).

١٦ - حاجة الناس إلى معرفة الخير والشر والحق والباطل والصدق والكذب.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن طرق إثبات النبوة:

الطَّرِيق الأول: برهَان أنشىء من الحركات الاختيارية وَهِي أَقسَام ثَلَاثَة فكرية وقولية وعملية وَالْحَرَكَة الفكرية يدخلهَا الْحق وَالْبَاطِل والقولية يدخلهَا الصدْق وَالْكذب والعملية يدخلهَا الْخَيْر وَالشَّر وَهَذِه الْعبارَات اصطلاحية وَالْمعْنَى مُسْتَقِيم فِيهَا مَفْهُوم عَنْهَا وَلَا يشك فِي انها على تضادها واختلافها لَيست وَاجِبَة الْفِعْل بجملتها وَاجِبَة التَّحْصِيل فان من أفتى بِهَذِهِ الْفَتْوَى يكون مُسْتَحقّ الْقَتْل بفتواه لِأَن قَتله من جملَة الحركات وَهُوَ وَاجِب الْفِعْل وَلَيْسَ كلهَا وَاجِب التّرْك فَإِن من أفتى بِهَذَا يَنْبَغِي أَن لَا يتنفس لِأَن التنفس مِنْهُ حَرَكَة وَهِي وَاجِبَة التّرْك فَظهر من هَذَا أَن بَعْضهَا وَاجِب التّرْك وَبَعضهَا وَاجِب الْفِعْل وَإِذا ثَبت هَذَا فقد ثَبت حُدُود فِي الحركات حَتَّى كَانَ بَعْضهَا خيرا وَاجِب الْفِعْل وَبَعضهَا شرا وَاجِب التّرْك فالتمييز بَين حَرَكَة وحركة بالحدود وَلَا يَخْلُو إِمَّا ان يعرفهُ كل أحد أَو لَا يعرفهُ أحد أَو يعرفهُ بعض دون بعض وَظَاهر انه لَا يعرفهُ كل أحد وباطل انه يعرفهُ كل أحد فَظهر أَنه يعرفهُ أحد دون أحد فَثَبت بالتقسيم الأول حُدُود فِي الحركات وَثَبت بالتقسيم الثَّانِي أَصْحَاب حُدُود يعرفونها وهم الْأَنْبِيَاء وَأَصْحَاب الشَّرَائِع عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام والانسان اذا رَاجع نَفسه علم أَنه اذا لم يكن عَارِفًا

بالحدود يجب أَن يكون فِي حكم أَصْحَاب الْحُدُود فَثَبت وجود النُّبُوَّة بضرورة الحركات[(١)].

يوضحه أن كل إنسان له ثلاثة متعلقات ناشئة عن نطق وحركة وفكر فمن النطق الأقوال ومن الحركة الأفعال ومن الفكر الاعتقادات وكل هذه الثلاثة أي الأقوال والأفعال والاعتقادات متجاذبة بين أمرين اثنين فالأقوال دائرة بين الصدق والكذب والأفعال دائرة بين الخير والشر والاعتقادات دائرة بين الحق والباطل فنتج من هذا أن الأقوال إما أن تكون صدقا أو كذبا وأن الأفعال إما أن تكون خيرا أو شرا وأن الاعتقادات إما أن تكون حقا أو باطلا وكل خير وحق وصدق مأمور به وكل شر وباطل وكذب منهي عنه وكل إنسان لا يخرج عن هذه الحالات الست المذكورة وحاجة العباد إلى معرفة ما يكون على هذه الأوصاف أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب لكي ينضبط نطقهم وفعلهم وفكرهم فيكون بهذا انضباط حياتهم وقوام عيشهم ومعرفة هذه الأمور المعنوية المبدأية من المادة متعذر، والقول بأن كل فرد من الناس يعلم هذه الأمور على حقيقتها مستحيل، وفيه مكابرة لوجود جماعات غير يسيرة لا تستطيع التمييز بين الخير والشر والصدق والكذب والحق والباطل، وعكس القول باطل أيضا. أي أن كل فرد من بني آدم لا يعلم هذه الأمور ولا يستطيع تمييز بعضها عن بعض. لأن من

(١) معارج القدس (١٣٢ ـ ١٣٣).

بني آدم من عرف هذه الأمور وميزها وعرَّف الناس بأحوالها وحقائقها وينتج من هذا أن بعض بني آدم يعرف هذه الأمور ويميز خيرها من شرها وصدقها من كذبها وحقها من باطلها لا كلهم يعلمونها ولا كلهم يجهلونها، وهنا مربط الفرس وإذا نظرنا في حال هؤلاء الذين تفردوا بمعرفتها عن غيرهم ثم دلوا الناس عليها وعرفوهم بها، كيف وصل إليهم علمها ومعرفتها؟ الجواب له احتمالان:

الأول: أن يكونوا تعرفوا عليها عن طريق أمر داخل فيهم ومتعلق بهم وهو العقل،

والثاني: أن يكونوا تعرفوا عليها عن طريق أمر خارج عن نطاقهم ومقدورهم، وهو الوحي،

والأول باطل والثاني متعين، وبطلان الأول ظاهر قطعا لأننا إذا قلنا بمعرفة بعض بني آدم لهذه الأمور وتمييزهم لحسنها من قبحها بمجرد العقل دون ارتباط خارجي يتصل به وقعنا في إشكال واضح، وهو لماذا تفرد هؤلاء من كافة البشر بمعرفتها بعقولهم مع وجود عقول لغيرهم من بني جنسهم؟ لا بد من خصيصة زائدة على مجرد العقل تم من خلالها التفريق بين هذه الأمور المذكورة، ولو كان بالإمكان معرفتها بالعقل المجرد لعرفها جميع الناس إذ أنهم كلهم مستوون في أصل خلقتهم بوضع أصل الغريزة العقلية فيهم، وإذا بطل القول بأن معرفتهم لها كانت بواسطة العقل استقلالا تعين أن تكون المعرفة بسبب أمر خارج عن نطاقهم وليس داخلا في مقدورهم، إذ لو كان داخلا في مقدورهم لم يلزم اختصاصهم

وتفردهم بها عن غيرهم من بني جنسهم وكونه خارجا عن نطاقهم يدل على أن معرفتهم لها من قبل غيرهم وهذا المغاير لهم الذي دلهم عليها وعرفهم بها بإجماع العقلاء لن يختار منهم إلا أصلحهم حالا وأزكاهم نفسا وأطهرهم قلبا وأعلاهم همة وأعظمهم صبرا لكي يبلغوها إلى غيرهم بأعلى الوجوه صدقا وأمانة ووفاء وصيانة عن تغييرها أو تبديلها وسيقوم بنصرهم وإعزازهم ورفعهم وتأييدهم حتى يتم لهم تبليغ ما أوحاه إليهم وأنزله عليهم وإيصاله إلى من أمرهم بإيصاله إليه، وإذا تقرر هذا فلا أصلح حالا وأزكى نفسا وأطهر قلبا وأعظم تبيينا من أنبياء الله ورسله، ولا معرف لهم بها ودال لهم عليها سوى خالق كل مخلوق وبارئ كل مبروء العالم بخفاياها والخبير بحقائقها من بواطلها وببواطنها من ظواهرها وبصحتها من فسادها ونافعها من ضارها، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فمن هذا الوجه وغيره يتبين - كما يقولون - بلغة العقل والمنطق إثبات جنس النبوات وأنها ليست مجرد أفكار يكتسبها العقل وإنما هي وحي وإلهام من قبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٧- إقامة الحجة على العباد.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الدنيا دار عمل بلا حساب وجعل الآخرة دار حساب بلا عمل وينافي حكمة الله جل وعلا أن يعذب العصاة على ترك ما لم يبلغهم وجوبه وفعل ما لم يبلغهم تحريمه ولا سبيل إلى معرفه العباد لما يحبه الله ويرضاه وما يسخطه ويأباه إلا من جهته جَلَّ وَعَلَا أما أن يتعرف العباد على أوامر خالقهم وفاطرهم بدون تعريف الله لهم فهذا محال وإذا كان العبيد لا يمكنهم أن يتعرفوا على ما يرضي سيدهم ويسخطه وهو مخلوق مثلهم يخالطهم ويخالطونه ويجالسهم ويجالسونه وهو من بني جنسهم ومن نوع خلقتهم ومع هذا كله لا سبيل إلى تعرفهم على ما يريده وما لا يريده إلا بإخباره لهم، فمن باب أولى عجز العباد عن معرفة تفاصيل ما يريده رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهم مع ما بينه وبينهم من التفاوت المطلق الذي لا يحد فأنى لعقول المخلوقين أن تتعرف على ما يريده الخالق جَلَّ وَعَلَا وما لا يريده إلا بإخبار منه سبحانه وتعالى عن طريق ما يوحيه ويفيضه على أفضل الأرواح وأزكاها وأطهرها على الإطلاق، لتكون مؤهلة وصالحة لتبليغ أوامر الخالق العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو المتعين ودون غيره خرط القتاد.

ولم يرسل الله رسله وينزل كتبه إلا لهذا الأمر العظيم ألا وهو تعريف الناس بأوامر الله وإقامة الحجة عليهم وليكون الناس على بصيرة مما يقدمون عليه

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٤٢﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٤٢].

فلرحمة الله عَزَّوَجَلَّ بهم أرسل إليهم من يأخذون بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ولو أن الله عَزَّوَجَلَّ كلف العباد أن يعبدوه ولم يرسل إليهم من يعرفونهم عبوديته لكان من التكليف بما لا يطاق والله جَلَّ وَعَلَا في كتابه يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ١٥]، ولو أن ملكا من ملوك الدنيا قال لرعيته افعلوا ما آمركم به في يومنا هذا والموعد غدا أكافئ الطائعين وأعاقب العاصين فجاء الملك يوم غد ليحاسبهم ولم يأمرهم بشيء أو أمرهم في نفسه ولم يبلغهم شيئا من أوامره لكان مخطئا ضالا ظالما لأنه عاقبهم على ترك أوامره التي لم تصلهم ولا سبيل لهم إلى معرفتها والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن هذا كله ونفاة النبوات يلزمهم ما ذكرناه من إثبات النقائص لله عز وجل وهذا ممتنع غاية الامتناع لأن خالق هذا الكون الدقيق المحكم بالأنظمة السماوية والأرضية يمتنع ببدائه العقول أن يحاسب الناس على ما لم يبلغهم فهذا كله في حيز الامتناع لا محيص له عنه والله جَلَّ وَعَلَا في كتابه يقول ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٩٢] وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٩٩ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي

ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ :٩٨ـ١٠٠]، وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ :٤٠-٤٢] وإذا تقرر هـذا فإن الله جَلَّ وَعَلَا أرسل إلى الناس ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :١٦٥] والله جَلَّ وَعَلَا ذكر هذه الآية في سـورة النسـاء بعد ذكره لعدد غير قليل من الأنبياء إشـارة إلى بيان فسـاد قول هؤلاء الضلال الملاحدة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٨ - حاجة الناس إلى وضع نظام يسيرون عليه.

قال الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبيانه لمن نازع فيه بحجتين:

إحداهما: أن عناية الباري سبحانه بخلقه قد تثبت في اليسير، من مصالح المعاش، كوضع الحواس والأعضاء، متهيئة لما وضعت له ونحو ذلك من نعم الله التي لا تحصى.

فالعناية بهم في أمر المعاد بإرسال من يهديهم إلى طريق السعادة الأبدية والحياة الدائمة، ويكف شر بعض العالم عن بعض، لينتظم أمرهم أولى...[(١)].

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الطَّرِيق الثَّانِي أَن نقُول إِن نوع الانسان مُحْتَاج الى اجْتِمَاع على صَلَاح فِي حركاته الاختيارية ومعاملاته المصلحية وَلَوْلَا ذَلِك الِاجْتِمَاع مَا بَقِي شخصه وَلَا انحفظ نَوعه وَلَا احترس مَاله وحريمه وَكَيْفِيَّة ذَلِك الِاجْتِمَاع تسمى مِلَّة وَشَرِيعَة وَبَيَان ذَلِك أَنه فِي اسْتِبْقَاء حَيَاته واستحفاظ نَوعه وحراسة مَاله وحريمه يحْتَاج الى تعاون وتمانع أما التعاون فلتحصيل مَا لَيْسَ لَهُ مِمَّا يحْتَاج اليه فِي مطعمه وملبسه ومسكنه وَأما التمانع فلحفظ مَا لَهُ من نَفسه وَولده وحريمه وَمَا لَهُ وَكَذَلِكَ فِي استحفاظ نَوعه يحْتَاج الى تعاون فِي الازدواج والمشاركة وتمانع يحفظ ذَلِك

(١) الانتصارات الإسلامية (١/ ٢٥٣).

على نَفسه وَهَذَا التمانع والتعاون يجب ان يَكُونَا على حد مَحْدُود وَقَضِيَّة عادلة وَسنة جَامِعَة مَانِعَة وَمن الْمَعْلُوم أَن كل عقل لَا يَفِي بتمهيد هَذِه السّنة على قانون يَشْمَل مصَالح النَّوْع جملَة ويخص حَال كل شخص تَفْصِيلًا الا أَن يكون عقل مؤيد بِالْوَحْي مقيض للرسالة مستمد من الروحانيات الَّتِي قيضت لحفظ نظام الْعَالم وهم بِأَمْرِه يعْملُونَ وعَلى سنته فِي الْخلق سائرون وبحكمه حاكمون فَيكون الْفَيْض مُتَّصِلا بهَا من الْمَقَادِير فِي الْأَحْكَام ثمَّ مِنْهَا فائضا على الشَّخْص المتحمل لِتِلْكَ الْأَمَانَة الْقَابِل لأسرار الدّيانَة يتبع الْحق فِي جَمِيع الْأُمُور ويتبعه الْخلق فِي جَمِيع الحركات يكلم النَّاس على مقادير عُقُولهمْ بعقله الْوَاقِف على تِلْكَ الْمَقَادِير ويكلف الْعباد على قدر استطاعتهم بقدرته المحيطة بِتِلْكَ الأقذار[(١)].

(١) معارج القدس (١٣٣).

١٩ ـ تعريف الناس بأوامر الله ونواهيه

لا قيمة لوجود ملك في مملكته ليس له في أهلها أمر ولا نهي، وإن القول بهذا. أي أن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يأمر ولا ينهى عباده. يقتضي غاية التعطيل لملكه إذ أن المَلِكَ المالك لمملكته ومماليكه لا بد وأن يأمر عبيده بما يصلحهم وينهاهم عما يفسدهم، أما أن يكون خالقا لهم مالكا لهم ويأمرهم غيره وينهاهم غيره، فإن هذا الغير هو المالك لهم على الحقيقة، وهذا الأول ليس إلا منصوبا في الملك ولا ملك له، لأن المَلِك هو الذي يملك الأمر والنهي في مملكته، أما أن يكون ملكا والأمر لغيره فهذا تناقض، ولهذا كان هذا القول. أعني أن الله لم يأمر العباد ولم ينهاهم. تعطيل لملكه الذي لا ينكره إلا مكابر وجاحد له ظلما وعلوا.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهَذِه الدَّلَائِل فروع لأصل وَاحِد وَهُوَ إِثْبَات الْأَمر لله عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ الطَّرِيق الثَّالِث[1] لأثبات النُّبُوَّة وَمن لم يعْتَرف بِأَمْرِه لم يعْتَرف بِالنُّبُوَّةِ قطّ فان النَّبِي متوسط الْأَمر كَمَا أَن الْملك متوسط الْخلق وَالْأَمر وكما وَجب الايمان بِاللَّه من حَيْثُ الْخلق وَالْأَمر وَجب الايمان بِاللَّه وبمتوسط الْخلق وَالْأَمر ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٨٥].

---

(١) عنده رحمه الله، وإلا فهي أكثر من ذلك.

وَالطَّرِيق فِي إِثْبَات الْأَمر على نَوْعَيْنِ أَحدهمَا أَن الممكنات كَمَا احْتَاجَت الى مُرَجّح لجَانب الْوُجُود على الْعَدَم وَأَن الحركات كَمَا احْتَاجَت بتجددها الى محرك يديمها بالتعاقب ثمَّ المائلة من الحركات الى غير مَا مَالَتْ عَنهُ والمختلفات مِنْهَا الى غير جهاتها الطبيعية احْتَاجَت بتجددها الى كَون المحرك مرِيدا مُخْتَارًا ثمَّ المتوجهة مِنْهَا الى نظام الْخَيْر دون الْفساد وَالشَّر احْتَاجَت الى كَون المحرك آمرا أَمر التَّدْبِير وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ: ١٢] ثمَّ الحركات الانسانية كَمَا احْتَاجَت الى إِرَادَة عقلية فِي جهاتها المتباينة كَذَلِك احْتَاجَت الى مُكَلّف آمُر ناه فِي حُدُودهَا الْمُخْتَلفَة حَتَّى يخْتَار الْمُكَلف الْحق دون الْبَاطِل فِي الحركات الفكرية والصدق دون الْكَذِب فِي الحركات القولية وَالْخَيْر دون الشَّرّ فِي الحركات العملية وكما أَن أَمر التَّدْبِير جَار على عُمُوم الْخلق لنظام وجود الْعَالم الْكَبِير كُله وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٥٤] كَذَلِك أَمر التَّكْلِيف جَار على خُصُوص الْخلق لنظام وجود الْعَالم الصَّغِير وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١] وَكَذَلِكَ جَمِيع الْأَوَامِر والنواهي المتوجهة على النَّاس وكما أوحى فِي كل سَمَاء أمرهَا بِوَاسِطَة ملك كَذَلِك أوحى فِي كل زمَان أمره بِوَاسِطَة نَبِي فَذَلِك هُوَ التَّقْدِير وَهَذَا هُوَ التَّكْلِيف.

الطَّرِيق الثَّانِي فِي إِثْبَات الْأَمر الاول: أَن نقُول قد ثَبت وَتحقّق بالبراهين أَن الأول الْمُبْدع ملك مُطَاع فَلهُ الْخلق كُله ملكا وملكا وَلكُل ملك فِي سُلْطَانه أَمر وَنهي وترغيب وترهيب ووعد ووعيد وَلَا يجوز أَن يكون أمره مُحدثا مخلوقا فان الْمَخْلُوق من حَيْثُ هُوَ مَخْلُوق لَا يدل الا على خَالق فَلَيْسَ لَهُ دلَالَة على الْأَمر بِمَعْنى الِاقْتِضَاء والطلب والتكليف والتعريف والحث والزجر وَالتَّرْغِيب والترهيب وَمن لم يثبت لله عَزَّوَجَلَّ أمرا يطاع فقد أحَال كل هَذِه الْأَوَامِر والنواهي والتذكيرات والتنبيهات على من ادّعى النُّبُوَّة مَقْصُورَة عَلَيْهِ متعدية عَنهُ وَمَا يضيفه الى الله تَعَالَى من قَالَ الله وَذكر الله وَأمر الله وَنهى الله ووعد الله وأوعد الله يكون مجَازًا لَا حَقِيقَة وترويجا للْكَلَام على الْعَامَّة لَا تَحْقِيقا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [سُورَةُ الأَنعَامِ :٩٣] فقد نسبوا النَّبِي الَّذِي فِي أَعلَى دَرَجَات الانسان الى أَشد الظُّلم الَّذِي هُوَ أَسْفَل الدَّرَجَات والخيانة الَّتِي هِيَ أَخبث السَّيِّئَات جلّ منصب النُّبُوَّة عَن ذَلِك(١).

وبعد ذكر بعض ما تثبت به النبوات، نقول للبخيتي وغيره كيف تدفعون مثل هذه الحقائق التي لا مفر من تصديقها إلا بالدجل والكذب والافتراء وتعطيل حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإنكار وجود النبوات مكابرة واضحة ليس مع القائل بها دليل يقوم عليه إنكاره، ولهذا تناقض البخيتي فيها كما في قوله: (والنبي

(١) معارج القدس (١٣٣ ـ ١٣٥).

محمد اعتقد فعًلا أنه مبعوث من الله، ولم أتهمه بالكذب مطلقًا) وبعد أن أثبتنا بالأدلة الصحيحة النظرية والنقلية وجود الرسالات فهلم معي أيها القارئ الكريم لبيان الأدلة على إثبات نبوة محمد ﷺ التي من آمن بجنس الرسالة لزمه الإيمان به لزوما جازما، لإن أوصافه تنبئ عن حاله، وأحواله تخبر عن صفته من حسن الأخلاق وصدق الحديث ونحوها، وإذا كان النبي ﷺ يَصْدُقُ في أمور الدنيا اليسيرة كالبيع والشراء ويتورع من الكذب على مخلوق مثله في مسائل صغار فكيف يكذب على رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أعظم المسائل وأجلها، وإلى تقرير رسالته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

الأمر الثاني: إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام (الخاصة)

لا أدري لماذا لا يستوعب عقل البخيتي الضيق.إن ثبت له عقل.الاعتراف بنبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع اعترافه بطب بقراط ونحو سيبويه ورياضيات الخوارزمي وشعر حسان وفلسفة أرسطو وفقه الشافعي ونحوهم ممن عُرف وجودهم وصفاتهم معرفة مشتهرة متكاثرة لا تبلغ مجتمعة مدى اشتهار معرفة نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهي أعظم من أن تحصر أو تحد وتعد، بل كان أمر نبوته معروفا معلوما مشتهرا قبل ولادته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد بشر ببعثته عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل ولادته بنحو ٦٠٠ عام، وأهل الكتاب يعرفونه قبل مجيئه معرفة تامة ويعرفون أوصافه وأنه هو هو الذي بشر به عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال أصدق القائلين: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٤٥-١٤٧].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ النَّبِيِّ الْمُعَيَّنِ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ عَرَفُوا أَنَّهُ يُبْعَثُ نَبِيٌّ، وَقَدْ يَعْرِفُونَ بَعْضَ نُعُوتِهِ فَيَحْتَاجُونَ أَنْ يَعْرِفُوا عَيْنَهُ، وَهِرَقْلُ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ نَبِيًّا

سَيُبْعَثُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا هَلْ هُوَ هَذَا النَّبِيُّ الْمَذْكُورُ أَمْ غَيْرُهُ، فَيَكُونُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ دَلَائِلِ صِدْقِهِ أَيْسَرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ أَوْ لَا يَعْرِفُ أَنَّ نَبِيًّا سَيُبْعَثُ، وَمَنْ كَانَ يَعْلَمُ جِنْسَ الرُّسُلِ، وَلَا يَدْرِي هَلْ يُبْعَثُ نَبِيٌّ أَمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمِ أَنَّ هَذَا الْمُعَيَّنَ هَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَنْبِيَاءِ الصَّادِقِينَ أَوْ مِنْ جِنْسِ الْمُتَنَبِّئِينَ الْكَاذِبِينَ، وَهَذَا يُعْرَفُ بِمَا يَخُصُّهُ مِنْ آيَاتِ صِدْقِهِ، وَبِاعْتِبَارِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، فَإِنَّ أُصُولَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ اخْتِلَافُ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ النَّسْخَ كَالْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ اخْتِلَافُ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ، إِذْ كَانَ كُلُّ مَا يُخْبِرُ بِهِ النَّبِيُّ فَهُوَ صِدْقٌ، وَالْأَخْبَارُ الصَّادِقَةُ لَا تَتَنَاقَضُ وَلَا تَقْبَلُ النَّسْخَ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمَ بِبَعْضِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ، وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ بِبَعْضِ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِي كَلَامِ بَعْضٍ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ هُوَ أَكْمَلُ وَأَكْثَرُ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مُوسَى، وَالْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ[1].

وبعد أن ثبت عند المعترض جنس النبوات وانعدم المانع الصحيح من إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام لزم وجودها وصحتها إذ أن إثبات الجنس يستلزم إثبات المعين فهما متلازمان لا يثبت الجنس إلا بثبوت وجود نبي معين ولا يثبت وجود نبي معين إلا بثبوت جنس الرسالة.

---

(١) الجواب الصحيح (٦ / ٥٢٠ ـ ٥٢١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور، أبين مما أقر أن في الدنيا نحاة وأطباء وفقهاء فإذا رأى نحو سيبويه وطب أبقراط وفقه الأئمة الأربعة ونحوهم كان إقراره بذلك من أبين الأمور(١).

وقبل أن أشرع في ذكر الأدلة على إثبات نبوة محمد عيه الصلاة والسلام أضع بين يدي الكلام كلاما نافعا جامعا للعلامة السعدي يتعلق بما أردنا تقريره وإيضاحه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القاعدة السابعة: في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هذا الأصل الكبير: قرره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبر أنه صدق المرسلين، ودعا إلى ما دعوا إليه، وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء في نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما نُزِّهوا عنه من النقائص والعيوب، فرسولنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاهم وأحقهم بهذا التنزيه، وأن شريعته مهيمنة على جميع الشرائع، وكتابه مهيمن على كل الكتب. فجميع محاسن الأديان والكتب قد جمعها الله في هذا الكتاب وهذا الدين، وفاق عليها بمحاسن وأوصاف لم توجد في غيره، وقرر نبوته بأنه أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولا

(١) النبوات (١ / ٢٠٢).

جالس أحداً من أهل العلم بالكتب السابقة، بل لم يَفْجَأ الناس إلا وقد جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما أَتوا ولا قَدِروا، ولا هو في استطاعتهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وأنه محال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه، أو أن يكون قد تقوَّله على ربه، أو أن يكون على الغيب ظنيناً.

وأعاد القرآن وأبدى في هذا النوع، وقرر ذلك بأنه يخبر بقصص الأنبياء السابقين مطولة على جميع الواقع، الذي لا يستريب فيه أحد، ثم يخبر تعالى: أنه ليس له طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي، كمثل قوله تعالى لما ذكر قصة موسى مطولة ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٤٤] ولما ذكر قصة يوسف وإخوته مطولة قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ١٠٢] فهذه الأمور والإخبارات المفصلة التي يفصلها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بما أوحي إليه تفصيلاً، صحح به أكثر الأخبار والحوادث التي كانت في كتب أهل الكتاب محرفة ومشوهة بما أضافوا إليها من خرافات وأساطير، حتى ما يتعلق منها بعيسى وأمه وولادتهما ونشأتهما، وبموسى وولادته ونشأته، كل ذلك وغيره لم يكن يعرفه أهل الكتاب على حقيقته حتى جاء القرآن، فقص ذلك على ما وقع وحصل، مما أدهش أهل الكتاب وغيرهم، وأخرس ألسنتهم حتى لم يقدر أحد منهم ممن كان في وقته، ولا ممن

كانوا بعد ذلك، أن يكذبوا بشيء منها، فكان ذلك من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقاً.

وتارة يقرر نبوته بكمال حكمة الله، وتمام قدرته، وأن تأييده لرسوله ونصره على أعدائه، وتمكينه في الأرض هو مقتضى حكمةِ ورحمةِ العزيز الحكيم، وأن من قدح في رسالته فقد قدح في حكمة الله وفي قدرته. وفي رحمته، بل وفي ربوبيته.

وكذلك نصره وتأييده الباهر لهذا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الأمم الذين هم أقوى أهل الأرض من آيات رسالته، وأدلة توحيده، كما هو ظاهر للمتأملين.

وتارة يقرر نبوته ورسالته بما جمع له وكمله به من أوصاف الكمال، وما هو عليه من الأخلاق الجميلة، وأن كل خلق عال سام فلرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منه أعلاه وأكمله.

فمن عظمت صفاته، وفاقت نعوته جميع الخلق التي أعلاها: الصدق والأمانة، أليس هذا أكبرَ الأدلة على أنه رسول رب العالمين، والمصطفى المختار من الخلق أجمعين؟

وتارة يقررها بما هو موجود في كتب الأولين، وبشارات الأنبياء والمرسلين السابقين، إما باسمه العلم أو بأوصافه الجليلة، وأوصاف أمته وأوصاف دينه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سُورَةُ الصَّفِّ: ٦].

وتارة يقرر رسالته بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلة، التي وقعت في زمان مضى على زمانه، أو وقعت في زمانه والتي لا تزال تقع في كل وقت، فلولا الوحي ما وصل إليه شيء من هذا، ولا كان له ولا لغيره طريق إلى العلم به.

وتارة يقررها بحفظه إياه، وعصمته له من الخلق، مع تكالب الأعداء وضغطهم عليه، وجِدِّهم التام في الإيقاع به بكل ما في وسعهم، والله يعصمه ويمنعه منهم وينصره عليهم، وما ذاك إلا لأنه رسوله حقا، وأمينه على وحيه والمبلغ ما أمر به.

وتارة يقرر رسالته بذكر عظمة ما جاء به وهو القرآن الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ: ٤٢] ويتحدى أعداءه، ومن كفر به أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة، فعجزوا ونكصوا وباءوا بالخيبة والفشل، وهم أهل اللسان المُبَرِّزون في ميدان القول والفصاحة، ومع ذلك ما استطاعوا ـ مع شدة حرصهم.

ومحاولتِهم ـ أن يأتوا بسورة منه وما استطاعوا ولا قدروا ـ مع شدة حرصهم ومحاولتِهم ـ أن يجدوا فيه نقصاً أو عيباً ينزل به عن أعلى درجات الفصاحة التي ملكت أزمة قلوبهم، فلجأوا إلى السيف وإراقة دمائهم، وما كانوا يعمدون إلى هذا لولا أنهم لم يجدوا سبيلاً إلى محاربته بالقول، وما كانوا يزعمونه عندهم علوماً وحكماً، فكان عدولهم إلى السيف وإراقة الدماء أكبر الأدلة على صدق

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وأقطع البراهين على أنه الحق والهدى من عند الله الذي جمع الله فيه لرسوله وللمؤمنين به كل ما يكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة في كل شئونهم. وأن هذا القرآن لأكبرُ أدلة رسالته وأجلُّها وأعمُّها.

والله تعالى يقرر أن القرآن كاف جداً أن يكون هو الدليل الوحيد على صدق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع عدة، منها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٥١].

وتارة يقرر رسالته بما أظهر على يديه من المعجزات، وما أجرى له من الخوارق والكرامات، الدالّ كل واحد منها بمفرده. فكيف إذا اجتمعت. على أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وتارة يقررها بعظيم شفقته على الخلق، وحُنوِّه الكامل على أمته، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه لم يوجد ولن يوجد أحد من الخلق أعظم شفقة ولا براً وإحساناً إلى الخلق منه، وآثار ذلك ظاهرة للناظرين.

فهذه الأمور والطرق قد أكثر الله من ذكرها في كتابه وقررها بعبارات متنوعة، ومعاني مفصلة وأساليب عجيبة، وأمثلتها تفوق العد والإحصاء. والله أعلم[١].

وإلى العقلاء أسوق طرقا سليمة ومسالك مستقيمة لإثبات نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدونكموها:

(١) القواعد الحسان (١ / ٢٢ ـ ٢٤).

١ - انقطاع الرسل في الزمن الذي بعث فيه النبي عليه الصلاة والسلام مع الحاجة إليهم

إن من مقتضى رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بعباده أن يرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ومعلمين ومشرعين يهدون الناس إلى الخير ويحذرون الناس من الشر ويدلونهم على ما ينفعهم ويحذرونهم مما يضرهم، ومن المعلوم أن تلك الأعصار والأمصار التي بعث فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عظمت فيها الغفلة عن توحيد الله والبعد عن طاعة الله وانتشر الشرك بالله وكثرت الاعتقادات الباطلة المخالفة لصحيح النقل وصريح العقل وصار أكثر أهل الأرض حينئذ على الكفر بالله والإشراك به سبحانه، قال الإمام مسلم في صحيحه حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، وَابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...الحديثَ**»[(١)]، وذلك الراهب الذي

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧، ح: ٢٨٦٥).

كان سلمان الفارسي عنده وهو آخرهم لما حضرته الوفاة قال لسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ(١)، فلما قل العلم وكثر الجهل وانطمست أعلام النبوة وعاش الناس في فترة من الرسل بلغ بالناس من الكفر والإشراك أن جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وكان الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يزالون يسمون الملائكة تسمية الأنثى، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، بل وأثبتوا عياذا بالله لله عز وجل الصاحبة والولد فقالت ﴿ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٣٠] و﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٧] وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، وافتروا على الله عَزَّوَجَلَّ ووصفوه بأقبح الأوصاف وأبشعها التي لربما لو أطلقت على أحد الملاحدة لخار كما يخور الثور، فوصفوه بأنه فقير وبخيل ف﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٨١] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٦٤] وقالوا أيضا إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة

---

(١) حسن.

جزء من حديث قصة سلمان عند الإمام أحمد (٣٩/ ١٤٠، ح: ٢٣٧٣٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

أيام فأعياه خلقهن وأصابه التعب فاستراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وكانوا يعبدون ما ينحتون، ويقتلون أولادهم سفها بغير علم، ويدفن الرجل ولده وابنته أحياء في التراب، أفلا يكون أقوام هذا حالهم بحاجة ماسة إلى أن يبعث الله إليهم من يخرجهم من هذه الظلمات التي يتخبطون فيها إلى النور الأبلج الذي لا ظلمة فيه ؟ والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٩] والفترة: الانقطاع وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٧] وقال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢٤] فجعل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مجيئ محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك العصر. الذي انطمست فيه أعلام النبوة بشيرا ونذيرا. دليلا على صحة رسالته وصدق نبوته إذ أن مقتضى رحمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يبعث إليهم رسولا ليكون هاديا لهم إلى مصالحهم ومنافعهم ومحذرا من مضارهم ومفاسدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَأَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ، وَبَعَثَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَظُهُورِ الْكُفْرِ، وَانْطِمَاسِ السُّبُلِ، فَأَحْيَا بِهِ مَا دَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ الْإِيمَانِ، وَقَمَعَ بِهِ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنْ عُبَّادِ الْأَوْثَانِ، وَالنِّيرَانِ، وَالصُّلْبَانِ، وَأَذَلَّ بِهِ كُفَّارَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْلِ الشَّكِّ والِارْتِيَابِ، وَأَقَامَ بِهِ

مَنَارَ دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ، وَشَادَ بِهِ ذِكْرَ مَنِ اجْتَبَاهُ مِنْ عِبَادِهِ وَاصْطَفَاهُ، وَأَظْهَرَ بِهِ مَا كَانَ مَخْفِيًّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَبَانَ بِهِ مَا عَدَلُوا فِيهِ عَنْ مَنْهَجِ الصَّوَابِ، وَحَقَّقَ بِهِ صِدْقَ التَّوْرَاةِ، وَالزَّبُورِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَأَمَاطَ بِهِ عَنْهَا مَا لَيْسَ بِحَقِّهَا مِنْ بَاطِلِ التَّحْرِيفِ، وَالتَّبْدِيلِ وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُوَاتَرَةُ الرُّسُلِ، وَتَعْمِيمُ الْخَلْقِ بِهِمْ، بِحَيْثُ يَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ؛ لِيُقِيمَ هُدَاهُ، وَحُجَّتَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٦٣-١٦٥] وَلَمَّا أُهْبِطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ

ٱلْأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ [سُورَةُ طه: ١٢٣-١٢٧] وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ المُلْك: ٨-١٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاء: ١٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَام: ١٣٠-١٣١](١).

وقال المفسر الكبير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: ١٩] قال:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرسل، وطُمُوس من السبل، وتَغير الْأَدْيَانِ، وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ وَالصُّلْبَانِ،

(١) الجواب الصحيح (١/ ٧٨ـ ٨٠).

فَكَانَتِ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ النِّعَمَ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَمْرَ عَمَم، فَإِنَّ الْفَسَادَ كَانَ قَدْ عَمَّ جَمِيعَ الْبِلَادِ، وَالطُّغْيَانَ وَالْجَهْلَ قَدْ ظَهَرَ فِي سَائِرِ الْعِبَادِ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِبَقَايَا مِنْ دَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، مِنْ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَعِبَادِ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ[1].

وقال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها أيضا:

يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب بسبب ما من عليهم من كتابه أن يؤمنوا برسوله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إليهم على حين ﴿فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٩] وشدة حاجة إليه، وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية والأحكام الشرعية، وقد قطع الله بذلك حجتهم، لئلا يقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ﴾ يبشر بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ انقادت الأشياء طوعا وإذعانا لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يثيب من أطاعهم ويعاقب من عصاهم[2]. والله المستعان.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/ ٦٣.٦٤).

(٢) تفسير السعدي (٢٢٧).

٢ - موافقته - عليه الصلاة والسلام - لمن سبقه من الأنبياء وتصديقه لهم

إن غالب من يريدون العلو في الأرض وحب الظهور على الناس لا يعترفون بغيرهم ممن اتفقوا معهم في جنس أحوالهم وأوصافهم بل يدعون أنهم عرفوا ما جهله أولئك ممن كانوا قبلهم، خاصة إذا كان لهؤلاء الغير أتباعا يعادون ذلك الشخص وينفون ما عنده من الحق ويزعمون أن إمامهم ومتبوعهم قد انفرد بالحق كله فيحصل من هذا المتأخر أن يسعى في إبطال أحقية وصدقية خصمه ومتبوع مخالفيه، وهذا فيمن كان على غير الحق لأن انعدام الحق عنده يجعله يبحث عن مكائد وادعاءات إيهامية إبهامية للفت أنظار الناس إليه، أما من كان على الحق الأبلج الواضح البين. الذي يختفي نور الشمس إذا جعل في مقابلته. فهذا لا يُخَطِئُ غيره ممن هو في نفس طريقه وذات سبيله ومن هنا كان محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تابعا للأنبياء والمرسلين لم يغير شيئا من عقيدتهم ولم يسلك غير سبيلهم، وبهذا أمره الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولما كان من بعث فيهم يدعون اتباع نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أبطل الله دعاواهم وأخبر أو أمر نبيه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن يتبع ملة نبي الله إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ :١٢٣] وقال: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [سُورَةُ الأَنۡعَامِ :١٦١] وقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :١٢٥]

وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٥﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ :٩٥] وقال: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :١٣٥] وبعد أن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثمانية عشر نبيا وذكر هدايته لبعض آبائهم وأبنائهم وإخوانهم قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ٩٠﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ :٩٠] والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول كما في حديث أبي هريرة مرفوعا:«**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ،**[1] **أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[2]، وكان من تواضعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في مسلم[3] عن أبي هريرة أنه لما اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى الْعَالَمِينَ وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى الْعَالَمِينَ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، جاء إليه الْيَهُودِيُّ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « **لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ**

(١) قال الحافظ في الفتح: الْعَلَّاتُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ الضَّرَائِرُ وَأَصْلُهُ أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ثُمَّ تَزَوَّجَ أُخْرَى كَأَنَّهُ عَلَّ مِنْهَا وَالْعَلَلُ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ وَأَوْلَادُ الْعَلَّاتِ الْإِخْوَةُ مِنَ الْأَبِ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَقَدْ بَيَّنَهُ فِي رِوَايَة عبد الرَّحْمَن فَقَالَ وأمهاتهم شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ.

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٦٧، ح: ٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٨٣٧، ح: ٢٣٦٥).

(٣) (٤/ ١٨٤٤، ح: ٢٣٧٣)، ورواه البخاري (٣/ ١٢٠، ح: ٢٤١١)، (٤/ ١٥٧، ح: ٣٤٠٨).

الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ، فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ»، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٣٦] ولما يذكر الله عَزَّوَجَلَّ القرآن في بعض الآيات يبين أنه مصدق لما بين يديه من الكتب كما قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ٣﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٣] ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾ إلى أن قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٤٦.٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ٩٢﴾ [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ٩٢] وقال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٣٧] وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: ١١١] وقال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٣١] وقال عن الجن عندما سمعوا القرءان: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [سُورَةُ الأَحۡقَافِ: ٣٠] وهكذا يأمره الله أن يخبر قومه

أنه على طريق من كان قبله من الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ :٩] فكونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتى بما هو مألوف ومعروف عند أتباع الأنبياء فهذا يعتبر من أعظم الدوافع التي تدفع بمن عرفها إلى الإيمان بصدقه ونبوته، ولهذا لما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان أمام رفقائه وكان حينئذ على الكفر عن أوصاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أبو سفيان يخبره بأوصافه وهو يقول: وكذلك الأنبياء وكذلك الرسل وكذلك أتباع الأنبياء وكذلك الإيمان ونحوها من العبارات(١)، لأن هذه الأشياء لا يجهلها إلا أغبى خلق الله ثم إذا انقضى المجلس ووجد أحوال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ موافقة لأحوال الأنبياء المعروفة المشتهرة قال: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمَ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، ووقع كما أخبر، ولما هاجر المسلمون إلى النجاشي عظيم الحبشة فرارا بدينهم وُشِيَ إليه أنهم يقولون في عيسى قولا عظيما، فقال لهم النجاشي: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عيسى بن مَرْيَمَ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَقُولُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، فَدَلَّى النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَ عُوَيْدًا بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ فَقَالَ مَا عَدَا عِيسَى بن مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا العويد، فتناخرت بَطَارِقَتُهُ، فَقَالَ: وَإِنْ تَنَاخَرْتُمْ وَاللهِ. اذْهَبُوا

(١) سبق تخريجه.

فَأَنْتُمْ سُيُومٌ فِي أَرْضِي وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ. مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ثَلَاثًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ وَالدَّبْر بِلِسَانِهِمُ الذَّهَبُ(١).

فتكافؤ دعوة الأنبياء على اختلاف أعصارهم وأمصارهم وكثرة أعدادهم واتفاقهم في الرسالات دليل على صدقهم وأن المرسل لهم واحد ولا ينكر هذا إلا مكابر والله المستعان.

(١) كما في مسند أحمد (٣/ ٢٦٣، ح: ١٧٤٠)، في الحديث الطويل في هجرتهم إلى الحبشة، وقال محققوه: إسناده حسن.

٣ - تصديق الله له يدل على صدقه ولو كان كاذبا لأهلكه

لا خلاف بين أهل الأرض قاطبة أنه قبل ١٤٤٠ سنة وجد في قريش رجل اسمه محمد بن عبد الله يخبر أنه مرسل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن الله عَزَّوَجَلَّ حينئذ اختصه بالرسالة دون سائر العالمين، وبالإيحاء إليه، وبإنزال القرءان عليه، وأن الله أمره ان يأمر الناس بأن يتبعوه ويطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أمره أن يقاتل من امتنع عن طاعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكل هذا حاصل والله يرى ويسمع، فهل يقول عاقل أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان كاذبا على الله عَزَّوَجَلَّ فيما يقوله مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان يؤيده على خصمائه وينصره على أعدائه في معارك غير متكافئة في عددها وعدتها المادية؟ وكان يهلك أعداءه ويؤكد نبوته ويثبت رسالته بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة بل وزد على ذلك كله أنه بُعِثَ في أرض كانت تستضعفها دولتان عظيمتان هي فارس والروم، وفي غضون ٢٣ سنة فتح الله له البلاد والعباد وصار مهيمنا برسالاته على فارس والروم، بل وبعد وفاته استمر نصر الله لأتباعه ففتحوا السند والهند وغزو مشارق الأرض ومغاربها ووعده الله أن يحفظ له كتابه الذي أنزله عليه وأن يظهر له دينه إلى قيام الساعة فتحقق هذا كله، فأتباعه إلى يومنا هذا يفوقون المليار مسلم، ويكادون أن يبلغوا المليارين، وكتابه الذي تحدى به خصماءَه أن يأتوا بمثله لم يوجد من عصره إلى عصرنا من استطاع أن يأتي بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، ولم يصبه التغيير اللفظي ولا المعنوي، بل حفظه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلما

حاول أحد المساس به أهلكه الله وفضحه بخلاف غيره من الكتب، أوثم يأتي ملحد عربي أو غربي فيزعم أنه ليس بنبي؟ إذا لماذا لم يهلكه الله كما هي سنته وعادته فيمن يكذبون عليه ويدعون أنه أرسلهم؟ ثم لماذا كان الله عَزَّوَجَلَّ ولم يزل يؤيده وينصره ويصدقه؟ أليس هذا طعنا واضحا في عظمة الله وملكه ورحمته؟ بلى فهذا القول يلزم منه الطعن في عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولو أن ملكا في مملكته هو المنعم على قومه بجميع أنواع الإنعام، المتفضل عليهم بجميع أنواع الإكرام، يوفر لهم مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم، وهم ماضون في حكمه ممتثلون لأمره ثم ينبري رجل من رعيته وفي داخل مملكته فيأمرهم باتباعه هو ويخبر أن طاعته طاعة لذلك الملك ويقتل من رفض اتباعه ويأخذ ماله ويخبر أن الملك أذن له بل هو الذي أمره بهذا والملك يسمعه ويبصره ولا يعترضه بأي نوع من أنواع الاعتراضات مع قدرة الملك على اهلاكه، أفلا يدل هذا على صدقه وعلى أن ذلك الملك راض بما يصنع ذلك الرجل في مملكته، ولله المثل الأعلى، فكونه يؤيد نبيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فهذا برهان واضح ودليل بين على رضا الله عَزَّوَجَلَّ بفعله، وأنه هو الذي أمره حقا بما كان يفعله، وإذا لم يكن هذا دليلا على رضا الله بصنيع نبيه فلا أدري بماذا سيستدل على صدقه أوَيريد البخيتي أن يَنزل الله. وحاشاه. ليخبر الناس أن محمدا صادق؟!!.

إن التصديق كما هو بالأقوال يكون أيضا بالأفعال، فهذا دليل عظيم جدا يعجز الملاحدة عن رده وإبطاله ولا يحاججني أحد بالجبابرة الذي يقتلون ويأسرون ولم يهلكهم الله على بطلان النبوة فإنهم لم يدعوها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد دلّ القرآن على أنّه سبحانه لا يؤيّد الكذّاب عليه، بل لا بُدّ أن يظهر كذبه، وأن ينتقم منه، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ: ٤٤-٤٧]، ذكر هذا بعد قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ: ٣٨-٤٣] ثمّ قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ: ٤٤-٤٧]، هذا بتقدير أن يتقوّل بعض الأقاويل، فكيف بمن يتقوَّل الرِّسَالَة كلها [(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَمَّا الْمُتَنَبِّئُونَ الْكَذَّابُونَ: فَلَا يُطِيلُ تَمْكِينَهُمْ. بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُهْلِكَهُمْ. لِأَنَّ فَسَادَهُمْ عَامٌّ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا

(١) النبوات (٢ / ٨٩٧).

مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ: ٤٤-٤٦] وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ٢٤] فَأَخْبَرَ: أَنَّهُ - بِتَقْدِيرِ الِافْتِرَاءِ - لَا بُدَّ أَنْ يُعَاقِبَ مَنْ افْتَرَى عَلَيْهِ(١).

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ شَهَادَتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَاطِّلَاعُهُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا. وَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ كَيْفَ يَلِيقُ بِالْعِبَادِ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ، وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ وَيَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ؟ وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ، وَيُخْبِرَ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا الْأَمْرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَنْصُرَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدَهُ وَيُعْلِيَ شَأْنَهُ، وَيُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكَ عَدُوَّهُ، وَيُظْهِرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ مَا يَعْجِزُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ؟! وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ يَأْبَى ذَلِكَ. وَمَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ طَرِيقُ الْخَوَاصِّ، يَسْتَدِلُّونَ بِاللَّهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَلَا يَفْعَلُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] وَسَيَأْتِي لِذَلِكَ زِيَادَةُ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى(١).

وقد أوضح الله عَزَّوَجَلَّ هذا المعنى جليا في قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٥-١٧] أي: لو أنني افتريت على الله كذبا لكنت من المجرمين، وسنة الله الجارية فيهم هي عدم فلاحهم بل عاقبتهم إلى الهلاك قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآيات:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَعَنُّتِ الْكُفَّارِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الْجَاحِدِينَ الْحَقَّ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ، أَنَّهُمْ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَ اللَّهِ وحُجَجه الْوَاضِحَةَ قَالُوا لَهُ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ أَيْ: رُدَّ هَذَا وَجِئْنَا بِغَيْرِهِ مِنْ نَمَطٍ آخَرَ، أَوْ بَدّله إِلَى وَضْعٍ آخَرَ، قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ أَيْ: لَيْسَ هَذَا إِلَيَّ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ، وَرَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنِ

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١ / ٥٢).

اللَّهِ، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ ثُمَّ قَالَ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ فِي صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾، أَيْ: هَذَا إِنَّمَا جِئْتُكُمْ بِهِ عَنْ إِذْنِ اللَّهِ لِي فِي ذَلِكَ وَمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنِّي لَسْتُ أَتَقَوَّلُهُ مِنْ عِنْدِي وَلَا افْتَرَيْتُهُ أَنَّكُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقِي وَأَمَانَتِي مُنْذُ نَشَأْتُ بَيْنَكُمْ إِلَى حِينِ بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، لَا تَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ شَيْئًا تَغمصوني بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦﴾ أَيْ: أَفَلَيْسَ لَكُمْ عُقُولٌ تَعْرِفُونَ بِهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الروم أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ، فِيمَا سَأَلَهُ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: لَا، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ إِذْ ذَاكَ رَأْسَ الْكَفَرَةِ وَزَعِيمَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعَ هَذَا اعْتَرَفَ بِالْحَقِّ:

وَالفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأعداءُ ...

فَقَالَ لَهُ هِرَقْلُ: فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ليدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ[١].

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ: بَعَثَ اللَّهُ فِينَا رَسُولًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةَ مَقَامِهِ، عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ

(١) سبق تخريجه.

أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ١٧].

يَقُولُ تَعَالَى: لَا أَحَدَ أَظْلَمَ وَلَا أَعْتَى وَلَا أَشَدَّ إِجْرَامًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وتَقَوّل عَلَى اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْبَرَ جُرْمًا وَلَا أَعْظَمَ ظُلما مِنْ هَذَا، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَخْفَى أَمْرُهُ عَلَى الْأَغْبِيَاءِ، فَكَيْفَ يُشْتَبَهُ حَالُ هَذَا بِالْأَنْبِيَاءِ! فَإِنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ صَادِقًا أَوْ كَاذِبًا، فَلَا بُدَّ أَنَّ اللَّهَ يَنصب عَلَيْهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى برِّه أَوْ فُجُوره مَا وَأَظْهَرَ مِنَ الشَّمْسِ، فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ لَعَنَهُ اللَّهُ لِمَنْ شَاهَدَهُمَا أَظْهَرُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ وَقْتِ الضُّحَى وَوَقْتِ نِصْفِ اللَّيْلِ فِي حنْدس الظَّلْمَاءِ، فَمِنْ سِيمَا كُلٍّ مِنْهُمَا وَكَلَامِهِ وَفِعَالِهِ يَستدّل مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذِبِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وسَجَاح، وَالْأَسْوَدِ العَنْسي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَل النَّاسُ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ عَرَفَتْ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ رَجُلٍ كَذَّابٍ،

فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ** »[(١)].

وَلَمَّا قَدم ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ[(٢)] عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ فِيمَا قَالَ لَهُ مَنْ رَفَعَ هَذِهِ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**». قَالَ: وَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**». قال: ومن سَطَحَ هَذِهِ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**». قَالَ: فَبِالَّذِي رَفَعَ هَذِهِ السَّمَاءَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وسَطَح هَذِهِ الْأَرْضَ: اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالصِّيَامِ، وَيَحْلِفُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ هَذِهِ الْيَمِينَ، وَيَحْلِفُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَنْقُصُ»،

فَاكْتَفَى هَذَا الرَّجُلُ بِمُجَرَّدِ هَذَا، وَقَدْ أَيْقَنَ بِصِدْقِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بِمَا رَأَى وَشَاهَدَ مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

لَو لَمْ تَكُن فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَة ... كَانَتْ بَدِيهَتُه تَأْتِيك بالخَبَرِ

---

(١) **صحيح.**

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٢، ح: ٢٤٨٥)، وابن ماجه (١/ ٤٢٣، ح: ١٣٣٤) وصححه العلامة الألباني.

(٢) كما في البخاري (١/ ٢٣، ح: ٦٣)، ومسلم (١/ ٤١، ح: ١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَأَمَّا مُسَيْلِمَةُ فَمَنْ شَاهَدَهُ مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ، عَلِمَ أَمْرَهُ لَا مَحَالَةَ، بِأَقْوَالِهِ الرَّكِيكَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِفَصِيحَةٍ، وَأَفْعَالِهِ غَيْرِ الْحَسَنَةِ بَلِ الْقَبِيحَةِ، وَقُرْآنِهِ الَّذِي يُخَلَّدُ بِهِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالْفَضِيحَةِ، وَكَمْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥]. وَبَيْنَ عُلاك مُسَيْلِمَةَ قَبَّحَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ: "يَا ضُفْدَعُ بِنْتَ الضُّفْدَعَيْنِ، نَقِّي كَمَا تُنَقِّينَ لَا الْمَاءُ تُكَدِّرِينَ، وَلَا الشَّارِبُ تَمْنَعِينَ". وَقَوْلُهُ -قُبِّح وَلُعِنَ-: "لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحُبْلَى، إِذْ أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمة تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صِفَاق وحَشَى". وَقَوْلُهُ. خَدّره اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ فعَلَ.: "الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ؟ لَهُ زُلْقُومٌ طَوِيلٌ" وَقَوْلُهُ. أَبْعَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ: "وَالْعَاجِنَاتِ عَجْنًا، وَالْخَابِزَاتِ خَبْزًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا، إِهَالَةً وَسَمْنًا، إِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ" إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْهَذَيَانَاتِ وَالْخُرَافَاتِ الَّتِي يَأْنَفُ الصِّبْيَانُ أَنْ يَتَلَفَّظُوا بِهَا، إِلَّا عَلَى وَجْهِ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ؛ وَلِهَذَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَشَرِبَ يَوْمَ "حَدِيقَةِ الْمَوْتِ" حَتْفَهُ. ومَزّق شَمْلَهُ. وَلَعَنَهُ صحبُه وَأَهْلُهُ. وَقَدِمُوا عَلَى الصِّدِّيقِ تَائِبِينَ، وَجَاءُوا فِي دِينِ اللَّهِ رَاغِبِينَ، فَسَأَلَهُمُ الصِّدِّيقُ خَلِيفَةُ الرَّسُولِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنْ يقرؤوا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يقرؤوا شَيْئًا مِنْهُ لِيُسْمِعَهُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَعْرِفُوا فَضْلَ

مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ. فَقَرَؤوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَأَشْبَاهَهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ لَهُمُ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَيْحَكُمْ! أَيْنَ كَانَ يُذهب بِعُقُولِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمْ يَخْرُجْ من إِلٍّ وَذَكَرُوا أَنْ وَفَدَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُسَيْلِمَةَ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ عَمْرٌو لَمْ يُسْلِمْ بعدُ، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، مَاذَا أُنْزِلَ عَلَى صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ؟ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ أَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ سُورَةً عَظِيمَةً قَصِيرَةً فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سُورَةُ العَصْرِ: ١-٣]، فَفَكَّرَ مُسَيْلِمَةُ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أُنْزِلَ عَلِيَّ مِثْلُهُ. فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: "يَا وَبْرُ إِنَّمَا أَنْتَ أُذُنَانِ وَصَدْرٌ، وَسَائِرُكَ حَقْرٌ نَقر، كَيْفَ تَرَى يَا عَمْرُو؟" فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَتَكْذِبُ"، فَإِذَا كَانَ هَذَا مِنْ مُشْرِكٍ فِي حَالِ شِرْكِهِ، لَمْ يُشْتَبَهْ عَلَيْهِ حَالُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِدْقُهُ، وَحَالُ مُسَيْلِمَةَ. لَعَنَهُ اللَّهُ. وَكَذِبُهُ، فَكَيْفَ بِأُولِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى، وَأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْحِجَى! وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩٣]، وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٢١]، وَكَذَلِكَ مَنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ

الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَجُ، لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنْهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ رجلٌ قتَلَ نَبِيًّا، أَوْ قتَلَهُ نَبِيٌّ**»(١).

(١) في البخاري (٥/ ١٠١، ح: ٤٠٧٦)، عن ابن عباس مرفوعا، بلفظ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، وفي مسند أحمد (٦/ ٤١٣، ح: ٣٨٦٨)، عن ابن مسعود مرفوعا، بلفظ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ**»، وقال المحقق: إسناده حسن.

٤- إعلاء الله له على جميع الأديان

الحق يعلو ولا يعلى عليه والباطل دائما في الحضيض وإن ارتفعت اسماء أهله فإنه ارتفاع مؤقت ليبتلى الناس ويختبر ثباتهم وصدقهم، والحرب بين الحق والباطل سجال، ولكن في الأخير فإن مصير الباطل إلى زوال وذهاب واضمحلال، وأما الحق فكما قال هرقل لأبي سفيان: وكذلك أتباع الرسل أي يزيدون ولا ينقصون، هذا وإن من دلائل نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الله عز وجل أظهر دينه على جميع الأديان الموجودة في زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولو أنه لم يكن على الحق وأنهم لم يكونوا على الباطل لما نصره الله عليهم ورفع نوره وأطفأ نارهم لأن الحق هو الأحق بالبقاء والنقاء والرفع والتأييد على ما سواه، فإعلاء الله لدينه وإعزازه لشريعته من أعظم الأدلة على صدق نبوته، وبضدها تتبين الأشياء كما يقال، فإن من بعد النبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن ادعوا النبوة لم يحفظ الله دينهم كمسيلمة ونحوه بل بموتهم أو بالأصح بإهلاكهم انتهت دولتهم وانطفأت نارهم وخمدت فتنتهم، فدين يبقى إلى يومنا هذا وكل يوم وهو في ازدياد. لصحته لا لكثرة التوالد كما يقول الملاحدة. وينعدم المانع الدال على بطلانه ويوجد الدليل والبرهان على ثبوته. يبعد في العقل أن يكون باطلا بل يستحيل والله المستعان.

٥ - المعجزات التي أيده الله بها

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسميت المعجزة لِعَجْزِ مَنْ يَقَعُ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ عَنْ مُعَارَضَتِهَا وَالْهَاءُ فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ أَوْ هِيَ صِفَةُ مَحْذُوفٍ وَأَشْهَرُ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَدَّى بِهِ الْعَرَبَ وَهُمْ أَفْصَحُ النَّاسِ لِسَانًا وَأَشَدُّهُمُ اقْتِدَارًا عَلَى الْكَلَامِ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ وَصَدِّهِمْ عَنْهُ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَقْصَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآن إِنَّا أعطيناك الْكَوْثَر فَكُلُّ قُرْآنٍ مِنْ سُورَةٍ أُخْرَى كَانَ قدر إِنَّا أعطيناك الْكَوْثَر سَوَاءٌ كَانَ آيَةً أَوْ أَكْثَرَ أَوْ بَعْضَ آيَةٍ فَهُوَ دَاخِلٌ فِيمَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ وَعَلَى هَذَا فَتَصِلُ مُعْجِزَاتُ الْقُرْآنِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ إِلَى عَدَدٍ كَثِيرٍ جِدًّا وَوُجُوهُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ تَأْلِيفِهِ وَالْتِئَامِ كَلِمَاتِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَإِيجَازِهِ فِي مَقَامِ الْإِيجَازِ وَبَلَاغَتُهُ ظَاهِرَةٌ جِدًّا مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ نَظْمِهِ وَغَرَابَةِ أُسْلُوبِهِ مَعَ كَوْنِهِ عَلَى خِلَافِ قَوَاعِدِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ هَذَا إِلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ مِمَّا وَقَعَ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا أَخَذَ عَنْهُمْ وَبِمَا سَيَقَعُ فَوَقَعَ عَلَى وَفْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ هَذَا مَعَ الْهَيْبَةِ الَّتِي تَقَعُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَالْخَشْيَةِ الَّتِي تَلْحَقُ سَامِعَهُ وَعَدَمِ دُخُولِ الْمَلَالِ وَالسَّآمَةِ عَلَى قَارِئِهِ وَسَامِعِهِ مَعَ تَيَسُّرِ حِفْظِهِ لِمُتَعَلِّمِيهِ وَتَسْهِيلِ سَرْدِهِ لِتَالِيهِ وَلَا يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ وَلِهَذَا أَطْلَقَ الْأَئِمَّةُ أَنَّ مُعْظَمَ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ وَمِنْ أَظْهَرِ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ إِبْقَاؤُهُ

مَعَ اسْتِمْرَارِ الْإِعْجَازِ وَأَشْهَرُ ذَلِكَ تَحَدِّيهِ الْيَهُودَ أَنْ يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ فَلَمْ يَقَعْ مِمَّنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَلَا خَلَفَ مَنْ تَصَدَّى لِذَلِكَ وَلَا أَقْدَمَ مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لِهَذَا الدِّينِ وَحِرْصِهِمْ عَلَى إِفْسَادِهِ وَالصَّدِّ عَنْهُ فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَوْضَحُ مُعْجِزَةٍ وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَنُطْقِ الْجَمَادِ فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًّا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَحَدٍّ وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ ﷺ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ كَمَا يُقْطَعُ بِوُجُودِ جُودِ حَاتِمٍ وَشَجَاعَةِ عَلِيٍّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْرَادُ ذَلِكَ ظَنِّيَّةً وَرَدَتْ مَوْرِدَ الْآحَادِ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَدِ اشْتَهَرَ وَانْتَشَرَ وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ وَأَفَادَ الْكَثِيرُ مِنْهُ الْقَطْعَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْآثَارِ وَالْعِنَايَةِ بِالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ لِعَدَمِ عِنَايَتِهِمْ بِذَلِكَ بَلْ لَوِ ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْوَقَائِعِ مُفِيدَةٌ لِلْقَطْعِ بِطَرِيقٍ نَظَرِيٍّ لِمَا كَانَ مُسْتَبْعَدًا وَهُوَ أنه لا مرية أَنَّ رُوَاةَ الْأَخْبَارِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ قَدْ حَدَّثُوا بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ فِي الْجُمْلَةِ وَلَا يُحْفَظُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ مُخَالَفَةُ الرَّاوِي فِيمَا حَكَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ فِيمَا هُنَالِكَ فَيَكُونُ السَّاكِتُ مِنْهُمْ كَالنَّاطِقِ لِأَنَّ مَجْمُوعَهُمْ مَحْفُوظٌ مِنَ الْإِغْضَاءِ عَلَى الْبَاطِلِ وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يُوجَدَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِنْكَارٌ أَوْ طَعْنٌ عَلَى بَعْضِ مَنْ رَوَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ تَوَقُّفٍ فِي صِدْقِ الرَّاوِي أَوْ تُهْمَتِهِ بِكَذِبٍ أَوْ تَوَقُّفٌ فِي ضَبْطِهِ وَنِسْبَتِهِ إِلَى سُوءِ الْحِفْظِ أَوْ جَوَازِ الْغَلَطِ وَلَا يُوجَدُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ طَعْنٌ فِي الْمَرْوِيِّ كَمَا وُجِدَ مِنْهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْفَنِّ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآدَابِ

وَحُرُوفِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقَدْ قَرَّرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مَا قَدَّمْتُهُ مِنْ وُجُودِ إِفَادَةِ الْقَطْعِ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ دُونَ بَعْضٍ تَقْرِيرًا حَسَنًا وَمَثَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْفُقَهَاءَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ قَدْ تَوَاتَرَ عِنْدَهُمُ النَّقْلُ أَنَّ مَذْهَبَهُ إِجْزَاءُ النِّيَّةِ مِنْ أَوَّلِ رَمَضَانَ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ فِي إِيجَابِهِ لَهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَكَذَا إِيجَابُ مَسْحِ جَمِيعِ الرَّأْسِ فِي الْوُضُوءِ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ فِي إِجْزَاءِ بَعْضِهَا وَأَن مَذْهَبهمَا مَعَ إِيجَابُ النِّيَّةِ فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ وَاشْتِرَاطُ الْوَلِيِّ فِي النِّكَاح خلافًا لأبي حنيفَة وتجد الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ خِلَافِهِمْ فَضْلًا عَمَّنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْفِقْهِ وَهُوَ أَمْرٌ وَاضِحٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِ مُسْلِمٍ أَنَّ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَدْخَلِ بَلَغَتْ أَلْفًا وَقَالَ الزَّاهِدِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ أَلْفُ مُعْجِزَةٍ وَقِيلَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَقَدِ اعْتَنَى بِجَمْعِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ كَأَبِي نُعَيْمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا قَوْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ أَيْ مِنْ حِينِ الْمَبْعَثِ وَهَلُمَّ جَرًّا دُونَ مَا وَقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ وقَدْ جَمَعَ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ بَلْ قَبْلَ الْمَوْلِدِ الْحَاكِمُ فِي الْإِكْلِيلِ وَأَبُو سَعِيدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي شَرَفِ الْمُصْطَفَى وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَسَيَأْتِي مِنْهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي قِصَّةِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي خُرُوجِهِ فِي ابْتِغَاءِ الدِّينِ وَمَضَى مِنْهُ قِصَّةُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَقَدَّمْتُ فِي بَابِ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِصَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَتِهِ مُحَمَّدًا وَمِنْ مَشْهُورِ ذَلِكَ قِصَّةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ

وَهِيَ فِي السِّيرَةِ لِابْنِ إِسْحَاقَ وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ(١) من طَرِيق شُعَيْب أَيِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ رَاهِبٌ يُدْعَى عِيصًا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ أَنَّهُ أَعْلَمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَيْلَةَ وُلِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَذَكَرَ لَهُ أَشْيَاءَ مِنْ صِفَتِهِ، وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ(٢) مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ قَالَ لَهُ إِنِّي أَجِدُ فِي الْكُتُبِ صِفَةَ نَبِيٍّ يُبْعَثُ مِنْ بِلَادِنَا وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي هُوَ ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ مَنْ هُوَ مُتَّصِفٌ بِأَخْلَاقِهِ إِلَّا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ إِلَّا أَنَّهُ جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ غَيْرُهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ قُلْتُ لِأُمَيَّةَ عَنْهُ فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ حَقٌّ فَاتَّبِعْهُ فَقُلْتُ لَهُ فَأَنْتَ مَا يَمْنَعُكَ قَالَ الْحَيَاءُ مِنْ نُسَيَّاتِ ثَقِيفٍ أَنِّي كُنْتُ أُخْبِرُهُنَّ أَنِّي هُوَ ثُمَّ أَصِيرُ تَبَعًا لِفَتًى من بني عبد مناف، وروى ابن إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وقش وَأخرجه أَحمد(٣) وَصَححهُ ابن حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِهِ قَالَ كَانَ لَنَا جَارٌ مِنَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ فَخَرَجَ عَلَيْنَا قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِزَمَانٍ فَذَكَرَ الْحَشْرَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَقُلْنَا لَهُ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ قَالَ خُرُوجُ نَبِيٍّ

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٣/ ٤٠٥)، رواية أبي نعيم له بسنده، ثم ساقه بتمامه، وقال: رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَفِيهِ غَرَابَةٌ.

(٢) في المعجم الكبير (٨/ ٥، ح: ٧٢٦٢).

(٣) حسن.

(٢٥/ ١٦٤، ح: ١٥٨٤١) وفيه تتمة، وقال محققوه: إسناده حسن.

يُبْعَثُ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَشَارَ إِلَى مَكَّةَ فَقَالُوا مَتَى يَقَعُ ذَلِكَ قَالَ فَرَمَى بِطَرَفِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَأَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَقَالَ إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمْرَهُ يُدْرِكْهُ قَالَ فَمَا ذَهَبَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَهُوَ حَيٌّ فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرَ هُوَ بَغْيًا وَحَسَدًا، وروى يَعْقُوب بن سُفْيَان بِإِسْنَاد حسن عَن عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ لَا يَرْضَعُ لَيْلَتَيْنِ لِأَنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ فَانْصَرَفُوا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ قَدْ وُلِدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُلَامٌ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ الْعَلَامَةَ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَقَالَ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَاللَّهِ لَيَسْطُوَنَّ بِكُمْ سَطْوَةً يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ(١)، قُلْتُ وَلِهَذِهِ الْقِصَصِ نَظَائِرُ يَطُولُ شَرْحُهَا وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ

(١) ضعيف.

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٥٧، ح: ٤١٧٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٠٨).

وعلق عليه بعض المشاركين في أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٢ (٥٦/ ٣٩٩) قائلا:

وأنّى له الصحة وقد انفرد به أبو غسان الكناني عن أبيه عن ابن إسحاق!

وأبوه هو: يحيى بن علي بن عبد الحميد بن يسار الكناني، قال ابن أبي حاتم في العلل: ادعى أنه سمع محمد بن إسحاق

عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ وَبَعْدَهُ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا حَضَرَتْ آمِنَةَ أُمِّ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلَمَّا ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ قَالَتْ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ تَدَلَّى حَتَّى أَقُولَ لَتَقَعْنَ عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَدَتْ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ الْبَيْتُ وَالدَّارُ(١)، وَشَاهِدُهُ حَدِيثُ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُور الشَّام**»، أخرجه أَحْمد وَصَححهُ بن حِبَّانَ

ولم يروِ عنه غير ابنه ولا يعرف بجرح ولا تعديل فهو مجهول العين مع احتمال الانقطاع بينه وبين ابن إسحاق

ومحمد بن إسحاق مشهور بالتدليس وهو لم يصرح بالسماع بل قال: كان هشام يحدث، قال الإمام أحمد: إذا قال ابن إسحاق: «وذكر» فلم يسمعه.

فالحديث غير ثابت وإن صححه الحاكم وحسنه الحافظ.

والله أعلم.

(١) **ضعيف.**

أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦/ ٢٩، ح:٣٢١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٨٦، ح: ٤٥٧)، (٢٥/ ١٤٧، ح: ٣٥٥)، ومن طريقه الثاني أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٥٣٩، ح: ٨٠٠٠)، وفي سنده من لا يعتمد عليه.

وَالْحَاكِمُ(١)، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةُ عِنْدَ أَحْمد نَحوه(٢)، وَأخرج ابن إِسْحَاقَ(٣) عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ وَقَالَتْ أَضَاءَتْ لَهُ بَصرِي من أَرض الشَّام، وروى ابن حبَان وَالْحَاكِمُ(٤) فِي قِصَّةِ رَضَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طَرِيق بن إِسْحَاقَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَفِيهِ مِنَ الْعَلَامَاتِ كَثْرَةُ اللَّبَنِ فِي ثَدْيَيْهَا وَوُجُودُ اللَّبَنِ فِي شَارِفِهَا بَعْدَ الْهُزَالِ الشَّدِيدِ وَسُرْعَةُ مَشْيِ حِمَارِهَا وَكَثْرَةُ اللَّبَنِ فِي شِيَاهِهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَخِصْبُ أَرْضِهَا

---

(١) **صحيح لغيره.**

أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ٣٩٥، ح: ١٧١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣١٢، ح: ٦٤٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٣، ح: ٣٥٦٦)، وقال محققو المسند: صحيح لغيره دون قوله: وكذلك ترى أمهاتُ النبيين صلوات الله عليهم.

(٢) **صحيح لغيره.**

أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٥٩٥، ح: ٢٢٢٦١)، وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) **حسن.**

كما في سيرة ابن اسحاق (٥١)، وله تتمة، وأخرجه مختصرا الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٥٦، ح: ٤١٧٤)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٨٣)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥/ ١٠٤): وإنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في ابن إسحاق.

(٤) **ضعيف.**

أخرجه ابن حبان (١٤/ ٢٤٣، ح: ٦٣٣٥)، وضعفه العلامة الألباني، ولم أجده في مستدرك الحاكم.

وَسُرْعَةُ نَبَاتِهِ وَشَقُّ الْمَلَكَيْنِ صَدْرَهُ، وَهَذَا الْأَخِيرُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَمَعَهُ فَأَعَادَهُ مَكَانَهُ الْحَدِيثَ، وَفِي حَدِيثِ مَخْزُوم بن هَانِئ الْمَخْزُومِي عَن أَبيه قَالَ وَكَانَ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ وَمِائَةُ سَنَةٍ قَالَ لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْكَسَرَ إِيوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرَّافَةً وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تُخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ وَرَأَى الْمُوبِذَانُ إِبِلًا صِعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَفْزَعَهُ مَا وَقَعَ فَسَأَلَ عُلَمَاءَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ عَنْ ذَلِكَ فَأَرْسَلُوا إِلَى سَطِيحٍ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطُولِهَا أخرجها ابن السَّكَنِ وَغَيْرُهُ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ[(٢)]. [(٣)]

---

(١) (١/ ١٤٧، ح: ١٦٢).

(٢) **منكر.**

أخرجه الخرائطي في هواتف الجنان (٥٦)، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب (ص: ٩٣، ح: ٧٥)، (ص: ٨٦، ح: ٧٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (ص: ١٣٨، ح:٨٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٢٦)، وقال الشيخ الألباني: ليس فيه شي، أي: يثبت، وقال الذهبي: هذا حديث منكر غريب، نقلا من كتاب: الإعلام بحكم المولد في الإسلام (١/ ١٧٠).

(٣) فتح الباري (٦ / ٥٨٢).

ولا أدري كيف أذكر معجزات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فقرة يسيرة ولم تسعها المجلدات الطوال ولكن سأذكر معجزة واحدة أريد من البخيتي أن يخبرني كيف سيردها أو ينقضها. إن كان لا زال مكابرا ومعاندا ومستمرا في الضلال والكفر والشك الديكارتي الذي هو غارق فيه. وهذه المعجزة هي أعظم المعجزات بل ما جاء نبي من الأنبياء بمعجزة مثلها لأنها مع إعجازها خالدة إلى قيام الساعة ولا زال التحدي بها مقرونا معها لا ينفك عنها إلى ساعتنا هذه، ولم يُستطع ردها أو نقضها بحال من الأحوال، هذه المعجزة هي المعجزة الخالدة (القرءان الكريم) فلضيق المقام لن أتكلم عن تسبيح الحصى بين يديه ولن أتكلم عن حنين الجذع شوقا إليه ولن أتكلم عن إخباره لأقوام بأمورهم الخاصة التي لم يطلع عليها أحد ولن أتكلم أيضا عن إخباره عن الغيبيات الماضية والحاضرة ولن أتكلم عن إجابة الله لدعواته ولن أتكلم عن انشقاق القمر الذي كان الملاحدة ينكرونه سابقا، وعن إيصال الحصى من كفه إلى أعين جيش بأسره لأن مثل هذه المعجزات يطول ذكرها ويصعب استيعابها بل سيكون الحديث مقصورا على معجزة القرءان كيف كان القرءان معجزا في نقاط لكي يسهل فهمها ملخصا لها من كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرءان) للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ذكرها هنالك مع مزيد تفصيل وتوضيح فليرجع إليه من أراد الأمثلة على أي وجه من هذه الأوجه فإنه مهم جدا وإليك الأوجه المذكورة:

١. احتواء القرءان على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

٢. كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ: ٩] فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسر عليه.

٣. حُسْن تأليفه، والتئام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادةَ العرب الذين هم فرسانُ الكلام وأربابُ هذا الشأن فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

٤. مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني.

٥. افتتاح السور وخواتمها وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين وهو أنْ يتأتقَ في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً قِبَل السامع قَبِلَ الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن، فينبغي أن يُؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقّه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملْبِس، أو الذي لا يناسب.

٦. مُشْتَبِهات آياته: وذلك أن القصة الواحدة ترد في سوَرٍ شتَّى وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً.

٧. ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك، بل فيه إعجاز للكلام كما صنف في الحديث وبيان ذلك الجمع بين الأحاديث المتعارضة.

٨. وقوع ناسخه ومنسوخه: وهو مما خصت به هذه الأمة لِحكَم، منها التيسير.

٩.انقسامه إلى محكم ومتشابه فهو محكم لا يتطرق النقصُ إليه والاختلاف، ويشبه بعضُه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز.

١٠.اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما.

١١.تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع، كما تقدمت الإشارة إليه وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه.

١٢. إفادة حصره واختصاصه: وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضاً إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.

١٣. احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم.

١٤.عموم بعض آياته وخصوص بعضها.

١٥. ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبيّنة وفي ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولو الفصاحة.

١٦. الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه.

١٧. وجوه مخاطباته: وهي ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم يصلح لهما ومن أوجه خطاب القرءان على التفصيل: (المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخاص والعام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والأبّهة[(١)] والحروف المصرفة[(٢)]، والإعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم).

١٨. ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر.

١٩. إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في

---

(١) قال رحمه الله: والأبّهة نحو: {إنّا أرْسلنا}. القمر: ١٩، ٣١، ٣٤. {نحن قسَمْنا} الزخرف: ٣٢. عبّر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى، تفخيما وتعظيما وأبهة.

(٢) وقال رحمه الله: والحروف المصرفة، كالفتنة تطلق على الشرك، نحو: {حتى لا تكون فِتْنَة}، وعلى المعذرة، نحو: {ثم لم تكن فِتْنَتُهم} أي معذرتهم. وعلى الاختبار نحو: {قد فَتَنَّا قَوْمَك مِنْ بعْدِك}.

تعلم ذلك، فيورده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وإن مثله لم ينله بتعليم.

٢٠. الروعة التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيْبَة التي تعْتَريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً، كما قال تعالى، ويودّون انقطاعه لكراهتهم له.

٢١. أن سامِعَه لا يمجه وقارئه لا يَملة فتلذ له الأسماع وتشغف له القلوب فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضًّا طريًّا، وغيره من الكلام - ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه - يمَلّ مع الترديد، ويعادى إذا أعيد، لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد، وكتابنا بحمد الله يستلذّ به في الخلوات، ويؤنس به في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث لها أصحابها لحوناً وطربا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها، ولهذا وصف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن بأنه لا يَخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تَفْنَى عجائبه، ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنْتَه الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۝٢﴾ [سُورَةُ الجِنِّ: ١-٢]، مَنْ قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجِر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره

أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحَبْل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوج فيقوَّم، ولا يزيغ فيستعتب.

٢٢. تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على متحفظيه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [سُورَةُ القَمَرِ: ١٧]، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحدُ منهم، فكيف الجمّ على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة.

٢٣. وقوع الحقائق والمجاز فيه.

٢٤. تشبيهه واستعاراته وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.

٢٥. قوع الكناية والتعريض.

٢٦. إيجازه في آية وإطنابه في أخرى وهما من أعظم أنواع البلاغة.

٢٧. وقوع البدائع البليغة فيه وقد أنهاها بعضهم إلى مائتي نوع وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

٢٨. احتواؤه على الخبر والإنشاء وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما.

٢٩. إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها.

٣٠. اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبْنَى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به.

٣١.ضَرْب الأمثَالِ فيهِ ظاهرة ومضْمَرة.

٣٢.ما فيه من الآيات الجامعة للرَّجاء والعدْل والتَخْويف.

٣٣.ورود آيات مُبهمة يحِيرُ العقل فيها.

٣٤. احتواؤها على أسماء الأشياء والملائكة والكُنى والألقاب وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب.

٣٥. ألفاظه المشتركة وهذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

وأضف إلى ما ذكره السيوطي التالي:

١. تحدي الله العرب وهم في أوج فصاحتهم أن يأتوا بقرءان مثله فعجزوا عن ذلك.

٢.تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا عن ذلك.

٣.تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله فعجزوا عن ذلك.

٤. عجزهم عن الإتيان بمثل القرءان مع حرصهم على إبطال نبوته ووجود التحدي من قبل الله عَزَّوَجَلَّ لهم فإنهم لو أتوا بسورة واحدة مثله لأثبتوا بطلانه وأنه من كلام البشر. وحاشى..

٥. إخبار القرءان عن أخبار الأمم الماضية التي لم يكن يعلمها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا قومه.

٦.إخبار القرءان عن أمور ستحصل في المستقبل قبل وقوعها ثم وقعت كما أخبر كما سيأتي بيانه.

٧. إخبار القرءان بأمور أنكرها الملاحدة ثم جاء العلم التجريبي الحديث وأثبتها وفي هذا إلزام لهم ورد عليهم حين أنكروها أما نحن المسلمون فنؤمن بها سواء أقرها العلم الحديث أو لم يقرها بعدُ فعمدتنا حال إيماننا بها هو أن رسولنا الذي لا ينطق عن الهوى أخبرنا بها.

٨. فصاحته وبلاغته التي أعيت الفصحاء والبلغاء عن الإتيان بمثلها.

٩. إخباره عن أقوام أنهم من أهل النار وسيموتون على ذلك ووقوعه كما أخبر ولو أن أحدهم أسلم حينئذ لأبطل صدق القرءان ولكن إسلامهم لا يمكن حصوله بل وقوعه لأن القرءان أخبر بذلك.

١٠.بلاغته وفصاحته في جميع الجوانب الخطابية من وعظ وزجر وترغيب وترهيب ويستحيل أن تجتمع هذه الأمور بلاغة لأحد من الناس قال صاحب كتاب إظهار الحق.وهو يذكر الأمور التي تدل على أن القرءان كلام الله:

(سادسها): أن كل شاعر يحسن كلامه في فن فإنه يضعف كلامه في غير ذلك الفن، كما قالوا في شعراء العرب: إن شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الخوف وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء. وقالوا في شعراء فارس إن النظامي والفردوسي وحيدان في بيان الحرب، والسعدي فريد في الغزل،

والأنوري في القصائد. والقرآن جاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فن ترغيباً كان أو ترهيباً، زجراً كان أو وعظاً أو غيرهما. (وأورد هٰهنا بطريق الأنموذج من كل فن آية آية) ففي الترغيب قوله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ :١٧] وفي الترهيب قوله ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ :١٥-١٧] وفي الزجر والتوبيخ قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ :٤٠] وفي الوعظ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ :٢٠٥-٢٠٧] وفي الإلٰهيات قوله ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ :٨-٩])[1].

١١.احتواء القرءان على علوم متنوعة كالطب والفلك والحساب وغيرها من العلوم التي فاق القرءان بها المتقدمين وسبق المتأخرين وما زالت الاكتشافات العصرية التي يقوم بها الأطباء والفلكيون وغيرهم تدفعهم إلى الإيمان بصحة

---

(١) إظهار الحق (٣/ ٧٧٧ـ٧٨٠).

نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأنهم بعد عناء وجهد اكتشفوها ثم يجدون أن محمدا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أخبر بها قبل ١٤ قرنا في بيئة لم تكن معروفة بتقدمها طبا أو فلكا أو حسابا ونحوها بل كانت أمة أمية !!.

ولو سردت الآن الأطباء الكبار والعلماء الذين في هذه الأعصار والأمصار الذين كان سبب إسلامهم هو ما ذكرناه آنفا لما اتسع المقام لذكرهم وبيان أحوالهم، ومن رام هذه الأمور وجدها في مؤلفات مختصة بها، وأنوه هنا أن كتاب الدكتور محمد علي البار كان سببا في إسلام الكثير من الأطباء، حيث ذكر فيه أطوار خلق الإنسان في مقارنة بين ذكرها في القرآن والسنة وفي العلم الحديث، وكونها مع دقتها وصعوبتها وغموضها لا تعدو ما قاله محمد عليه الصلاة والسلام، واسم الكتاب المذكور هو (خلق الإنسان ببين الطب والقرءان) وقد أسلم بسببه كثر منهم عميد كلية الطب في تايلند وأستاذ علم الأجنة فيها وكذلك أيضا البروسفور (أليسون بالمر) وغيرهما، والله الهادي إلى سبيل الرشاد وعجبا كيف أن البخيتي مع التطور الحديث يزعم عجز الإسلام وقصوره وينسلخ عنه مع أن أصحاب التطور الحديث أنفسهم. وأقصد المنصفين منهم. يتعجبون من عظمة الإسلام وسبقه لهم، ويسارعون إلى الدخول فيه، أو على الأقل عدم معارضته، فالناس داخلون إلى الإسلام والبخيتي خارج منه، وفي الحقيقة لا عجب إذ أن القلوب بيد الله يصرفها كيف ما يشاء، قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالْتِئَامُ كَلِمِهِ مَعَ الْإِيجَازِ وَالْبَلَاغَةِ ثَانِيهَا صُورَةُ سِيَاقِهِ وَأُسْلُوبِهِ الْمُخَالِفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا حَتَّى حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ مَعَ تَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ وَتَقْرِيعِهِ لَهُمْ عَلَى الْعَجْزِ عَنْهُ ثَالِثُهَا مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَمَّا مَضَى مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بَعْضَهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ رَابِعُهَا الْإِخْبَارُ بِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْكَوَائِنِ الَّتِي وَقَعَ بَعْضُهَا فِي الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ وَبَعْضُهَا بَعْدَهُ وَمِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ آيَاتٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فِي قَضَايَا أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا فَعَجَزُوا عَنْهَا مَعَ تَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ كَتَمَنِّي الْيَهُودِ الْمَوْتَ وَمِنْهَا الرَّوْعَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِسَامِعِهِ وَمِنْهَا أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهِ وَسَامِعَهُ لَا يَمُجُّهُ وَلَا يَزْدَادُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ إِلَّا طَرَاوَةً وَلَذَاذَةً وَمِنْهَا أَنَّهُ آيَةٌ بَاقِيَةٌ لَا تُعْدَمُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَمِنْهَا جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهَا وَلَا تَنْتَهِي فَوَائِدُهَا ا.هـ مُلَخَّصًا مِنْ كَلَامِ عِيَاضٍ وَغَيْرِهِ(١).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحتج بإنزال القرءان على صدق نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٥١] فلو تدبروا القرءان وأعملوا أفكارهم فيه لعلموا أنه ليس

(١) فتح الباري (٩ / ٧).

من كلام الإنس ولا من كلام الجن وأن أسلفه لمغدق، وأن أعلاه لمثمر، وأن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة وأنه يعلو ولا يعلى عليه.

٦ - إخباره عليه الصلاة والسلام بذلك وهو الصادق الأمين بشهادة جميع من عاصره سواء كان مواليا أو معاديا

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ

صدق حسان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إن رجلا لم تجرب عليه أو تعرف عنه لا في صغره ولا في كبره كذبة واحدة في الأمور الصغار الهينة لحري أن يصدق في الأمور الكبار العظيمة التي تكون عاقبة الكذب فيها أشد وأطم وأعظم، ومن نظر في تاريخ نبينا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لم يجد فيه كذبة واحدة، كيف وقد شهد له كفار قريش بصدقه وأمانته بل كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، والفضل ما شهدت به الأعداء، وكانوا لا يرتضون أحدا يضعون عنده حوائجهم وأماناتهم غيره، وبينما كان أعداؤه يبحثون عن وسيلة لقتله كان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يبحث عن طريقة لإرجاع ودائعهم وأماناتهم، أثم بعد هذا كله يطعن في رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، إن من عرف سيرته وخلقه وهديه ليعلم كل العلم أن تلك الأوصاف لا تصلح إلا لنبي، وهذا من دلائل نبوته الواضحة البينة الظاهرة أنه كان أصدق الناس، ومعلوم أن من تجرأ على الكذب على الخالق سبحانه فمن باب أولى أن يكثر كذبه على المخلوق، وعلى هذا لما كذب مسيلمة على الله عَزَّوَجَلَّ وادعى أنه أرسله إلى الناس اشتهر بالكذب اشتهارا كبيرا، وما ذكر مسيلمة إلا وذكر الكذب معه، بل لا يعرف مسيلمة في أوساط الناس. إلى عصرنا هذا. إلا بمسيلمة الكذاب لأن من لم يعظم الله فلن يعظم الناس، ولهذا كان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لا يكذب قط على المخلوقين في أمور دنياهم من تجارة ورعي

وودائع وغيرها فأنى له. وحاشاه. أن يكذب على رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، مع شدة خشيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتعظيمه له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: وَفِي الْجُمْلَةِ أَمْرُهُ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ وَأَعْجَبُ وَأَبْهَرُ، وَأَخْرُقُ لِلْعَادَةِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ظَهَرَ فِي الْعَالَمِ مِنَ الْبَشَرِ. وَمِثْلُ هَذَا إِذَا كَانَ كَاذِبًا، فَلِكَذِبِهِ لَوَازِمُ كَثِيرَةٌ جِدًّا تَفُوقُ الْحَصْرَ مُتَقَدِّمَةٌ وَمُقَارِنَةٌ وَمُتَأَخِّرَةٌ. فَإِنَّ مَنْ هُوَ أَدْنَى دَعْوَةً مِنْهُ إِذَا كَانَ كَاذِبًا لَزِمَ كَذِبَهُ مِنَ اللَّوَازِمِ مَا يُبَيِّنُ كَذِبَهُ، فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا؟! فَإِذَا انْتَفَتْ لَوَازِمُ الْمَكْذُوبِ انْتَفَى الْمَلْزُومُ.

وَصِدْقُهُ لَازِمٌ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ كُلِّهَا تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، وَثُبُوتُ الْمَلْزُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ اللَّازِمِ مَاضِيهِ وَمُقَارِنِهِ وَمُتَأَخِّرِهِ. وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ لَا يَخْلُو مِنَ الصِّدْقِ أَوِ الْكَذِبِ، وَكُلٌّ مِنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ لَهُ لَوَازِمُ وَمَلْزُومَاتٌ، فَأَدِلَّةُ الصِّدْقِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهُ وَأَدِلَّةُ الْكَذِبِ مُسْتَلْزَمَةٌ لَهُ، وَالصِّدْقُ لَهُ لَوَازِمُ وَالْكَذِبُ لَهُ لَوَازِمُ، فَصِدْقُهُ يُعْرَفُ بِنَوْعَيْنِ: بِثُبُوتِ دَلَائِلِ الصِّدْقِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ، وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ الْكَذِبِ الْمُوجِبِ انْتِفَاؤُهَا انْتِفَاءَ كَذِبِهِ، كَمَا أَنَّ كَذِبَ الْكَذَّابِ يُعْرَفُ بِأَدِلَّةِ كَذِبِهِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِكَذِبِهِ، وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ الصِّدْقِ الْمُسْتَلْزِمِ انْتِفَاؤُهَا لِانْتِفَاءِ صِدْقِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالشَّيْءُ يُعْرَفُ تَارَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهِ، وَتَارَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ نَقِيضِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى قِيَاسَ الْخُلْفِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا انْحَصَرَ فِي شَيْئَيْنِ، لَزِمَ مِنْ ثُبُوتِ أَحَدِهِمَا انْتِفَاءُ الْآخَرِ، وَمِنِ انْتِفَاءِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ. وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ إِمَّا صَادِقٌ

وَإِمَّا كَاذِبٌ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ لَوَازِمُ يَدُلُّ انْتِفَاؤُهَا عَلَى انْتِفَائِهِ، وَلَهُ مَلْزُومَاتٌ يَدُلُّ ثُبُوتُهَا عَلَى ثُبُوتِهِ.

فَدَلِيلُ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لَهُ كَأَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَدَلَائِلِهَا، وَآيَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَأَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَانْتِفَاءُ الشَّيْءِ يُعْلَمُ بِمَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَهُ كَانْتِفَاءِ لَوَازِمِهِ؛ مِثْلَ صِدْقِ الْكَاذِبِ، يُقَالُ: لَوْ كَانَ صَادِقًا لَكَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ الصَّادِقُونَ.

وَكَذَلِكَ كَذِبُ الصَّادِقِ، يُقَالُ: لَوْ كَانَ كَذَّابًا لَكَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ الْكَذَّابُ، فَإِنَّهُ قَدْ عُرِفَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ الصَّادِقِينَ، وَالْمُتَنَبِّئِينَ الْكَذَّابِينَ، فَانْتِفَاءُ لَوَازِمِ الْكَذِبِ دَلِيلُ صِدْقِهِ، كَمَا أَنَّ ثُبُوتَ مَا يَسْتَلْزِمُ الصِّدْقَ دَلِيلُ صِدْقِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَذَّابُ يُسْتَدَلُّ عَلَى كَذِبِهِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ كَذِبَهُ وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ صِدْقِهِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأُمُورِ(١).

فصدقه الذي لم يعرف في كل الأعصار والأمصار صدقا يفوقه من أعظم الأدلة التي يستدل بها على إثبات نبوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولهذا احتج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ به على قومه في إثبات نبوته، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٤] خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بني عدي**» لبطون قُرَيْش حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو

(١) الجواب الصحيح (٥/ ١٩٥-١٩٦).

لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ. فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خيلاً تخرجُ منْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ. أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**، قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شديدٍ**». قَالَ أَبُو لهبٍ: تبّاً لكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [سُورَةُ المَسَدِ: ١]»(١)، والله المستعان.

---

(١) أخرجه بألفاظ متقاربة البخاري (٦/ ١١١، ٤٧٧٠)، (٦/ ١٧٩، ح: ٤٩٧١)، (٦/ ١٨٠، ح: ٤٩٧٢)، ومسلم (١/ ١٩٣، ح: ٢٠٨).

٧- بشارة الأنبياء الذين من قبله به واعتراف المنصفين من علماء أهل الكتاب به

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَصْلٌ ثُمَّ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ بَشَّرُوا بِهِ يُعْلَمُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: مَا فِي الْكُتُبِ الْمَوْجُودَةِ الْيَوْمَ بِأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ.

الثَّانِي: إِخْبَارُ مَنْ وَقَفَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ. مِمَّنْ أَسْلَمَ وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ. بِمَا وَجَدُوهُ مِنْ ذِكْرِهِ فِيهَا. وَهَذَا مِثْلُ مَا تَوَاتَرَ عَنِ الْأَنْصَارِ أَنَّ جِيرَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا يُخْبِرُونَ بِمَبْعَثِهِ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا دَعَا الْأَنْصَارَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى آمَنَ الْأَنْصَارُ بِهِ وَبَايَعُوهُ مِنْ غَيْرِ رَهْبَةٍ وَلَا رَغْبَةٍ. وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ الْمَدِينَةَ فُتِحَتْ بِالْقُرْآنِ، لَمْ تُفْتَحْ بِالسَّيْفِ كَمَا فُتِحَ غَيْرُهَا. وَمِثْلُ مَا تَوَاتَرَ عَنْ إِخْبَارِ النَّصَارَى بِوُجُودِهِ فِي كُتُبِهِمْ مِثْلَ إِخْبَارِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ وَالْمُقَوْقَسِ مَلِكِ مِصْرَ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَالَّذِينَ جَاءُوهُ بِمَكَّةَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ عَنِ الْيَهُودِ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٨٩] وَقَالَ عَنِ النَّصَارَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٨٣] وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟

﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٥٢-٥٣] وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١]: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّ يَهُودَ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَبِ كَفَرُوا بِهِ وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ "، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، وَدَاوُدُ بْنُ سَلَمَةَ: " يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ وَتُخْبِرُونَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ وَتَصِفُونَهُ بِصِفَتِهِ "، فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، أَخُو بَنِي النَّضِيرِ، " مَا جَاءَنَا شَيْءٌ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ "..

فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٨٩] وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَغَيْرُهُ: " كَانُوا - يَعْنِي الْيَهُودَ - إِذَا اسْتَنْصَرُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا، حَتَّى نُعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ " فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٤٧)، ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٧٢، ح: ٩٠٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٨٢، ح: ٤٣) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٠٨٩): أخرجه ابْن إِسْحَاق فِي السِّيرَة فِيمَا بلغه عَن عِكْرِمَة أَو عَن سعيد بن جُبَير عَن ابْن عَبَّاس: أَن الْيَهُود كَانُوا يستفتحون عَلَى الْأَوْس والخزرج بِرَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَذكره نَحوه وَهُوَ مُنْقَطع.

لِلْعَرَبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :٨٩] وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ(١) عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الظَّفَرِيِّ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: " وَمِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ - مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهُدَاهُ - أَنَّا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيسَ عِنْدَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا: قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ الْآنَ نَتْبَعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَجَبْنَا حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرُوا بِهِ فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ

(١) حسن.

رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢١١)، ومن طريقه رواه بلفظ مقارب ابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٣٧).

وقد حسن الحديث الشيخ الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند من أسباب النزول (٢١).

فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ [البقرة: ٨٩] قَالَ: ابْنُ إِسْحَاقَ[(١)]: وَحَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ شِئْتُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ، أَعْقِلُ كُلَّ مَا سَمِعْتُ، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَقُولُ عَلَى أُطُمِ يَثْرِبَ، يَصْرُخُ: " يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ " فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ قَالُوا: " مَا لَكَ وَيْلَكَ " قَالَ: " طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي يُبْعَثُ اللَّيْلَةَ " وَرَوَى أَبُو زُرْعَةَ[(٢)]، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في كتابه سيرة ابن إسحاق (٨٤)، وكما في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩)، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٧٥، ث: ٣٥)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٥٥٤، ث: ٦٠٥٦)، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٠٩)، وذكره الشيخ الألباني في كتابه صحيح السيرة النبوية (١٣).

(٢) **حسن.**

أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ١٩٩، ح: ٢٥٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٦)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٣٢٥، ح: ٨١٣٢)، وابن منده في التوحيد (١/ ٣٠٦، ح: ١٤٨) والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٣٨، ح: ٤٩٥٦) والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٨٦، ح: ٤٦٦٣)، والبزار في مسنده (٤/ ١٦٥، ح: ١٣٣١)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١٣/ ١٧٠، ح: ٧٢١٢) بألفاظ متقاربة، وقال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

وقال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ الحاكم، ووافقه الذهبي.

وقال المعلق على مسند أبي يعلى: إسناده حسن.

حَارِثَةَ، قَالَ: " «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُرْدِفِي ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى الْوَادِي لَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «**يَا ابْنَ عَمْرٍو، مَا لِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنَفُوكَ؟**»، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ لِغَيْرِ ثَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي فِيهِمْ لَكِنْ أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالٍ " فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ، فَأَتَيْتُ إِلَى أَحْبَارِ يَثْرِبَ، فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي. فَخَرَجْتُ حَتَّى آتِيَ أَحْبَارَ خَيْبَرَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَقَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: " إِنَّكَ لَتَسْأَلُ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ إِلَّا شَيْخٌ بِالْجَزِيرَةِ ". فَخَرَجْتُ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي خَرَجْتُ لَهُ، فَقَالَ: " إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ فِي ضَلَالَةٍ فَمَنْ أَنْتَ "، قُلْتُ: " أَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ، وَمِنْ أَهْلِ الشَّوْكِ وَالْقَرْظِ ". فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ - أَوْ: خَارِجٌ - قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ، فَارْجِعْ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِهِ، فَرَجَعْتُ فَلَمْ أُحِسَّ شَيْئًا بَعْدُ، قَالَ: " فَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعِيرَهُ، فَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ السُّفْرَةَ " قَالَ زَيْدٌ: " مَا آكُلُ شَيْئًا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ " فَتَفَرَّقَا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَطَافَ بِالْبَيْتِ. قَالَ زَيْدٌ: وَأَنَا مَعَهُ، وَكَانَ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُمَا: (إِسَافٌ) وَ (نَائِلَةُ) مُسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةِ، يَتَمَسَّحُ بِهِمَا النَّاسُ إِذَا طَافُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَمَسُّهُمَا وَلَا تَمَسَّحْ بِهِمَا**».

قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي - وَقَدْ طُفْنَا - لَأَمَسَّنَّهُمَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَقُولُ، فَمَسَسْتُهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « **أَلَمْ تُنْهَهْ؟** »، فَلَا وَالَّذِي أَكْرَمَهُ، مَا مَسَسْتُهُمَا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ** ». وَرَوَى الْبُخَارِيُّ[(١)] حَدِيثَ خُرُوجِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو قَرِيبًا مِنْ هَذَا اللَّفْظِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[(٢)]: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا يَهُودِيٌّ، فَخَرَجَ عَلَى نَادِي قَوْمِهِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ، فَقَالَ ذَلِكَ لِأَصْحَابِ وَثَنٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ مَوْتٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالُوا: " وَيْحَكَ يَا فُلَانُ - أَوْ: وَيْلَكَ - وَهَذَا كَائِنٌ، أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ "، قَالَ: " نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَنْ تُوقِدُوا أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي دَارِكُمْ فَتَحْمُونَهُ ثُمَّ تَقْذِفُونِي فِيهِ ثُمَّ تُطَيِّنُونَ عَلَيَّ وَأَنِّي أَنْجُو مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا. فَقِيلَ: يَا

---

(١) صحيح البخاري: (٥/ ٤٠، ح: ٣٨٢٦-٣٨٢٨).

(٢) سيرة ابن اسحاق (٨٤)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٢)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١١، ث: ١٩٥٥)، وأحمد في مسنده (٢٥/ ١٦٤، ث: ١٥٨٤١)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٧١، ث: ٥٧٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٧٨). وقال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، ووافقه الذهبي.

فُلَانٌ، فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: " نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَاحِيَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ " وَأَشَارَ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ بِيَدِهِ، قَالُوا: " فَمَتَى تَرَاهُ؟ " فَرَمَى بِطَرَفِهِ فَرَآنِي وَأَنَا مُضْطَجِعٌ بِفَنَاءِ بَابِ أَهْلِي وَأَنَا أَحْدَثُ الْقَوْمِ، فَقَالَ: " إِنْ يَسْتَنْفِذْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ " فَمَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، وَإِنَّهُ لَحَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَآمَنَّا بِهِ وَصَدَّقْنَاهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا فُلَانُ أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ مَا قُلْتَ وَأَخْبَرْتَنَا؟ قَالَ: لَيْسَ بِهِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، فَمَرِضَ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ يَعُودُهُ، فَوَجَدَ أَبَاهُ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقْرَأُ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: **يَا يَهُودِيُّ أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ صِفَتِي وَمَخْرَجِي؟** قَالَ: لَا، قَالَ الْفَتَى: " بَلَى وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَقِيمُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، وَلُوا أَخَاكُمْ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(١)]. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[(٢)]: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي عَمَّا كَانَ إِسْلَامُ أُسَيْدٍ وَثَعْلَبَةَ ابْنَيْ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ،

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٢٧٢).

(٢) سيرة ابن اسحاق (٨٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٣)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٨٠).

وذكره الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (٦٠).

نَفَرٍ مِنْ هَدْلٍ، لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ، كَانُوا فَوْقَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ مِنْ يَهُودَ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيَّبَانِ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا، وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ خَيْرًا مِنْهُ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِنِينَ، وَكُنَّا إِذَا أَقْحَطْنَا وَقَلَّ عَلَيْنَا الْمَطَرُ، نَقُولُ: يَا ابْنَ الْهَيَّبَانِ اخْرُجْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُقَدِّمُوا أَمَامَ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً، فَنَقُولُ كَمْ؟ فَيَقُولُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ، فَنُخْرِجُهُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ فَنَسْتَقِي، فَوَاللَّهِ مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تَمُرَّ الشِّعَابُ. قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةٍ، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَنِي أَتَوَقَّعُ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، هَذِهِ الْبِلَادُ مُهَاجَرُهُ، فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُسْتَبَقُنَّ إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ، يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَبِسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ يُخَالِفُهُ، وَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ " ثُمَّ مَاتَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي فُتِحَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ، قَالَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ الْفِتْيَةُ - وَكَانُوا شُبَّانًا أَحْدَاثًا -: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاللَّهِ إِنَّهُ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمُ ابْنُ الْهَيَّبَانِ، فَقَالُوا: مَا هُوَ بِهِ، قَالُوا: " بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهُ لِصِفَتُهُ " ثُمَّ نَزَلُوا فَأَسْلَمُوا وَخَلَّوْا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فُتِحَ الْحِصْنُ رُدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. وَفِي

الصَّحِيحَيْنِ[١] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، لَمَّا حَدَّثَهُ عَنْ هِرَقْلَ - وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ - وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ هِرَقْلَ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ صِفَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ حَقًّا، إِنَّهُ نَبِيٌّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ. وَزَادَ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثِهِ، وَقَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ. حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَنَظَرَ فَقَالَ: إِنَّ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالَ: تَخْتَتِنُ الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَابْعَثْ إِلَى مَنْ فِي مَمْلَكَتِكَ مِنَ الْيَهُودِ فَيَقْتُلُوهُمْ. ثُمَّ وَجَدَ إِنْسَانًا مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ: انْظُرُوا أَمُخْتَتَنٌ هُوَ؟ فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ مُخْتَتَنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: يَخْتَتِنُونَ. وَقَالَ فِيهِ: وَكَانَ بِرُومِيَّةَ صَاحِبٌ لَهُ كَانَ هِرَقْلُ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَصَارَ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ مِنْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَهُ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ. وَكَذَلِكَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ، لَمَّا هَاجَرَ الصَّحَابَةُ إِلَيْهِ، لَمَّا آذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَخَافُوا أَنْ يَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَقَرَءُوا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَ: فَأَخَذَ عُودًا بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، فَقَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ. اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سِيُومٌ بِأَرْضِي. يَعْنِي أَنْتُمْ

---

(١) سبق تخريجه.

آمِنُونَ. وَقَالَ هَذَا لِأَنَّ قُرَيْشًا أَرْسَلُوا هَدَايَا إِلَيْهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَرُدَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ فَارَقُوا دِينَنَا وَخَالَفُوا دِينَكَ(١). وَفِي الصَّحِيحِ(٢)، حَدِيثُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الَّذِي تَرْوِيهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي بَدْءِ الْوَحْيِ، قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتَ الْعَدَدِ - إِلَى أَنْ قَالَتْ - فَأَتَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، فَقَالَتِ: اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي كُنْتُ جَذَعًا أَنْصُرُكَ إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ».

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(٣): «وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرُونَ رَجُلًا - أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ - وَهُوَ بِمَكَّةَ مِنَ النَّصَارَى حِينَ ظَهَرَ خَبَرُهُ بِالْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَجْلِسِ فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سيرة ابن اسحاق (٢١٨)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٢).

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ ثُمَّ اسْتَجَابُوا لَهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَمَّا قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ، بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ لِتَرْتَادُوا لَهُمْ فَتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَّقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ لَكُمْ؟ ! مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ - أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُمْ - فَقَالُوا: " سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ". وَيُقَالُ: فِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٥٢-٥٣]، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي أُمُّ عُثْمَانَ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهَا سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي جُبَيْرًا يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَظَهَرَ أَمْرُهُ بِمَكَّةَ خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كُنْتُ بِبُصْرَى، أَتَتْنِي جَمَاعَةٌ مِنَ النَّصَارَى فَقَالُوا لِي: أَمِنَ الْحَرَمِ أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالُوا: فَتَعْرِفُ هَذَا الَّذِي تَنَبَّأَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا بِيَدِي فَأَدْخَلُونِي دَيْرًا لَهُمْ فِيهِ تَمَاثِيلُ وَصُوَرٌ، فَقَالُوا لِي: انْظُرْ هَلْ تَرَى صُورَةَ هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ صُورَتَهُ، قُلْتُ: لَا أَرَى صُورَتَهُ. فَأَدْخَلُونِي دَيْرًا أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ الدَّيْرِ فِيهِ صُوَرٌ أَكْثَرُ مِمَّا فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ، فَقَالُوا لِي: انْظُرْ، هَلْ تَرَى صُورَتَهُ؟ فَنَظَرْتُ، فَإِذَا أَنَا بِصِفَةِ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصُورَتِهِ، وَإِذَا أَنَا بِصِفَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصُورَتِهِ، وَهُوَ آخِذٌ بِعَقِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لِي: انْظُرْ هَلْ تَرَى صِفَتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالُوا: هُوَ هَذَا؟ وَأَشَارُوا إِلَى صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. أَشْهَدُ أَنَّهُ هُوَ. قَالُوا: أَتَعْرِفُ هَذَا الَّذِي أَخَذَ بِعَقِبِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ هَذَا صَاحِبُكُمْ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ(١)، وَقَالَ فِيهِ: قَالَ الَّذِي أَرَاهُ الصُّوَرَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، إِلَّا هَذَا النَّبِيُّ. وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ(٢). وَرَوَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ(٣) أَنَّ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ، وَنُعَيْمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَرَجُلًا آخَرَ، قَدْ سَمَّاهُ، بُعِثُوا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَى جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ وَهُوَ بِالْغُوطَةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَأَنَّهُ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّهُمْ وَجَدُوا عِنْدَهُ شِبْهَ الرَّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مُذَهَّبَةً، وَإِذَا فِيهَا أَبْوَابٌ صِغَارٌ فَفَتَحَ فِيهَا بَابًا، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ خِرْقَةَ حَرِيرٍ سَوْدَاءَ، فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ، وَذَكَرَ صِفَةَ آدَمَ ثُمَّ فَتَحَ بَابًا

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ١٧٩، ت: ٥٤٥) مختصرا.

(٢) (٤٩، ث: ١٢)، وأخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١٤٥٩، ث: ٩٨٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٥، ث: ١٥٣٧)، والأوسط (٨/ ١٤٨، ث: ٨٢٣١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٨٤) بألفاظ متقاربة، وفي إسناده ضعف.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة (٥٠، ث: ١٣) من طريق موسى بن عقبة مطولا، وبنحوه عند البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٨٦)، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٣٧): وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

آخَرَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةً، وَفِيهَا صُورَةُ نُوحٍ ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ أَرَاهُمْ حَرِيرَةً فِيهَا صُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَالَ: هَذَا آخِرُ الْأَبْوَابِ لَكِنِّي عَجَّلْتُهُ؛ لِأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُمْ ثُمَّ فَتَحَ أَبْوَابًا أُخَرَ، وَأَرَاهُمْ صُورَةَ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ مُوسَى، وَهَارُونَ، وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَصِفَةَ لُوطٍ، وَصِفَةَ إِسْحَاقَ، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ قَدِيمًا مِنْ عَهْدِ آدَمَ، وَأَنَّ دَانْيَالَ صَوَّرَهَا بِأَعْيَانِهَا. وَرُوِيَ مِثْلُ هَذَا عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَلِكِ النَّصَارَى، أَخْرَجَ لَهُ صُوَرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَخْرَجَ لَهُ صُورَةَ نَبِيِّنَا ﷺ فَعَرَفَهَا.

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: نَفْسُ إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَاسْتِشْهَادُهُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِمْ، مِمَّا يَدُلُّ الْعَاقِلَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي كُتُبِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا رَيْبَ عِنْدَ كُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَ مُحَمَّدٍ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْقَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِنَّ الْمُكَذِّبِينَ لَهُ لَا يَشُكُّونَ فِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحِذْقِ، مَا أَوْجَبَ أَنْ يُقِيمَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَعُلِمَ ضَرُورَةً أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ وَلَا يُخْبِرُ بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى تَصْدِيقِهِ، وَأَخْبَرِهِمْ بِالطُّرُقِ الَّتِي يُصَدَّقُ بِهَا، وَأَبْعَدِهِمْ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُكَذَّبُ بِهِ. فَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ - بَلْ عَلِمَ انْتِفَاءَ ذَلِكَ - لَامْتَنَعَ أَنْ يُخْبِرَ بِذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَيَسْتَشْهِدَ بِهِ وَيُظْهِرَ ذَلِكَ لِمُوَافِقِيهِ وَمُخَالِفِيهِ، وَأَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ أَقَلُّ النَّاسِ عَقْلًا؛ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ كَذِبِهِ عِنْدَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ، عِنْدَ مَنْ يُخْبِرُونَهُ وَهُوَ ضِدُّ مَقْصُودِهِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ

مَنْ يُرِيدُ إِقَامَةَ شُهُودٍ عَلَى حَقِّهِ فَيَأْتِي إِلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَكْذِبُ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَاهِدٍ وَلَا حَضَرَ قَضِيَّتَهُ، وَيَقُولُ: هَذَا يَشْهَدُ لِي، وَهَذَا يَشْهَدُ لِي فَإِنَّهُمْ كَانُوا حَاضِرِينَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، فَيَقُولُ أُولَئِكَ: لَسْنَا نَشْهَدُ لَهُ وَلَا حَضَرْنَا هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، فَهَذَا لَا يَفْعَلُهُ عَاقِلٌ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ، وَأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، وَلَا يَشْهَدُونَ لَهُ.

الرَّابِعُ: أَنْ يُقَالَ: لَمَّا قَامَتِ الْأَعْلَامُ عَلَى صِدْقِهِ، فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَشَّرُوا بِهِ عُلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ. لَكِنَّ هَذَا لَا يُذْكَرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُقَامَ دَلِيلٌ مُنْفَصِلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

وَالطَّرِيقُ الْأَوَّلُ، هُوَ مِنْ أَظْهَرِ الْحُجَجِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَظْهَرُ الْأَعْلَامِ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

وَقَدِ اسْتَخْرَجَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ فِي أَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْبِشَارَاتِ بِنُبُوَّتِهِ مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةً، وَصَنَّفُوا فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ، وَهَذِهِ الْبِشَارَاتُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مِنْ جِنْسِ الْبِشَارَاتِ بِالْمَسِيحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْيَهُودُ يُقِرُّونَ بِاللَّفْظِ، لَكِنْ يَدَّعُونَ أَنَّ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَيْسَ هُوَ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا هُوَ آخَرُ يُنْتَظَرُ، وَهُمْ - فِي الْحَقِيقَةِ - لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَيَنْتَظِرُونَ - أَيْضًا - مَجِيءَ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَيُحَرِّفُونَ دَلَالَةَ اللَّفْظِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى نَبِيٍّ مُنْتَظَرٍ، كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ: سَأُقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ يَا مُوسَى، أُنْزِلُ عَلَيْهِ مِثْلَ تَوْرَاةِ مُوسَى، أَجْعَلُ كَلَامِي عَلَى فِيهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ هَذَا إِخْبَارًا، بَلْ هَذَا

اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَقَدَّرُوا أَلِفَ اسْتِفْهَامٍ، وَلَيْسَ فِي النَّصِّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَالْيَهُودُ يُحَرِّفُونَ الدَّلَالَاتِ الْمُبَشِّرَةَ بِالْمَسِيحِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى لَا يَقْدَحُ فِي الْبِشَارَةِ بِالْمَسِيحِ، بَلْ تَبَيَّنَ دَلَالَةُ النُّصُوصِ عَلَيْهِ، وَبُطْلَانُ تَحْرِيفِ الْيَهُودِ.

وَكَذَلِكَ الْبِشَارَاتُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، لَا يَقْدَحُ فِيهَا تَحْرِيفُ أَهْلِ الْكِتَابِ، الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بَلْ تَبَيَّنَ دَلَالَةُ تِلْكَ النُّصُوصِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُطْلَانِ تَحْرِيفِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنْ يُقَالَ: مَعْلُومٌ أَنَّ ظُهُورَ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، أَعْظَمُ حَادِثٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَمْ يُعْرَفْ قَطُّ دِينٌ انْتَشَرَ وَدَامَ كَانْتِشَارِهِ وَدَوَامِهِ. فَإِنَّ شَرْعَ مُوسَى، وَإِنْ دَامَ فَلَمْ يَنْتَشِرِ انْتِشَارُهُ وَدَوَامُهُ، بَلْ كَانَ غَايَةُ ظُهُورِهِ بِبَعْضِ الشَّامِ، وَأَمَّا شَرْعُ الْمَسِيحِ فَقَبْلَ، قُسْطَنْطِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُلْكٌ، بَلْ كَانُوا يَكُونُونَ بِبَعْضِ بِلَادِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا، وَكَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ تُقْتَلُ أَعْيَانُهُمْ أَوْ عَامَّتُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَمَّا انْتَشَرَ تَفَرَّقَ أَهْلُهُ فِرَقًا مُتَبَايِنَةً يُكَفِّرُ فِيهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

ثُمَّ إِنَّ شَرْعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَفِي وَسَطِ الْأَرْضِ الْمَعْمُورَةِ؛ الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ، وَظَهَرَتْ أُمَّتُهُ عَلَى النَّصَارَى فِي أَفْضَلِ الْأَرْضِ وَأَجَلِّهَا عِنْدَهُمْ؛ كَأَرْضِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْجَزِيرَةِ وَغَيْرِهَا، وَدَامَ شَرْعُهُ، فَلَهُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْمُدَّعِيَ لِلنُّبُوَّةِ، سَوَاءٌ كَانَ صَادِقًا أَوْ كَاذِبًا لَا بُدَّ

أَنْ يُخبِرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ أَخبَرُوا بِظُهُورِ الدَّجَّالِ الْكَذَّابِ، تَحْذِيرًا لِلنَّاسِ، مَعَ أَنَّ الدَّجَّالَ مُدَّتُهُ قَلِيلَةٌ، فَلَوْ كَانَ مَا يَقُولُهُ الْمُكَذِّبُ لِمُحَمَّدٍ حَقًّا، وَأَنَّهُ كَاذِبٌ لَيْسَ بِرَسُولٍ، لَكَانَتْ فِتْنَتُهُ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَنْ يَتْبَعُ الدَّجَّالَ. فَلَوْ كَانَ كَاذِبًا لَكَانَ الَّذِينَ افْتُتِنُوا بِهِ أَضْعَافَ أَضْعَافِ مَنْ يُفْتَتَنُ بِالدَّجَّالِ، فَكَانَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ أَوْلَى مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الدَّجَّالِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مِنْ زَمَانِ آدَمَ إِلَى الْيَوْمِ كَذَّابٌ ظَهَرَ وَدَامَ هَذَا الظُّهُورَ وَالدَّوَامَ، فَكَيْفَ تُغْفِلُ الْأَنْبِيَاءُ التَّحْذِيرَ عَنْ مِثْلِ هَذَا لَوْ كَانَ كَاذِبًا؟

وَإِذَا كَانَ صَادِقًا: فَالْبِشَارَةُ لِلْإِيمَانِ بِهِ أَوْلَى مَا يُبَشِّرُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلَاتِ وَتُخْبِرُ بِهِ. فَعُلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْكُتُبِ ذِكْرُهُ ثُمَّ قَدْ وُجِدَ مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ فِي الْكُتُبِ تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ مَوْضِعٍ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى أَنَّهُ مَذْكُورٌ، وَتَوَاتَرَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِهِمْ، وَتَوَاتَرَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَسْلَمَ أَنَّهُ كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِمْ - أَوْ مِنْ أَعْظَمِ سَبَبِ إِسْلَامِهِمْ - عِلْمُهُمْ بِذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، إِمَّا بِأَنَّهُ وَجَدَ ذِكْرَهُ فِي الْكُتُبِ كَحَالِ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَإِمَّا بِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ.

إِسْلَامِهِمْ مَا كَانُوا يَسْمَعُونَهُ مِنْ جِيرَانِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَنَعْتِهِ، وَانْتِظَارِهِمْ إِيَّاهُ، وَأَنَّ مِنْ خِيَارِهِمْ مَنْ لَمْ يُوجِبْ لَهُ أَنْ يَسْكُنَ أَرْضَ يَثْرِبَ مَعَ شِدَّتِهَا وَيَدَعَ أَرْضَ الشَّامِ مَعَ رَخَائِهَا إِلَّا انْتِظَارُهُ لِهَذَا النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يُبْعَثُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. وَلَمْ يُمْكِنْ أَحَدٌ قَطُّ أَنْ يَنْقِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا ذِكْرَهُ

بِالذَّمِّ وَالتَّكْذِيبِ وَالتَّحْذِيرِ، كَمَا يُوجَدُ ذِكْرُ الدَّجَّالِ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِهِ؛ كَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِ، وَعَدْلِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ، عَنِ الْمَسِيحِ وَغَيْرِهِ، مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ. فَإِذَا كَانَ الَّذِينَ اسْتَخْرَجُوا ذِكْرَهُ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالَّذِينَ سَمِعُوا خَبَرَهُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ نَعْتَهُ فِيهَا بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ ذَكَرُوهُ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرُوهُ بِذَمٍّ وَلَا عَيْبٍ.

وَكُلُّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَمَدَحَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا صَادِقًا فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، إِذْ يَمْتَنِعُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُثْنُونَ عَلَى مَنْ يَكْذِبُ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩٣] وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْأَنْبِيَاءُ ذَكَرُوهُ وَأَخْبَرُوا بِهِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوهُ إِلَّا بِالثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ لَا بِالذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَذَلِكَ - مَعَ دَعْوَى النُّبُوَّةِ - لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ صَادِقًا فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُمْ بَشَّرُوا بِنُبُوَّتِهِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ. يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَخْبَرُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِمَا سَيَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَمَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيُخَرِّبُونَ بِلَادَهُمْ وَيَسْبُونَهُمْ كَـ - (بُخْتُنَصَّرَ) وَ (سَنْجَارِيبَ) وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكَ لَمْ يَدَّعُوا أَنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ، وَلَمْ يَدْعُوا إِلَى دِينٍ، فَلَمْ تَحْتَجِ الْأَنْبِيَاءُ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنِ اتِّبَاعِهِمْ، وَقَدْ حَذَّرُوا مِنِ اتِّبَاعِ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ وَهُوَ كَاذِبٌ. وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَهَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ وَسَبَى مَنْ سَبَى، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ فَلَا بُدَّ أَنْ يَذْكُرُوهُ وَيَذْكُرُوا الْأَحْدَاثَ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِهِ. وَإِذَا كَانَ كَاذِبًا مُدَّعِيًا لِلنُّبُوَّةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُحَذِّرَهُمْ مِنِ اتِّبَاعِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَمَنْ نَقَلَ عَنْهُمْ إِمَّا أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ مَوْجُودًا فِي كُتُبِنَا، أَوْ يَقُولَ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، لَا يُمْكِنُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقِلَ عَنِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِيهَا بِالذَّمِّ وَالتَّحْذِيرِ. وَلَوْ كَانَ مَذْكُورًا عِنْدَهُمْ بِالذَّمِّ وَالتَّحْذِيرِ، لَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَعَلَى أُمَّتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَيَحْتَجُّ بِهِ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ.

فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْبُغْضِ لَهُ وَالْعَدَاوَةِ وَتَكْذِيبِهِ، وَالْحِرْصِ عَلَى إِبْطَالِ أَمْرِهِ، مَا أَوْجَبَ أَنْ يَفْتَرُوا أَشْيَاءَ لَمْ تُوجَدْ، وَيَنْسُبُوا إِلَيْهِ أَشْيَاءَ يَعْرِفُ كَذِبَهَا كُلُّ مَنْ عَرَفَ أَمْرَهُ، حَتَّى آلَ الْأَمْرُ بِبَعْضِهِمْ إِلَى أَنْ فَسَّرُوا قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، بِأَنَّ (أَكْبَرَ)صَنَمٌ، وَأَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ هَذَا الصَّنَمِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ: إِنَّهُ أَوْجَبَ الزِّنَا عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا. عُقُوبَةً لِزَوْجِهَا بِأَنَّهُ لَا يَنْكِحُهَا حَتَّى يَزْنِيَ بِهَا غَيْرُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْ بُحَيْرَى الرَّاهِبِ، مَعَ عِلْمِ كُلِّ مَنْ عَرَفَ سِيرَتَهُ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ بِـ(بُحَيْرَى) وَحْدَهُ، وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا بَعْضَ نَهَارٍ مَعَ أَصْحَابِهِ، لَمَّا مَرُّوا بِهِ لَمَّا قَدِمُوا الشَّامَ فِي تِجَارَةٍ، وَأَنَّ (بُحَيْرَى) سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ إِلَّا كَلِمَاتٍ يَسْتَخْبِرُهُ فِيهَا عَنْ حَالِهِ. لَمْ يُخْبِرْهُ بِشَيْءٍ.

وَمَعَ طَعْنِ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيهِ بِأَنَّهُ بُعِثَ بِالسَّيْفِ، حَتَّى قَدْ يَقُولُوا: إِنَّمَا قَامَ دِينُهُ بِالسَّيْفِ، وَحَتَّى يُوهِمُوا النَّاسَ أَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ، وَحَتَّى يَقُولُوا: إِنَّ الْخَطِيبَ إِنَّمَا يَتَوَكَّأُ عَلَى سَيْفٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَقُومُ الدِّينُ بِالسَّيْفِ، إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ - الَّتِي هِيَ مِنْ أَظْهَرِ الْأُمُورِ كَذِبًا عَلَيْهِ

- يَعْرِفُ أَدْنَى النَّاسِ مَعْرِفَةً بِحَالِهِ أَنَّهَا كَذِبٌ، وَهُمْ - مَعَ هَذَا - يَتَشَبَّثُونَ بِهَا. فَلَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ أَخْبَارٌ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ تُوجِبُ ذَمَّهُ وَالتَّحْذِيرَ مِنْ مُتَابَعَتِهِ، لَكَانَ إِظْهَارُهُمْ لِذَلِكَ وَاحْتِجَاجُهُمْ بِهِ أَقْوَى وَأَبْلَغَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ فِي الْعَادَةِ اشْتِهَارُهُ بَيْنَ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَكَانَ ظُهُورُ ذَلِكَ فِيهِمْ أَوْلَى مِنْ ظُهُورِ خَبَرِ الدَّجَّالِ فِيهِمْ وَفِي الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَتَوَفَّرُ الْهِمَمُ وَالدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ وَاشْتِهَارِهِ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، عُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ مَا يُوجِبُ تَكْذِيبَهُ، وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَذْكُرَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَتُخْبِرَ بِحَالِهِ، فَإِذَا لَمْ يُخْبِرُوا أَنَّهُ كَاذِبٌ عُلِمَ أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ صَادِقٌ، كَمَا شَاعَ ذَلِكَ وَظَهَرَ وَاسْتَفَاضَ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

فَالْكِتَابُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مَمْلُوءٌ بِشَهَادَةِ الْكُتُبِ لَهُ، وَالْكُتُبُ الْمَوْجُودَةُ فِيهَا مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالْأَخْبَارُ مُتَوَاتِرَةٌ عَمَّنْ أَسْلَمَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ مَذْكُورٌ فِيهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَلَيْسَ فِيهَا مَا يُخْبِرُ بِكَذِبِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَفِي الْجُمْلَةِ أَمْرُهُ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ وَأَعْجَبُ وَأَبْهَرُ، وَأَخْرَقُ لِلْعَادَةِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ظَهَرَ فِي الْعَالَمِ مِنَ الْبَشَرِ. وَمِثْلُ هَذَا إِذَا كَانَ كَاذِبًا، فَلِكَذِبِهِ لَوَازِمُ كَثِيرَةٌ جِدًّا تَفُوقُ الْحَصْرَ مُتَقَدِّمَةٌ وَمُقَارِنَةٌ وَمُتَأَخِّرَةٌ. فَإِنَّ مَنْ هُوَ أَدْنَى دَعْوَةً مِنْهُ إِذَا كَانَ كَاذِبًا لَزِمَ كَذِبَهُ مِنَ اللَّوَازِمِ مَا يُبَيِّنُ كَذِبَهُ، فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا؟! فَإِذَا انْتَفَتْ لَوَازِمُ الْمَكْذُوبِ انْتَفَى الْمَلْزُومُ.

وَصِدْقُهُ لَازِمٌ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ كُلِّهَا تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، وَثُبُوتُ الْمَلْزُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ اللَّازِمِ مَاضِيهِ وَمُقَارِنِهِ وَمُتَأَخَّرِهِ. وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ لَا يَخْلُو مِنَ الصِّدْقِ أَوِ الْكَذِبِ، وَكُلٌّ مِنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ لَهُ لَوَازِمُ وَمَلْزُومَاتٌ، فَأَدِلَّةُ الصِّدْقِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهُ وَأَدِلَّةُ الْكَذِبِ مُسْتَلْزَمَةٌ لَهُ، وَالصِّدْقُ لَهُ لَوَازِمُ وَالْكَذِبُ لَهُ لَوَازِمُ، فَصِدْقُهُ يُعْرَفُ بِنَوْعَيْنِ: بِثُبُوتِ دَلَائِلِ الصِّدْقِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ، وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ الْكَذِبِ الْمُوجِبِ انْتِفَاؤُهَا انْتِفَاءَ كَذِبِهِ، كَمَا أَنَّ كَذِبَ الْكَذَّابِ يُعْرَفُ بِأَدِلَّةِ كَذِبِهِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِكَذِبِهِ، وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ الصِّدْقِ الْمُسْتَلْزِمِ انْتِفَاؤُهَا لِانْتِفَاءِ صِدْقِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالشَّيْءُ يُعْرَفُ تَارَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهِ، وَتَارَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ نَقِيضِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى قِيَاسَ الْخُلْفِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا انْحَصَرَ فِي شَيْئَيْنِ، لَزِمَ مِنْ ثُبُوتِ أَحَدِهِمَا انْتِفَاءُ الْآخَرِ، وَمِنِ انْتِفَاءِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ. وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ إِمَّا صَادِقٌ وَإِمَّا كَاذِبٌ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ لَوَازِمُ يَدُلُّ انْتِفَاؤُهَا عَلَى انْتِفَائِهِ، وَلَهُ مَلْزُومَاتٌ يَدُلُّ ثُبُوتُهَا عَلَى ثُبُوتِهِ.

فَدَلِيلُ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لَهُ كَأَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَدَلَائِلِهَا، وَآيَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَأَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَانْتِفَاءُ الشَّيْءِ يُعْلَمُ بِمَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَهُ كَانْتِفَاءِ لَوَازِمِهِ؛ مِثْلَ صِدْقِ الْكَاذِبِ، يُقَالُ: لَوْ كَانَ صَادِقًا لَكَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ الصَّادِقُونَ.

وَكَذَلِكَ كَذِبُ الصَّادِقِ، يُقَالُ: لَوْ كَانَ كَذَّابًا لَكَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ الْكَذَّابُ، فَإِنَّهُ قَدْ عُرِفَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ الصَّادِقِينَ، وَالْمُتَنَبِّئِينَ الْكَذَّابِينَ، فَانْتِفَاءُ لَوَازِمِ الْكَذِبِ دَلِيلُ صِدْقِهِ، كَمَا أَنَّ ثُبُوتَ مَا يَسْتَلْزِمُ الصِّدْقَ دَلِيلُ صِدْقِهِ، وَكَذَلِكَ

الْكَذَّابُ يُسْتَدَلُّ عَلَى كَذِبِهِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ كَذِبَهُ وَبِانْتِفَاءِ لَوَازِمِ صِدْقِهِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأُمُورِ[(١)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يُحْبِطِ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ، الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ** قَالَ: فَأَسْكَتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «**أَبَيْتُمْ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ**». ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا: كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ. فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ، وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ، قَالُوا: كَذَبْتَ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ، أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ**

---

(١) الجواب الصحيح (٥/ ١٦٠-١٩٦).

مَا أَثْنَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ أَكْذَبْتُمُوهُ، وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ». قَالَ: فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ١٠])[1].

ومن المعلوم أن أصحاب الملل والأديان خير ممن لا ينتسبون إلى ملة كالطبائعيين ونحوهم، والملتان اليهودية والنصرانية هما الملتان المنتشرتان في العالم بعد الإسلام فإذا كان علماؤها وأعني المنصفين منهم شهدون لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بصحة نبوته فهذا مما يستدل به على إثباتها وإن كان ثبوتها حاصل في نفس الأمر، ولم يحصل ثبوتها بشهادتهم لها إلا أن فيها إلزاما لهم ولغيرهم باتباعه وتصديقه والإيمان بنبوته، بل البخيتي نفسه يقول في بعض مقالاته (النبي محمد)، وقال: (والنبي محمد اعتقد فعلًا أنه مبعوث من الله)،

(١) صحيح.

رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٠٩، ح: ٢٣٩٨٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١١٨، ح: ٧١٦٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٦، ح: ٨٣)، ومسند الشاميين (٢/ ٧٧، ح: ٩٤٨)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٦٩، ح: ٥٧٥٦)، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، إِنَّمَا اتَّفَقَا عَلَى حَدِيثِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَّامٍ فِيكُمْ؟ مُخْتَصَرًا، ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني.

ولكنه بعد ذلك يكذب بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويصفه بأوصاف لو وصف البخيتي بها لخار كما يخور الثور، ولكن كما قيل: حبك الأشياء يعمي ويصم ، نعم، وهكذا إذا تعلق القلب بشهوة مالية أو فرجية، فإنه لا يبالي بما ترك في سبيل هذه الأمور المخزية والله المستعان.

٨ - وقوع ما أخبر به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَآيَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْآيَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ. وَإِخْبَارُهُ عَنِ الْغَيْبِ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ بِأُمُورٍ بَاهِرَةٍ، لَا يُوجَدُ مِثْلُهَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّبِيِّينَ قَبْلَهُ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِ النَّبِيِّينَ. فَفِي الْقُرْآنِ مِنْ إِخْبَارِهِ عَنِ الْغُيُوبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ - كَمَا تَقَدَّمَ بَعْضُ ذَلِكَ - وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مِمَّا أَخْبَرَ بِوُقُوعِهِ، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَحْفَظُنَا أَعْلَمُنَا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٣، ح: ٦٦٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢١٧، ح:٢٨٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٧، ح: ٢٨٩٢).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: **يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: **فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ.** قَالَ: قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ، الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى. قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ! قَالَ: **كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ**

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ عَنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ. قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.** قَالَ عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ. قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ مِنْ خُرُوجِ الرَّجُلِ

بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ، ظَهَرَ كَمَا أَخْبَرَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ. فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي. قَالَ:

تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ»(٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٧، ح: ٣٥٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٢٥، ح: ٢٩٠٠).

تكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١).

قُلْتُ .القائل شيخ الإسلام.: فَفُتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ الطَّاعُونُ الْعَظِيمُ بِالشَّامِ، طَاعُونُ عَمْوَاسَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ أَيْضًا، وَمَاتَ فِيهِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَاعُونٍ وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ مَا أَخْبَرَ بِهِ، حَيْثُ أَخَذَهُمْ طَاعُونٌ كَعُقَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتَفَاضَ الْمَالُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَتَّى كَانَ أَحَدُهُمْ يُعْطَى مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا، وَكَثُرَ الْمَالُ حَتَّى كَانَتِ الْفَرَسُ تُشْتَرَى بِوَزْنِهَا، ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَوِ الْمُلُوكِ، يَوْمَ الْجَمَلِ، وَيَوْمَ صِفِّينَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْنَا: أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، قَالَ: فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا بَيْنَ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا**

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٠١، ح: ٣١٧٦).

يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُؤْخَذُ فَتُحْفَرُ لَهُ الْحُفْرَةُ فَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ.

وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ»(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ**»(٢).

قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ الطَّوَائِفُ كُلُّهُمْ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْرُ هَذِهِ الطَّوَائِفِ مَعْرُوفٌ، فَإِنَّ قِتَالَ التُّرْكِ مِنَ التَّتَارِ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ، وَحَدِيثُهُمْ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ نُسْخَةٍ كِبَارٍ وَصِغَارٍ مِنْ كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ، قَبْلَ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّتِي لَوْ كُلِّفَ مَنْ رَآهُمْ بِعَيْنِهِ أَنْ يَصِفَهُمْ لَمْ يُحْسِنْ مِثْلَ هَذِهِ الصِّفَةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤٥، ح:٣٨٥٢)، (٤/ ٢٠١، ح: ٣٦١٢)، (٩/ ٢٠، ح: ٦٩٤٣)، ولم أجده في مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٤٣، ح: ٢٩٢٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٣، ح: ٢٩١٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**»(١). وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ النَّارُ سَنَةَ بِضْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمَايَةٍ، وَرَآهَا النَّاسُ، وَرَأَوْا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ قَدْ أَضَاءَتْ بِبُصْرَى، وَكَانَتْ تَحْرِقُ الْحَجَرَ، وَلَا تُنْضِجُ اللَّحْمَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَسْمَاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَالَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨، ح: ٧١١٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٢٧، ح: ٢٩٠٢).

(٢) ورد هذا عن عدة من الصحابة، منهم:

أبو سعيد رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري (١/ ٩٧، ح:٤٤٧)، (٤/ ٢١، ح: ٢٨١٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٥، ح: ٢٩١٥).

أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٥/ ٦٦٩، ح: ٣٨٠٠) وصححه العلامة الألباني.

أم سلمة رضي الله عنها، أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٣٦، ح: ٢٩١٦)

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ٤٢، ح: ٦٤٩٩)، وصححه محققو المسند.

عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٦، ح: ١٧٧٧٨) وصححه محققو المسند.

خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ١٩٨، ح: ٢١٨٧٣)، وصحح محققو المسند المرفوع منه.

عمرو بن حزم رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٧٩)، وصححه محققو المسند.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ قَالَ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ**»(٣). وَالْأَبْيَضُ قَصْرٌ كَانَ لِكِسْرَى،.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّهُ قَالَ عَنِ الْحَسَنِ: **أَنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٤). قُلْتُ: فَوَقَعَ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ سَنَةً،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٦٣، ح: ٣٠٢٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧، ح: ٢٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٨٥، ح: ٣١٢١)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧، ح: ٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٣٧، ح: ٢٩١٩)، ولم أجده في البخاري.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٤، ح: ٣٦٢٩)، (٥/ ٢٦، ح: ٣٧٤٦).

وَهُوَ سَنَةُ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا أَصْلَحَ اللَّهُ بِالْحَسَنِ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا مُتَحَارِبَتَيْنِ بِصِفِّينَ، عَسْكَرِ عَلِيٍّ، وَعَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، ثُمَّ إِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ بِعْدَكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَهُ، فَقَالَ: **أَعْبِرْ**. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ فَيَعْلُو، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ. فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ فَقَالَ: **أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**. قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُخْبِرَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ. قَالَ: **لَا تُقْسِمْ**»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٤٣، ح: ٧٠٤٦)، ومسلم (٤/ ١٧٧٧، ح: ٢٢٦٩).

شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ – وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ – ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَاسْتَحَالَتِ الدَّلْوُ غَرْبًا فِي يَدِ عُمَرَ»(١). قَالَ الشَّافِعِيُّ: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ. وَقَوْلُهُ: فِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، قِصَرُ مُدَّتِهِ، وَعَجَلَةُ مَوْتِهِ، وَشُغْلُهُ بِالْحَرْبِ مَعَ أَهْلِ الرِّدَّةِ عَنْ الِافْتِتَاحِ وَالتَّزَيُّدِ الَّذِي بَلَغَهُ عُمَرُ فِي طُولِ مُدَّتِهِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَيْ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ، قَالَ: **إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَائْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(٢).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا خِلَافَةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا مُلْكًا عَضُوضًا، وَكَائِنًا عَنْوَةً وَجَبْرِيَّةً، وَفَسَادًا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٦، ح: ٣٦٦٤)، (٩/ ٣٨، ح: ٧٠٢١)، (٩/ ٣٩، ح: ٧٠٢٢) ومسلم (٤/ ١٨٦٠، ح: ٢٣٩٢)، (٤/ ١٨٦١، ح: ٢٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٥، ح: ٣٦٥٩)، ومسلم (٤/ ١٨٥٦، ح: ٢٣٨٦).

فِي الْأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ، وَالْخُمُورَ وَالْحَرِيرَ، وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقَوُا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ»(٢).

وَفِي السُّنَنِ عَنْ سَفِينَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**تَكُونُ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا**»(٣).

---

(١) **منكر بهذا التمام.**

أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ١٨٤، ح: ٢٢٥)، وقال الألباني رحمه الله في الضعيفة (٧/ ٥٦، ح: ٣٠٥٥): منكر بهذا التمام.

(٢) **ضعيف.**

أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠٨، ح: ٤٦٣٧)، وضعفه الألباني.

(٣) **صحيح.**

رواه أبو داود (٤/ ٢١١، ح: ٤٦٤٧) والترمذي (٤/ ٥٠٣، ح: ٢٢٢٦)، وصححه الألباني.

فَكَانَ هَذَا الْعَامُ تَمَامَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِهِ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَشَارِقُهَا، وَمَغَارِبُهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: « **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا** » . وَهَذَا أَخْبَرَ بِهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَأَصْحَابُهُ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، فَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ انْتَشَرَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ فِي الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ كَانْتِشَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ؛ إِذْ كَانَتْ أُمَّتُهُ أَعْدَلَ الْأُمَمِ؛ فَانْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ فِي الْأَقَالِيمِ الَّتِي هِيَ وَسَطُ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ، كَالثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: هَلَكَ كِسْرَى فَلَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ. وَذَاكَ كِسْرَى بْنُ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٥، ح: ٢٨٨٩) عن ثوبان، وهو الذي ذكره شيخ الإسلام بعد هذا الحديث، ولم أجده عند البخاري.

هُرْمُزَ آخِرُ الْأَكَاسِرَةِ الْمُمَلَّكِينَ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ وُلَاةٌ مُتَضَعِّفُونَ، فَكَانَ آخِرُهُمْ يَزْدَجَرْدُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِاللَّفْظِ الْآخَرِ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». وَهَذَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمُلْكُ كِسْرَى، وَقَيْصَرَ أَعَزُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ، فَصَدَقَ اللَّهُ خَبَرَهُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ فَهَلَكَ كِسْرَى، وَهُوَ آخِرُ الْأَكَاسِرَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بِأَرْضِ فَارِسَ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ كِسْرَى، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَجُوسِ، وَالْفُرْسِ مُلْكٌ، وَهَلَكَ قَيْصَرُ الَّذِي بِأَرْضِ الشَّامِ، وَغَيْرِهَا، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ مَنْ هُوَ مَلِكٌ عَلَى الشَّامِ، وَلَا مِصْرَ، وَلَا الْجَزِيرَةِ مِنَ النَّصَارَى، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى قَيْصَرَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْتَابُ الشَّامَ انْتِيَابًا كَثِيرًا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ مَعَاشِهَا مِنْهُ، وَتَأْتِي الْعِرَاقَ فَيُقَالُ: لَمَّا دَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ ذَكَرَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفَهَا مِنَ انْقِطَاعِ مَعَاشِهَا بِالتِّجَارَةِ مِنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ إِذَا فَارَقَتِ الْكُفْرَ وَدَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ، مَعَ خِلَافِ مَلِكِ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ**» فَلَمْ يَبْقَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ كِسْرَى يَثْبُتُ لَهُ أَمْرٌ بَعْدَهُ. وَقَالَ: «**إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ**». فَلَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ الشَّامِ قَيْصَرُ، فَأَجَابَهُمْ عَلَى مَا قَالُوا، وَكَانَ كَمَا قَالَ قَطَعَ اللَّهُ الْأَكَاسِرَةَ عَنِ الْعِرَاقِ، وَفَارِسَ، وَقَيْصَرَ عَنِ الشَّامِ. وَقَالَ فِي كِسْرَى: «**مَزَّقَ اللَّهُ**

مُلْكَهُ»، فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَكَاسِرَةِ مُلْكٌ، وَقَالَ فِي قَيْصَرَ: **ثَبَتَ مُلْكُهُ**»[(١)]، فَثَبَتَ مُلْكُهُمْ بِبِلَادِ الرُّومِ، وَتَنَحَّى عَنِ الشَّامِ، وَكُلُّ هَذَا يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ**»[(٢)] فَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَتْحِ الْيَمَنِ، وَالشَّامِ، وَالْعِرَاقِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ

---

(١) قَالَ الشَّافِعِيُّ في كتابه الأم (٤/ ١٨٠): وَحَفِظْنَا أَنَّ «قَيْصَرَ أَكْرَمَ كِتَابَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَضَعَهُ فِي مِسْكٍ فَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَثْبُتُ مُلْكُهُ»، وفي البخاري (٦/ ٨، ح: ٤٤٢٤) عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ، قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»، وأخرج ابن زنجويه في كتاب الأموال (١/ ١١٩، ح: ١٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٠١، ح: ١٨٦٠٨)، وفي دلائل النبوة (٤/ ٣٩٤)، والقاسم بن سلام في كتاب الأموال (ص: ٣١، ح: ٥٨)، من طريق ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَتَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ؛ فَأَمَّا قَيْصَرُ فَوَضَعَهُ، وَأَمَّا كِسْرَى فَمَزَّقَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيُمَزَّقُونَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَسَتَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّةٌ»، وعمير بن إسحاق لينه ابن معين في رواية، وقال الحافظ: مقبول، ثم الحديث من قبيل المرسل.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢١، ح: ١٨٧٥)، ومسلم (٢/ ١٠٠٨، ح: ١٣٨٨).

الْمَدِينَةِ أَقْوَامٌ يَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ، وَمَنْ أَطَاعَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، وَيَطْلُبُونَ الرِّيفَ وَسَعَةَ الرِّزْقِ، قَالَ: وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتُفْتَحُ مِصْرُ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا**. وَفِي رِوَايَةٍ: **فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ عَلَى مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا**»(١). فَمَرَّ أَبُو ذَرٍّ بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ بِمُدَّةٍ بِابْنَيْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَهُمَا يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حِينَ أُجْلِيَ الْأَحْزَابُ عَنْهُ: «**الْآنَ نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَا**»(٢)، وَكَذَلِكَ كَانَ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ، وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ وَأَنْتُمْ**». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَ غَيْرُ ذَلِكَ؟ تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٠، ح: ٢٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٠، ح: ٤١١٠).

تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِنِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَحْمِلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[(١)].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [سُورَةُ الجُمُعَةِ :٢-٣]. سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ، فَقَالَ: **لَوْ كَانَ الدِّينُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ**. وَفِي لَفْظٍ: **لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ**، وَفِي لَفْظٍ: **الْعِلْمُ**»[(٢)]. وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، فَإِنَّهُ حَصَلَ فِي التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، وَهَلُمَّ جَرًّا، مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ، مِثْلُ: الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، وَأَضْعَافِ هَؤُلَاءِ، مَنْ نَالُوا ذَلِكَ.

«وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ :٥٤]سُئِلَ عَنْهُمْ، **فَقَالَ: هُمْ قَوْمُ هَذَا،**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٤، ح: ٢٩٦٢).

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٥١، ح: ٤٨٩٧)، ومسلم (٤/ ١٩٧٢، ح: ٢٥٤٦)، بلفظ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، يعني: سلمان الفارسي، وأما لفظ العلم، فعند مسلم برقم (٤/ ١٩٧٢، ح: ٢٥٤٦) دون ذكر الآية وسبب نزولها، وأما لفظ الدين، فرواه أحمد (١٣/ ٤٤٤، ح: ٨٠٨١) بنفس رواية الإمام مسلم، لكنه قال العلم بدل الدين.

وَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ،(١) وَقَالَ: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً؛ الْإِيمَانُ يَمَانِيٌّ، وَالْفِقْهُ يَمَانِيٌّ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»(٣)، فَلَمَّا ارْتَدَّ مَنِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ أَتَى اللَّهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، فَقَاتَلَ الصِّدِّيقُ بِهِمْ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَغَلَبَ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ.

وَقَالَ لِعُثْمَانَ: «إِنَّ اللَّهَ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»(٤).

---

(١) صحيح.

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢، ح: ٣٢٢٠) من حديث عياض الأشعري رضي الله عنه، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي، وذكره العلامة الألباني في الصحيحة (٧/ ١١٠٣، ح: ٣٣٦٨).

(٢) منكر.

من حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد في مسنده (١٦/ ٥٧٦، ح: ١٠٩٧٨)، بلفظ: «أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةَ يَمَانِيَةٌ، وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»، وحكم الألباني على قوله: وأجد نفس... بالنكارة، كما في الضعيفة: (٣/ ٢١٦، ح: ١٠٩٧).

(٣) من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري (٥/ ١٧٤، ح: ٤٣٩٠)، ومسلم (١/ ٧١، ح: ٥٢).

(٤) صحيح.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْكُزُ بِعُودٍ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ، إِذِ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ.** فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ: **افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ.** فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ، وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ: **افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ.** فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَفَتَحْتُ لَهُ، وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ الَّذِي قَالَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَبْرًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ، «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ ذَلِكَ الْبَابُ أَنْ يُكْسَرَ. فَسَأَلَهُ مَسْرُوقٌ مَنِ الْبَابُ؟ فَقَالَ: عُمَرُ»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَكُونُ الْفِتَنُ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ**

عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٨، ح: ٣٧٠٥) بلفظ: «لعل الله»، وصححه العلامة الألباني.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٣، ح: ٣٦٩٣)، (٨/ ٤٨، ح: ٦٢١٦)، ومسلم (٤/ ١٨٦٧، ح: ٢٤٠٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) كما في البخاري (١/ ١١١، ح: ٥٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٢١٨، ح: ١٤٤).

السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ»[١]، وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرَةَ، وَقَالَ فِيهِ: **فَإِذَا وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ.** قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ.** فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**[٢].

وَفِي صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَوْ فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ بَكْمَاءَ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَيْلٌ لِلسَّاعِي فِيهَا مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٨، ح: ٣٦٠١)، ومسلم (٤/ ٢٢١١، ح: ٢٨٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٢، ح: ٢٨٨٧).

(٣) **صحيح.**

من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان (١٥/ ٩٧، ح: ٦٧٠٥)، وصححه العلامة الألباني.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**»[(١)].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ «لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ. فَقَالَ: **وَيْحَكَ، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَقْوَامٌ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، آيَتُهُمْ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا مُخَدَّجَ الْيَدِ عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ الْبَضْعَةِ مِنَ اللَّحْمِ تَدَرْدَرُ، عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢١، ح: ١٨٧٨)، ومسلم (٤/ ٢٢١١، ح: ٢٨٨٥) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) حديث ذي الخويصرة، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في مواضع بألفاظ يصدق بعضها بعضا، منها: (٤/ ١٣٧، ح: ٣٣٤٤) (٤/ ٢٠٠، ح: ٣٦١٠)، (٥/ ١٦٣، ح: ٤٣٥١) (٦/ ٦٧، ح: ٤٦٦٧)، (٦/ ١٩٧، ح: ٥٠٥٨)، (٩/ ١٦، ح: ٦٩٣١)، (٩/ ١٧، ح: ٦٩٣٣)، (٩/ ١٢٧، ح: ٧٤٣٢)، (٩/ ١٦٢، ح: ٧٥٦٢)، وأخرجه مسلم في: (٢/ ٧٤١-٧٤٦، ح: ١٠٦٤).

وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ**»(١). وَهَؤُلَاءِ ظَهَرُوا بَعْدَ مَوْتِهِ بِبِضْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ، لَمَّا افْتَرَقَ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَتِ الْفِئَةُ بَيْنَ عَسْكَرِ عَلِيٍّ، وَعَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ، وَقَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ، وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى قَتَلُوا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةُ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَبِعَلَامَتِهِمْ فَطَلَبُوا هَذَا الْمُخَدَّجَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، حَتَّى قَامَ عَلِيٌّ - بِنَفْسِهِ - فَفَتَّشَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ مَقْتُولًا فَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً**»(٢). وَهَؤُلَاءِ ظَهَرُوا بَعْدَهُ بِمُدَّةٍ فَكَانُوا يُؤَخِّرُونَ الظُّهْرَ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ، وَيُؤَخِّرُونَ الْعَصْرَ إِلَى اصْفِرَارِ الشَّمْسِ.

---

(١) في صحيح البخاري (٩/ ١٧، ح: ٦٩٣٣): حديث أبي سعيد المتقدم: «يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، وفي مسلم: (٢/ ٧٤٥، ح: ١٠٦٤): عن أبي سعيد أيضا: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ».

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٤٨، ح: ٦٤٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»(١). فَلَقُوا بَعْدَهُ مَنِ اسْتَأْثَرَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُعْطِهِمْ حَقَّهُمْ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَطْلُبُونَ مِنْكُمْ حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَكُمْ حَقَّكُمْ**، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ**»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ «أَنَّهُ سَارَّ فَاطِمَةَ فَقَالَ لَهَا وَهُوَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: **إِنِّي أُقْبَضُ فِي مَرَضِي هَذَا. ثُمَّ أَخْبَرَهَا أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ**»(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**»(٤).

---

(١) كما في حديث أنس بن مالك مرفوعا، أخرجه البخاري (٣/ ١١٤، ح: ٢٣٧٦)، (٥/ ٣٣، ح: ٣٧٩٤)، وكذلك أيضا في حديث عبد الله بن زيد مرفوعا، أخرجه البخاري (٥/ ١٥٧، ح: ٤٣٣٠)، ومسلم (٢/ ٧٣٨، ح: ١٠٦١).

(٢) في البخاري (٤/ ١٩٩، ح: ٣٦٠٣)، ومسلم (٣/ ١٤٧٢، ح: ١٨٤٣) من حديث ابن مسعود مرفوعا، قال: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»، ولم أجده بلفظ المؤلف.

(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في مواضع منها: (٤/ ٢٠٤، ح: ٣٦٢٥)، (٥/ ٢١، ح: ٣٧١٥)، (٦/ ١٠، ح: ٤٤٣٣)، وأخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٤، ح: ٢٤٥٠).

(٤) هذه الزيادة في البخاري (٤/ ٢٠٤، ح: ٣٦٢٤)، ومسلم (٤/ ١٩٠٤، ح: ٢٤٥٠).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْرَعُكُنَّ بِي لَحَاقًا أَطْوَلُكُنَّ يَدًا** قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَتَصَدَّقُ»(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَغَيْرِهِ، عَنْ أُمِّ حَرَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُمْ**»(٢).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أُمِّ حَرَامٍ أَيْضًا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: **أَنْتِ فِيهِمْ**. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ**. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: **لَا**»(٣). وَغَزَاهَا الْمُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ يَزِيدُ أَمِيرَهُمْ، وَكَانَ فِي الْعَسْكَرِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا، وَمَاتَ وَدُفِنَ تَحْتَ سُورِهَا، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أُجْدِبُوا كَشَفُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١١٠، ح: ١٤٢٠)، ومسلم (٤/ ١٩٠٧، ح: ٢٤٥٢)، واللفظ له.

(٢) لم أجده في البخاري، وقد عزاه المؤلف إليه من حديث عبد الله بن عمر في مجموع الفتاوى: (٣/ ٤١٣)، (٤/ ٤٨٦)، (١٨/ ٣٥٢)، ومنهاج السنة النبوية (٤/ ٥٤٤)، (٤/ ٥٧٢)، ولم أجده أيضا فيه، والذي وجدته هو حديث أم حرام الذي ذكره شيخ الإسلام بعد هذا الحديث، وفيه: «يغزون مدينة قيصر»، قال الحافظ: يعني القسطنطينية.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٤٢، ح: ٢٩٢٤).

عَنْ قَبْرِهِ فَيُسْقَوْنَ. ثُمَّ غَزَاهَا الْمُسْلِمُونَ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ غَزَاهَا ابْنُهُ مَسْلَمَةُ، وَحَصَرُوهَا عِدَّةَ سِنِينَ، وَبَنَوْا فِيهَا مَسْجِدًا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمَتْهُ، وَجَعَلَتْ تُفَلِّي رَأْسَهُ، فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَتْ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: **عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ**. فَقَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَتْ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: **عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى**، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: **أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ**، قَالَ أَنَسٌ: فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا لَمَّا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَمَاتَتْ»(١)، وَهَذَا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَمُعَاوِيَةَ نَائِبِهِ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ لَمْ يَغْزُوا فِي الْبَحْرِ، وَأَوَّلُ مَا غَزَوُا الْبَحْرَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَفَتَحُوا جَزِيرَةَ قُبْرُصَ، وَجَاءُوا بِسَبْيِهَا إِلَى دِمَشْقَ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ حَيًّا بِدِمَشْقَ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ هَذَا يَوْمٌ قَدْ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي أَنِّي رَأَيْتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦، ح: ٢٧٨٨)، ومسلم (٣/ ١٥١٨، ح: ١٩١٢).

هَذِهِ الْأُمَّةَ كَانَتْ قَاهِرَةً ظَاهِرَةً فَأَضَاعَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ؛ فَأَصَارَهَا اللَّهُ إِلَى مَا تَرَوْنَ، مَا أَهْوَنَ الْعِبَادَ عَلَى اللَّهِ إِذَا ضَيَّعُوا أَمْرَهُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَجْتَاحُهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»[(١)].

---

(١) لم أجده في البخاري، والذي في مسلم (٤/ ٢٢١٦، ح: ٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا».

وفيه أيضا (٤/ ٢٢١٥، ح: ٢٨٨٩) في حديث ثوبان المتقدم، وفيه: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

فائدة: قال الألباني رحمه الله في الصحيحة (٤/ ٣٠٣، ح: ١٧٢٤) بعد ذكره لهذه الأحاديث: فيظهر أن أصل الحديث ذكر فيه الغرق والسنة معا، كما يدل عليه حديث سعد المذكور، ثم ذكر بعض الرواة هذا، وبعضهم هذا. والله أعلم.

وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١). وَهَذَا أَخْبَرَ بِهِ حِينَ كَانَتْ أُمَّتُهُ أَقَلَّ الْأُمَمِ فَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - لَمْ يَزَلْ فِيهَا طَائِفَةٌ ظَاهِرَةٌ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالسَّيْفِ، لَمْ يُصِبْهَا مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا مَقْهُورِينَ مَعَ الْأَعْدَاءِ، بَلْ إِنْ غُلِبَتْ طَائِفَةٌ فِي قُطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، كَانَتْ فِي الْقُطْرِ الْآخَرِ أُمَّةٌ ظَاهِرَةٌ مَنْصُورَةٌ، وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى مَجْمُوعِهَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَكِنْ وَقَعَ بَيْنَهُمُ اخْتِلَافٌ وَفِتَنٌ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٢).

---

(١) روي هذا عن جماعة من الصحابة بألفاظ يصدق بعضها بعضا، منهم:

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كما في البخاري (٩/ ١٠١، ح: ٧٣١١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣، ح: ١٩٢١).

معاوية رضي الله عنه، كما في البخاري (٩/ ١٣٦، ح: ٧٤٦٠)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤، ح: ١٠٣٧).

ثوبان رضي الله عنه، كما في مسلم (٣/ ١٥٢٣، ح: ١٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠، ح: ٢١٢٨).

وَهَؤُلَاءِ ظَهَرُوا بَعْدَهُ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَظَهَرَ النِّسْوَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ، وَعَلَى رُءُوسِهِنَّ عَمَائِمُ كَأَسْنِمَةِ الْجِمَالِ الْبَخَاتِيِّ، يُسَمُّونَ الْعِمَامَةَ سَنَامَ الْجَمَلِ.

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «**سَيَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ، وَمُبِيرٌ**»(١)، وَظَهَرَ الْكَذَّابُ مِنْ ثَقِيفٍ، وَهُوَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ التَّشَيُّعَ وَالِانْتِصَارَ لِلْحُسَيْنِ، وَقَتَلَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَغَيْرَهُ مِنْ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَظْهَرَ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ، حَتَّى قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ، قِيلَ لِأَحَدِهِمَا: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، وَلِلْآخَرِ: إِنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ١٢١﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٢١] وَقَالَ الْآخَرُ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٢٢٢﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢٢١-٢٢٢]، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَكَانَ هُوَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ، وَكَانَ مُبِيرًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ، انْتِصَارًا لِمُلْكِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الَّذِي اسْتَنَابَهُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي فَيَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ،**

---

(١) الحديث في مسلم (٤/ ١٩٧١، ح: ٢٥٤٥) مطولا وفيه قصة.

فائدة: قال النووي رحمه الله: وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ المراد بالكذاب هنا المحتار بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٠).

فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ»[(١)].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»[(٢)]، وَفِي لَفْظٍ: «**إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَمِيرًا**»[(٣)]، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: «كُلُّهُمْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِمُ الْأُمَّةُ»[(٤)]، وَفِي رِوَايَةٍ، فَقَالُوا: «**ثُمَّ يَكُونُ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ الْهَرْجُ**[(٥)]»[(٦)]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى بَيَانُ الْعَدَدِ، وَفِي الْأُخْرَى بَيَانُ الْمُرَادِ بِالْعَدَدِ، وَقَدْ بَيَّنَ وُقُوعَ الْهَرْجِ، وَهُوَ الْقَتْلُ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ وُجِدَ هَذَا الْعَدَدُ بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٠٨، ح: ٧٣٥٤)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٠، ح: ٢٤٩٣).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٣، ح: ١٨٢١).

(٣) كما في البخاري (٩/ ٨١، ح: ٧٢٢٢) بلفظ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا».

(٤) **صحيح دون قوله: (يجتمع عليه الأمة).**

لم أجدها في مسند أبي داود الطيالسي، وقد أخرجها أبو داود السجستاني في سننه (٤/ ١٠٦، ح: ٤٢٧٩) في ضمن الحديث، قال الألباني: صحيح، دون قوله: «تجتمع عليه الأمة».

(٥) الهرج: القتل.

(٦) **صحيح دون قوله: (ثم يكون الهرج).**

أخرجها أحمد في مسنده (٣٤/ ٤٣٩، ح: ٢٠٨٦٠)، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «ثم يكون الهرج».

إِلَى وَقْتِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ وَقَعَ الْهَرْجُ وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى، وَإِنَّمَا يَزِيدُونَ عَلَى الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ إِذَا تُرِكَتِ الصِّفَةُ الْمَذْكُورَةُ فِيهِ، أَوْ عُدَّ مَعَهُمْ مَنْ كَانَ بَعْدَ الْهَرْجِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَلْ لَكَ مِنْ أَنْمَاطٍ؟** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَّى يَكُونُ لِي أَنْمَاطٌ، فَأَنَا أَقُولُ الْيَوْمَ لِامْرَأَتِي: نَحِّي عَنْكِ أَنْمَاطَكِ، فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ أَنْمَاطٌ**»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي**»(٢)، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ(٣): أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِالْيَمَنِ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ: **هَا،**

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٥، ح: ٣٦٣١)، ومسلم (٣/ ١٦٥٠، ح: ٢٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٤١، ح: ٧٠٣٤)، ومسلم (٤/ ١٧٨١، ح: ٢٢٧٤).

(٣) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الراوي عن ابن عباس.

إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[(١)]. وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ: قَامَ خَطِيبًا فَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ فَقَالَ: وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[(٢)]. فَالْمَشْرِقُ عَنْ مَدِينَتِهِ فِيهِ الْبَحْرَيْنُ، وَمِنْهَا خَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ حَادِثٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، وَاتَّبَعَهُ خَلَائِقُ، وَقَاتَلَهُ خَلِيفَتُهُ الصِّدِّيقُ.

وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيُّ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ، وَمِنْهُمُ الدَّجَّالُ، وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**». وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ هُوَ مُسَيْلِمَةُ. قَالَ[(٣)]: وَقَالَ أَصْحَابِي: قَالَ: «هُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا»[(٤)].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ، دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى**

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٢٣، ح: ٣٢٧٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٢٨، ح: ٢٩٠٥).

(٢) أخرج البخاري (٤/ ٨٢، ح: ٣١٠٤).

(٣) القائل هو جابر، كما نبه عليه الشيخ الألباني.

(٤) **حسن صحيح.**

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٥، ح: ٦٦٥٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

يَفِيضَ الْمَالُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»(١).

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ قَالَ: **يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ أَنْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟** فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **تَعَفَّفْ.** قَالَ: **يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ حَتَّى يَكُونَ الْبَيْتُ بِالْعَبْدِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟** قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **اصْبِرْ. يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟** قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ.** فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أُتْرَكْ؟ قَالَ: **فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ، فَكُنْ فِيهِمْ.** قَالَ: فَآخُذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: **إِذًا تُشَارِكُهُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَطْلِقْ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ**»(٢).

---

(١) في مسلم (٤/ ٢٢٣٩، ح: ١٥٧) عن أبي هريرة مرفوعا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»، وفيه أيضا (٤/ ٢٢١٥، ح: ١٥٧): «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ»، وانظر: صحيح البخاري (١/ ٢٨، ح: ٨٥)، (٢/ ٣٣، ح: ١٠٣٦).

(٢) صحيح.

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فِيهَا أَرْبَعُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: **إِنَّكُمْ مَفْتُوحُونَ، وَمَنْصُورُونَ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1]. وَأَمَّا الْفُتُوحُ الَّتِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، وَالنُّصْرَةُ الَّتِي نُصِرُوا فَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ فِي أَوَائِلِ مَبْعَثِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَوَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ، وَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ، فَشَكُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا. قَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: **يَا عَمِّ، إِنَّمَا أَرَدْتُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**. فَقَامُوا، فَقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [سُورَةُ ص: ٥] قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [سُورَةُ ص: ١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [سُورَةُ ص: ٥][2].

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٧٨، ح: ٦٦٨٥)، وصححه العلامة الألباني.

(١) صحيح.

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١/ ١٢٩، ح: ٤٨٠٤)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) ضعيف.

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ قَرُبَتْ بِبَعْضِ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ طَرَقَتْهُمْ لَيْلًا فَسَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي رَافِعَةً. قَالُوا: مَهْلًا - يَرْحَمُكِ اللَّهُ - تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ، فَيُصْلِحُ اللَّهُ بِكِ. قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي رَافِعَةً، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ يَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟**»[(١)]، وَفِيهِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْغَرْزِ، وَأَنَا أُرِيدُ الْعِرَاقَ: لَا تَأْتِ الْعِرَاقَ فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِهِمْ أَصَابَكَ ذَنَبُ السَّيْفِ. قَالَ عَلِيٌّ: وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا مُحَارِبًا يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمِثْلِ هَذَا[(٢)]». وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْتَقْبَلَاتِ فَوَقَعَ بَعْدَهُ كَمَا أَخْبَرَ، وَرَأَى النَّاسُ ذَلِكَ.

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٧٩، ح: ٦٦٨٦) وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وهو في مسلم عن أبي هريرة مختصرا.

(١) صحيح.

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٢٦، ح: ٦٧٣٢)، وصححه العلامة الألباني، وفيه: ما أظنني إلا راجعة.

(٢) حسن.

وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَى الْآنَ فَكَثِيرٌ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، وَوَقَعَتْ فِي زَمَانِهِ، وَوُجِدَتْ كَمَا أَخْبَرَ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: **لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»[(١)]، فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا، فَقَالَ - لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ -: **هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**. فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ، قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَى النَّارِ. فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جَرْحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ**

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٢٧، ح: ٦٧٣٣)، وحسنه العلامة الألباني.

(١) كما في البخاري (٤/ ٦٠، ح: ٣٠٠٩)، (٤/ ٤٧، ح: ٢٩٤٢)، (٥/ ١٨، ح: ٣٧٠١)، (٥/ ١٣٤، ح: ٤٢١٠)، ومسلم (٤/ ١٨٧٢، ح: ٢٤٠٦).

أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مَسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(١). وَرَوَاهُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادَ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، فَقَالَ: **انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ**. فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا خَبَبٌ فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْكِتَابُ؟ فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. قَالَ: فَأَنَخْنَا بِهَا، فَالْتَمَسْنَا الْكِتَابَ فِي رَحْلِهَا، فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، قَالَ: قُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٧٢، ح: ٣٠٦٢)، ومسلم (١/ ١٠٥، ح: ١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٧، ح: ٢٨٩٨)، ومسلم (١/ ١٠٦، ح: ١١٢)، ولفظ حديثه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَتْ أَنِّي أَهْوَيْتُ إِلَى حُجْزَتِهَا، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، أَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟** قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضَاءً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ. فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(١)]. فَكَانَ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِخْبَارُ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَغْزُوَهُمْ، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «نَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَخَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»[(٢)]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٧٧، ح: ٣٩٨٣)، (٨/ ٥٧، ح: ٦٢٥٩)، ومسلم (٤/ ١٩٤١، ح: ٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٩، ح: ١٣٣٣)، ومسلم (٢/ ٦٥٦، ح: ٩٥١).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ»(١)، وَفِي لَفْظٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «**قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَبْدُ اللَّهِ صَالِحٌ أَصْحَمَةُ. فَأَمَّنَا، وَصَلَّى عَلَيْهِ**»(٢).

وَفِي رِوَايَةِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «**إِنَّ أَخَاكُمْ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ**». يَعْنِي النَّجَاشِيَّ(٣).

وَرَوَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، وَرَوَاهَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بِمَعْنَاهُ، قَالَ: « ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ اشْتَدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَشَدِّ مَا كَانُوا، حَتَّى بَلَغَ بِالْمُسْلِمِينَ الْجَهْدُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، وَأَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي مَكْرِهَا أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَةً، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ عَمَلَ الْقَوْمِ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعْبَهُمْ، وَيَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ حَمِيَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ إِيمَانًا وَيَقِينًا. فَلَمَّا عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ مَنَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ لَا يُجَالِسُوهُمْ، وَلَا يُبَايِعُوهُمْ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٩، ح: ١٣٣٤)، صحيح مسلم (٢/ ٦٥٧، ح: ٩٥٢).

(٢) هذا اللفظ وجدته في رواية جابر، كما في: صحيح مسلم (٢/ ٦٥٧، ح: ٩٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٦٥٧، ح: ٩٥٣).

اللَّهِ ﷺ لِلْقَتْلِ، وَكَتَبُوا فِي مَكْرِهِمْ صَحِيفَةً وَعُهُودًا وَمَوَاثِيقَ، لَا يَقْبَلُوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبَدًا صُلْحًا، وَلَا تَأْخُذُهُمْ بِهِمْ رَأْفَةٌ حَتَّى يُسَلِّمُوهُ لِلْقَتْلِ. فَلَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَالْجَهْدُ، وَقَطَعُوا عَنْهُمُ الْأَسْوَاقَ فَلَمْ يَتْرُكُوا طَعَامًا يَقْدَمُ مَكَّةَ وَلَا بَيْعًا إِلَّا بَادَرُوهُمْ إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ؛ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يُدْرِكُوا سَفْكَ دَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَتِهِ قَالَ: حَتَّى كَانَ يُسْمَعُ صَوْتُ صِبْيَانِهِمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ مِنَ الْجُوعِ، وَعَدَوْا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ، فَأَوْثَقُوهُمْ، وَآذَوْهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ، وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي تَمَامِ حَدِيثِهِ: وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ مَكْرًا بِهِ وَاغْتِيَالَهُ، فَإِذَا نَوَّمَ النَّاسَ أَمَرَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتِهِ، أَوْ بَنِي عَمِّهِ فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضَ فُرُشِهِمْ فَيَنَامَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ تَلَاوَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَمِنْ بَنِي قُصَيٍّ، وَرِجَالٌ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قَطَّعُوا الرَّحِمَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْحَقِّ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي فِيهَا الْمَكْرُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَرَضَةَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، وَيُقَالُ: كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي سَقْفِ الْبَيْتِ فَلَمْ تَتْرُكِ اسْمًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا إِلَّا لَحَسَتْهُ، وَبَقِيَ مَا فِيهَا مِنْ شِرْكٍ أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، وَأَطْلَعَ

اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى الَّذِي صُنِعَ بِصَحِيفَتِهِمْ فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: لَا وَالثَّوَاقِبِ مَا كَذَبَنِي فَانْطَلَقَ يَمْشِي بِعِصَابَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ وَهُوَ حَافِلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَامِدِينَ بِجَمَاعَتِهِمْ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُخْرِجُوا مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ، فَأَتَوْهُمْ لِيُعْطُوهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَتْ أُمُورٌ بَيْنَكُمْ لَمْ نَذْكُرْهَا لَكُمْ، فَائْتُوا بِصَحِيفَتِكُمُ الَّتِي تَعَاهَدْتُمْ عَلَيْهَا، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَنَا صُلْحٌ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي صَحِيفَتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا، فَأَتَوْا بِصَحِيفَتِهِمْ مُعْجَبِينَ بِهَا، لَا يَشُكُّونَ أَنَّ الرَّسُولَ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِمْ، فَوَضَعُوهَا بَيْنَهُمْ، وَقَالُوا: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا وَتَرْجِعُوا إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ قَوْمَكُمْ، فَإِنَّمَا قَطَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ جَعَلْتُمُوهُ خَطَرًا لِهَلَكَةِ قَوْمِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ وَفَسَادِهِمْ. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ لِأُعْطِيَكُمْ أَمْرًا فِيهِ نَصَفٌ، فَإِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي، وَلَمْ يَكْذِبْنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ، وَمَحَا كُلَّ اسْمٍ هُوَ لَهُ فِيهَا، وَتَرَكَ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَقَطِيعَتَكُمْ إِيَّانَا، وَتَظَاهُرَكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَ ابْنُ أَخِي كَمَا قَالَ فَأَفِيقُوا فَوَاللَّهِ لَا نُسَلِّمُهُ أَبَدًا حَتَّى نَمُوتَ مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَ بَاطِلًا دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ فَقَتَلْتُمُوهُ أَوِ اسْتَحْيَيْتُمُوهُ. قَالُوا: قَدْ رَضِينَا بِالَّذِي تَقُولُ، فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ فَوَجَدُوا الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ خَبَرَهَا، فَلَمَّا رَأَتْهَا قُرَيْشٌ كَالَّذِي قَالَ أَبُو طَالِبٍ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِنْ صَاحِبِكُمْ، فَارْتَكَسُوا وَعَادُوا لِشَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالشِّدَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى رَهْطِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ أَوْلَى بِالسِّحْرِ وَالْكَذِبِ غَيْرَنَا، فَكَيْفَ تَرَوْنَ؟ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَطِيعَتِنَا أَقْرَبُ إِلَى الْجِبْتِ وَالسِّحْرِ مِنْ أَمْرِنَا، وَلَوْلَا أَنَّكُمُ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى السِّحْرِ لَمْ تَفْسَدْ صَحِيفَتُكُمْ، وَهِيَ فِي أَيْدِيكُمْ طَمَسَ اللَّهُ مَا كَانَ فِيهَا مِنِ اسْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ بَغْيٍ تَرَكَهُ. أَفَنَحْنُ السَّحَرَةُ أَمْ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ النَّفَرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَبَنِي قُصَيٍّ وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَهِشَامُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَتِ الصَّحِيفَةُ عِنْدَهُ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فِي رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَوُجُوهِهِمْ، نَحْنُ بَرَاءٌ مِمَّا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ قُضِيَ بِلَيْلٍ. وَأَنْشَأَ أَبُو طَالِبٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ الشِّعْرَ، فِي شَأْنِ صَحِيفَتِهِمْ، وَيَمْتَدِحُ النَّفَرَ الَّذِينَ تَبَرَّءُوا مِنْهَا، وَنَقَضُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَهْدٍ، وَيَمْتَدِحُ النَّجَاشِيَّ. قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: فَلَمَّا أَفْسَدَ اللَّهُ صَحِيفَةَ مَكْرِهِمْ، خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَاشُوا وَخَالَطُوا النَّاسَ»(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى

---

(١) انظر خبر الصحيفة في: سيرة ابن إسحاق (١٥٦-١٦٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١١-٣١٥)، وفيه حديث موسى بن عقبة.

الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ. قَالَ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ، فَطُفْتُ، قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَقَدْ رَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: لَئِنْ مَنَعْتَنِي مِنْ هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا مِنْكَ يَا أُمَيَّةُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ قَاتِلُكَ. قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَرَيْ إِلَى مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَاتِلِي، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْصَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، فَقَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ. قَالَ: فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو جَهِلٍ حَتَّى قَالَ: إِذْ غَلَبْتَنِي فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ قَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ

لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ. قَالَ: لَا، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ جَعَلَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ بِبَدْرٍ»(١).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ أَخُو بَنِي جُمَحَ قَدْ حَلَفَ وَهُوَ بِمَكَّةَ لَيَقْتُلَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلْفَتُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.**» فَأَقْبَلَ أُبَيٌّ مُقَنَّعًا فِي الْحَدِيدِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا مُحَمَّدٌ، فَحَمَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ، فَقَتَلَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَأَبْصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْقُوَةَ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدِّرْعِ وَالْبَيْضَةِ، فَطَعَنَهُ فِيهَا بِحَرْبَتِهِ، فَوَقَعَ أُبَيٌّ عَنْ فَرَسِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمٌ فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ، فَاحْتَمَلُوهُ، وَهُوَ يَخُورُ خُوَارَ الثَّوْرِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَعَكَ! إِنَّمَا هُوَ خَدْشٌ، فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَنَا أَقْتُلُ أُبَيًّا**، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعُونَ، فَمَاتَ إِلَى النَّارِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٥، ح: ٣٦٣٢)، (٥/ ٧١، ح: ٣٩٥٠).

(٢) قصة قتل النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف، أخرجها الواقدي في مغازيه (١/ ٢٥١) وابن إسحاق في سيرته (٣٣١)، من حديث كعب بن مالك.

وَرَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ، وَهَذَا لَفْظُهُ، وَهُوَ مِمَّا ذَكَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي مَغَازِيهِ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَغَيْرُهُ.

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي مَغَازِيهِ «أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ لَمَّا رَجَعَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، أَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ صَفْوَانُ: قَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَ قَتْلَى بَدْرٍ. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدَهُمْ، وَلَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَا أَجِدُ لَهُ قَضَاءً، وَعِيَالٌ لَا أَدَعُ لَهُمْ شَيْئًا لَرَحَلْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَتَلْتُهُ إِنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْهُ، فَإِنَّ لِي عِنْدَهُ عِلَّةً أَعْتَلُّ بِهَا، أَقُولُ قَدِمْتُ عَلَى ابْنِي أَفْدِي هَذَا الْأَسِيرَ، فَفَرِحَ صَفْوَانُ بِقَوْلِهِ، وَقَالَ لَهُ: عَلَيَّ دَيْنُكَ، وَعِيَالُكَ أُسْوَةُ عِيَالِي فِي النَّفَقَةِ، فَحَمَلَهُ صَفْوَانُ وَجَهَّزَهُ، وَأَمَرَ بِسَيْفِ عُمَيْرٍ

وأخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٥٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٤٨٣، ح: ٤١٥) من حديث عروة بن الزبير مرسلا، ولفظه هو أقرب الألفاظ إلى اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام.

وأخرجها عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٥٥، ح: ٩٧٣١) من حديث الزهري مرسلا.

وأخرجها الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧، ح: ٣٢٦٣) من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه، وفيه: فنزلت: فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧] الْآيَةَ. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

وجمهور المفسرين على أن الآية نزلت في رمي النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين بالحصباء في بدر، قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا القول عن سعيد بن المسيب والزهري عند ابن جرير والحاكم بسند صحيح: وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ هَذَيْنَ الْإِمَامَيْنِ غَرِيبٌ أَيْضًا جِدًّا، وَلَعَلَّهُمَا أَرَادَا أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُهُ بِعُمُومِهَا لَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ خَاصَّةً كَمَا تَقَدَّمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ٢٨).

فَصُقِلَ وَسُمَّ، فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ، وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، وَأَخَذَ السَّيْفَ فَعَمَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُونَ، فَقَالَ عُمَرُ: عِنْدَكُمُ الْكَلْبُ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا أَقْدَمَكَ؟** قَالَ: أَسِيرِي عِنْدَكُمْ، فَفَادُونَا فِي أُسَرَائِنَا فَإِنَّكُمُ الْعَشِيرَةُ وَالْأَهْلُ، قَالَ: **فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟** قَالَ عُمَيْرٌ: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ فَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا؟ إِنَّمَا نَسِيتُهُ فِي عُنُقِي حِينَ نَزَلْتُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اصْدُقْنِي مَا أَقْدَمَكَ؟** قَالَ: مَا قَدِمْتُ إِلَّا فِي أَسِيرِي. قَالَ: **فَمَاذَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ؟** فَفَزِعَ عُمَيْرٌ وَقَالَ: مَاذَا شَرَطْتُ؟! قَالَ: **تَحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِي عَلَى أَنْ يَعُولَ بَيْتَكَ، وَيَقْضِيَ دَيْنَكَ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ.** فَقَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كُنَّا نُكَذِّبُكَ بِالْوَحْيِ، وَبِمَا يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَفْوَانَ فِي الْحِجْرِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، فَأَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ». وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ(١).

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٤)، والواقدي في المغازي (١/ ١٢٥)، وقال السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٣٤٤): أخرجه الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه موصولا بسند صحيح. نقلا من تعليق في كتاب تاريخ الإسلام ط التوفيقية (٢/ ٣١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ، قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا أَعْرَجَ صَعِدَ الْجَبَلَ وَآخَرَ مَعَهُ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ. فَكُنَّا نَقْرَأُ أَنْ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، ثُمَّ نُسِخَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ، وَعُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»(١).

وَكَانَ فِي هَؤُلَاءِ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ قَالَ عَنْهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَمَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لِامْرَأَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَخْرِصُوهَا**، فَخَرَصْنَاهَا، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨، ح: ٢٨٠١)، وبنحوه عند مسلم (٣/ ١٥١١، ح: ٦٧٧).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٠٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، قَالَ: **أَحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى،** فَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ** فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّئٍ»(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ الَّذِي أَسَرَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو الْيَسَرِ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَيْفَ أَسَرْتَهُ يَا أَبَا الْيَسَرِ؟** فَقَالَ: لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، وَلَا قَبْلُ، هَيْئَتُهُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ.** وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: **يَا عَبَّاسُ، افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ.** قَالَ: فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي. قَالَ: **اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ.** وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً ذَهَبًا. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْسِبْهَا لِي مِنْ فِدَايَ. قَالَ: **لَا، ذَلِكَ شَيْءٌ أَعْطَانَا اللَّهُ مِنْكَ.** قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ. قَالَ: **فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ حِينَ خَرَجْتَ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ وَلَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٥، ح: ١٣٩٢)، وله تكملة، وبنحوه عند البخاري (٢/ ١٢٥، ح: ١٤٨١).

غَيْرُكُمَا؟ فَقُلْتَ: **إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَلِلْفَضْلِ كَذَا، وَلِقُثَمَ كَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا.** قَالَ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرُهَا وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»[(١)].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[(٢)] «لَمَّا أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَيْشَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ إِنْ قُتِلَ فَجَعْفَرٌ فَإِنْ قُتِلَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **نَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَسَلَّمَ لَتَذْرِفَانِ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**» [(٣)].

---

(١) **حسن.**

أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٣٤، ح: ٣٣١٠)، وقال محققوه: حسن.

(٢) (٥/ ٢٧، ح: ٣٧٥٧)، (٢/ ٧٢، ح: ١٢٤٦)، (٤/ ١٧، ح: ٢٧٩٨)، (٤/ ٧٢، ح: ٣٠٦٣)، (٤/ ٢٠٥، ح: ٣٦٣٠)، (٥/ ١٤٣، ح: ٤٢٦٢).

(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٨٠-١٥٨).

٩ – إذا لم يكن نبيا فماذا سيكون؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ لَا يَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا صَادِقًا مُرْسَلًا مِنَ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، بِمَنْزِلَةِ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٦٣-١٦٦].

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَلِكًا مُسْلِمًا عَادِلًا، وَضَعَ نَامُوسًا سِيَاسِيًّا وَقَانُونًا عَدْلِيًّا يَنْفَعُ بِهِ الْخَلْقَ، وَيَحْمِلُهُمْ بِهِ عَلَى السِّيرَةِ الْعَادِلَةِ بِمَبْلَغِ عِلْمِهِ، كَمَا كَانَ لِلْأُمَمِ مَنْ يَضَعُ لَهُمُ النَّوَامِيسَ مِثْلُ وَاضِعِي النَّوَامِيسِ مِنَ الْيُونَانِ، وَالْهِنْدِ، وَالْفُرْسِ، وَغَيْرِهِمْ. وَإِنْ كَانَ وَاضِعُ النَّامُوسِ مُخْتَصًّا بِقُوَّةٍ قُدْسِيَّةٍ يَنَالُ بِهَا الْعِلْمَ بِسُهُولَةٍ، وَقُوَّةٍ نَفْسِيَّةٍ يَتَصَرَّفُ فِيهَا تَصَرُّفَاتٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْعَادَةِ، وَيَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ تُمَثِّلُ لَهُ فِي نَفْسِهِ أَشْكَالًا نُورَانِيَّةً، وَأَصْوَاتًا يَسْمَعُهَا فِي دَاخِلِ نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخَوَاصَّ الثَّلَاثَةَ هِيَ الَّتِي يَقُولُ ابْنُ سِينَا، وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ: إِنَّهَا خَوَاصُّ النَّبِيِّ، وَمَنْ قَامَتْ بِهِ كَانَ نَبِيًّا، وَالنُّبُوَّةُ

مُكْتَسَبَةٌ عِنْدَهُمْ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ مَوْجُودَةً لِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَمْ يَصِلْ بِهَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ دَرَجَةِ الصِّدِّيقِينَ - أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ - كَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَحَوَارِيِّي عِيسَى، وَأَصْحَابِ مُوسَى جَعَلْنَاهَا مِنْ هَذَا الْقِسْمِ؛ إِذْ صَاحِبُ هَذَا قَدْ يَكُونُ فِيهِ عَدْلٌ وَسِيَاسَةٌ بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، فَهَذَا الْقِسْمُ الثَّانِي. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا كَاذِبًا فَاجِرًا أَفَّاكًا أَثِيمًا يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ وَالظُّلْمَ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِلَا عِلْمٍ فَيُخْطِئُ خَطَأَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلَا عِلْمٍ. وَمَنْ يَظُنُّ الْكَذِبَ صِدْقًا وَالْبَاطِلَ حَقًّا، وَالضَّلَالَ هُدًى، وَالْغَيَّ رُشْدًا، وَالظُّلْمَ عَدْلًا، وَالْفَسَادَ صَلَاحًا، وَكُلُّ مَنْ دَعَا الْخَلْقَ إِلَى مُتَابَعَتِهِ، وَطَاعَتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْحَتْمِ وَالْإِيجَابِ بِأَنْ يُصَدِّقُوهُ بِمَا أَخْبَرَ، وَيُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَأَوْجَبَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَيِّرَ أَحَدًا فِي اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا يَسُوغُ لَهُ مُخَالَفَتُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ لَا فِي الْبَاطِنِ وَلَا فِي الظَّاهِرِ، لَمْ يَخْرُجْ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ الْإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ، أَوْ قَصْدُهُ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ، فَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ الْأَوَّلَ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاجِرٌ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا كَاذِبًا عَمْدًا أَوْ خَطَأً، وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ، فَيَخْلُو مَعَ ذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكُلِّ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ جَازِمًا بِصِدْقِ نَفْسِهِ جَزْمًا لَا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ، عَالِمًا بِأَنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَدْلٌ، لَا يَجُوزُ لِمَنْ أَمَرَهُ أَنْ يَعْصِيَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ جَازِمًا بِذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ جَازِمًا بِذَلِكَ كَانَ هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يُخْبِرُ إِلَّا بِحَقٍّ، وَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِعَدْلٍ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١١٥] بِخِلَافِ الْقِسْمِ الَّذِي يَتَحَرَّى الْعَدْلَ، وَالصِّدْقَ بِاجْتِهَادِهِ

وَرَأْيِهِ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَأْمُرُ بِأَشْيَاءَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَصْلَحَةُ وَالْعَدْلُ وَالصِّدْقُ فِي خِلَافِهَا، وَيُخْبِرُ بِأَشْيَاءَ بِاجْتِهَادِهِ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِيهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَغْلِطَ فِي بَعْضِ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِيَّاتِ، وَمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ فَإِنَّهُ لَا مَعْصُومَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، وَلِهَذَا لَمْ يَجِبِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا يَقُولُهُ بَشَرٌ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي بِهِ النَّبِيُّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٧٧]، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّ مُحَمَّدًا ذَكَرَ أَنَّهُ رَسُولٌ كَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى بَلْ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيِّدُ، وَلَدِ آدَمَ(١)، وَأَنَّ آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢)، وَأَنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ، وَعَرَجَ إِلَى رَبِّهِ جَلَ وعَلَا عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٢، ح: ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة مرفوعا.

(٢) صحيح.

كما في سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٤٠، ح: ٤٣٠٨)، والترمذي (٥/ ٥٨٧، ح: ٣٦١٥)، وصححه العلامة الألباني.

الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَغَيْرِهِمْ(١)، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ(٢)، وَأَنَّ أُمَّتَهُ هُمُ الْآخِرُونَ فِي الْخَلْقِ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣)، وَأَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَأَنَّهُ مُهَيْمِنٌ عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ مَعَ تَصْدِيقِهِ لِذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ فَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِصِدْقِ نَفْسِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَمَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فَهُوَ مِنْ أَظْلَمِ النَّاسِ وَأَفْجَرِهِمْ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩٣] ، وَإِنْ كَانَ يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَهُوَ مُخْطِئٌ غَالِطٌ مَلْبُوسٌ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْطِئَ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ، وَيَظْلِمَ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى هَذَا بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ، وَلِغَيْرِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ. فَإِنَّ مَنْ ظَنَّ صِدْقَ نَفْسِهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَى، وَلَيْسَ بِصَادِقٍ يَكُونُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ وَأَظْلَمِهِمْ، وَأَبْعَدِهِمْ عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِنَّ هَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الصَّادِقُ بِالْمُتَنَبِّي

(١) كما في حديث المعراج عند البخاري (٥/ ٥٢، ح: ٣٨٨٧)، ومسلم (١/ ١٤٩، ح: ١٦٤) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٢) كما في البخاري (٤/ ١٦٩، ح: ٣٤٥٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧١، ح: ١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما في البخاري (٢/ ٢، ح: ٨٧٦)، ومسلم (٢/ ٥٨٥، ح: ٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْكَذَّابِ، وَهَذَا مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ. إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ غَيْرِهِ فَكَيْفَ بِمَنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ نَفْسِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولُهُ أَصِدْقٌ هُوَ أَمْ كَذِبٌ؟ وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَى الْعَظِيمَةِ، الَّتِي لَمْ يَدَّعِ بَشَرٌ مِثْلَهَا، وَمَعَ كَثْرَةِ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، وَيَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ وَالسُّنَنِ الْعَامَّةِ وَالشَّرَائِعِ وَالنَّوَامِيسِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ مَا يَبِينُ لِأَكْثَرِ الْخَلْقِ. فَإِذَا كَانَتْ أَخْبَارُهُ عَنِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَالَّذِي يَأْمُرُ بِهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ، وَالْكِتَابُ الَّذِي جَاءَ بِهِ كِتَابٌ مُتَشَابِهٌ مَثَانِي، يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الصِّدْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَنَاقُضٌ، لِامْتِنَاعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ عَلَى أَنْ تُخْبِرَ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْغُيُوبِ، وَيَأْمُرُ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ مَعَ سَلَامَةِ ذَلِكَ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ بَشَرٌ غَيْرُ نَبِيٍّ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ. وَإِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ سِيرَتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ وَالْعَدْلَ، وَأَنَّهُ مَا جُرِّبَتْ عَلَيْهِ كَذْبَةٌ قَطُّ، وَعُلِمَ أَنَّهُ كَانَ جَازِمًا بِمَا يُخْبِرُ بِهِ مَعَ عِظَمِ الْأَخْبَارِ وَكَثْرَتِهَا، وَهُوَ وَحْدَهُ قَامَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَمِنْ عَادَةِ طَالِبِ الْمُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ - وَلَوْ كَانَ عَادِلًا - أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يُعِينُهُ كَأَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَنَحْوِهِمْ، وَأَنْ يَبْذُلَ لِلنُّفُوسِ مِنَ الْعَاجِلِ مَا يُرَغِّبُهَا بِهِ كَالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ، وَيُرَهِّبُ مَنْ خَالَفَهُ. وَمُحَمَّدٌ ﷺ دَعَا النَّاسَ وَحْدَهُ وَهُوَ بِمَكَّةَ، فَآمَنَ بِهِ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ آمَنَ بِهِ الْأَنْصَارُ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ أَهْلُ

الْبَحْرَيْنِ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنْهُمْ دِرْهَمًا، وَلَا كَانَ مَعَهُ مَا يُخِيفُهُمْ بِهِ، لَا سَيْفٌ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ مَكَثَ بِمَكَّةَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، هُوَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُسْتَضْعَفِينَ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَبْذُلُهُ لَهُمْ، وَلَا سَيْفٌ يُخِيفُهُمْ بِهِ. وَكَانَ أَعْظَمَ مَنْ آمَنَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَعَ كَمَالِ عَقْلِهِ وَخُلُقِهِ، وَدِينِهِ فِي قَوْمِهِ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ فِيهِمْ، أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟** قَالَ: تَرَكْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[(١)]، وَلَمْ يُعْطِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْهَمًا وَاحِدًا يَخُصُّهُ بِهِ، ثُمَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ وَتَرَكَ مَا كَانَ مَعَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَفَتَحَ أَعْظَمَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ، مَمْلَكَةَ فَارِسَ، وَالرُّومِ فَقَهَرَ الرُّومَ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَالْجَزِيرَةِ، وَمِصْرَ. وَأَمِيرُهُ الْكَبِيرُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَزْهَدُ الْخَلْقِ فِي الْأَمْوَالِ وَأَعْبَدُهُمْ لِلْخَالِقِ، وَأَرْحَمُهُمْ لِلْمَخْلُوقِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ هَوَى النَّفْسِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»[(٢)]، وَأَمِيرُهُ عَلَى فَارِسَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الَّذِي كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ مِنْ

---

(١) حسن.

كما في الترمذي (٥/ ٦١٤، ح: ٣٦٧٥)، وأبي داود (٢/ ١٢٩، ح: ١٦٧٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني.

(٢) كما في البخاري (٥/ ١٧٢، ح: ٤٣٨٢)، ومسلم (٤/ ١٨٨١، ح: ٢٤١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أَزْهَدِ النَّاسِ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى، وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْوِلَايَةِ، وَهُوَ مُعْتَزِلٌ فِي قَصْرِهِ بِالْعَقِيقِ لَا يُزَاحِمُ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عُمَرُ: تَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ وَجَلَسْتَ هَهُنَا، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ النَّقِيَّ الْخَفِيَّ»**(١) .(٢)

---

(١) كما في مسلم (٤/ ٢٢٧٧، ح: ٢٩٦٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) الجواب الصحيح [٤ / ٤٦ ـ ٥٤].

١٠ - قصة الفيل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنْ آيَاتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ قِصَّةُ الْفِيلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ١-٥] وَقَدْ تَوَاتَرَتْ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْحَبَشَةِ النَّصَارَى سَارُوا بِجَيْشٍ عَظِيمٍ، مَعَهُمْ فِيلٌ، لِيَهْدِمُوا الْكَعْبَةَ لَمَّا أَهَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ كَنِيسَتَهُمُ الَّتِي بِالْيَمَنِ فَقَصَدُوا إِهَانَةَ الْكَعْبَةِ وَتَعْظِيمَ كَنَايِسِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَهْلَكَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ جِيرَانُ الْبَيْتِ مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَدِينُ النَّصَارَى خَيْرٌ مِنْ دِينِهِمْ فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمْ تَكُنْ لِأَجْلِ جِيرَانِ الْبَيْتِ حِينَئِذٍ، بَلْ كَانَتْ لِأَجْلِ الْبَيْتِ أَوْ لِأَجْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي وُلِدَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ عِنْدَ الْبَيْتِ، أَوْ لِمَجْمُوعِهِمَا، وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَهُوَ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ. فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّمَا كَانَتْ آيَةً لِلْبَيْتِ وَحِفْظًا لَهُ وَذَبًّا عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ. فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مَنْ يَحُجُّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ وَيُصَلِّي إِلَيْهِ إِلَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي فَرَضَ حَجَّهُ وَالصَّلَاةَ إِلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا مِنَ الْكَنَائِسِ الَّتِي لِلنَّصَارَى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ النَّصَارَى أَهْلَ الْكَنَائِسِ لَمَّا أَرَادُوا تَعْظِيمَ الْكَنَائِسِ وَإِهَانَةَ الْبَيْتِ، عُلِمَ أَنَّ دِينَ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ خَيْرٌ مِنْ دِينِ النَّصَارَى، وَالْمُشْرِكُونَ لَيْسُوا

خَيْرًا مِنَ النَّصَارَى فَتَعَيَّنَ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنَ النَّصَارَى، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنَّ نَبِيَّهُمْ صَادِقٌ، وَإِلَّا فَمَنْ كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِنَبِيٍّ كَاذِبٍ فَلَيْسُوا خَيْرًا مِنَ النَّصَارَى بَلْ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ، كَأَتْبَاعِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وَالْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ١-٣] وَالْأَبَابِيلُ جَمَاعَاتٌ فِي تَفْرِقَةٍ، فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ٤] أَيْ: مِنْ طِينٍ مُسْتَحْجِرٍ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ٥] كَالتِّبْنِ الَّذِي أُكِلَ. وَقَوْلُهُ: أَلَمْ تَرَ اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى التَّقْرِيرِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا قَدْ وَقَعَ وَعَلِمَ بِهِ النَّاسُ وَرَأَوْهُ، وَقَدْ قَرَّرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ وَالْإِنْعَامِ عَلَى الْخَلْقِ.[١]

---

(١) الجواب الصحيح (٦ / ٥٥ -٥٧).

١١ - حراسة السماء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنْ آيَتِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، بِخِلَافِ مَا كَانَتِ الْعَادَةُ جَارِيَةً بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [سُورَةُ الجِنِّ: ١-٢].

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [سُورَةُ الجِنِّ: ٨-١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٠-٢١٢] وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهُ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ يَقْرَءُونَهُ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ، وَلَا ارْتَابَ بِهِ مُؤْمِنٌ، وَلَا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ كَافِرٌ، فَدَلَّ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا صِدْقَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الْجِنُّ، مِنْ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا حِينَئِذٍ مِمَّا كَانُوا يَتَمَكَّنُونَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِمَاعِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَرَاهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ فَإِنَّ امْتِلَاءَ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ أَمْرٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ يُكَذِّبُونَ بِهَذَا، مُؤْمِنُهُمْ، وَكَافِرُهُمْ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ الْعَظِيمَةَ الَّذِينَ لَمْ يَتَوَاطَئُوا يَمْتَنِعُ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ، وَعَلَى التَّصْدِيقِ بِمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَعَلَى كِتْمَانِ مَا يَعْلَمُونَهُ، وَعَلَى تَرْكِ إِنْكَارِ

مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَذِبٌ. وَقَدْ سَمِعَ الْقُرْآنَ أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ أَدْرَكُوا مَبْعَثَهُ وَشَاهَدُوا أَحْوَالَ السَّمَاءِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَانَ مَوْجُودًا - مَعَ أَنَّ عَامَّتَهُمْ كَانُوا مُكَذِّبِينَ لَهُ، وَلَمَّا آمَنُوا كَانُوا طَوَائِفَ مُتَبَايِنِينَ - يَمْتَنِعُ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى كَذِبٍ أَوْ كِتْمَانٍ أَوْ سُكُوتٍ، فَلَمَّا لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ أَحَدٌ، بَلْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرَّمْيِ الْعَظِيمِ بِالشُّهُبِ، الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ، حَتَّى صَارُوا يَشُكُّونَ: هَلْ ذَلِكَ فِي الْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي الْفَلَكِ أَوْ فِي غَيْرِهَا؟ وَقَالُوا: إِنْ كَانَ فِي كَوَاكِبِ الْأَفْلَاكِ فَهُوَ خَرَابُ الْعَالَمِ، فَلَمَّا رَوَاهُ فِيمَا دُونَهَا، عَلِمُوا أَنَّهُ لِأَمْرٍ حَدَثَ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظَ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ؛ أُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟ فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ، وَهِيَ بِنَخْلٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظَ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٥٤، ح: ٧٧٣)، (٦/ ١٦٠، ح: ٤٩٢١)، ومسلم (١/ ٣٣١، ح: ١٤٩).

[سُورَةُ الجِنِّ :١-٢] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [سُورَةُ الجِنِّ :١] »، وَفِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ بِنَخْلَةَ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ الصَّوَابُ. وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الشُّهُبَ لَمْ يَكُنْ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِحَالٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ كَانَ الرَّمْيُ بِهَا - كَمَا هُوَ الْآنَ - أَحْيَانًا، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَيْنَمَا هُوَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ: **مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا النَّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟** قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ حِينَ رَأَيْنَاهَا يُرْمَى بِهَا: مَاتَ مَلِكٌ. وُلِدَ مَوْلُودٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْرًا يَسْمَعُهُ أَهْلُ الْعَرْشِ فَيُسَبِّحُونَ فَيُسَبِّحُ مَنْ تَحْتَهُمْ بِتَسْبِيحِهِمْ، فَيُسَبِّحُ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلِ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِمَ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا بِتَسْبِيحِهِمْ، فَيَقُولُونَ: أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ مِمَّ سَبَّحُوا؟ فَيَسْأَلُونَهُمْ فَيَقُولُونَ: قَضَى اللَّهُ فِي خَلْقِهِ كَذَا وَكَذَا، الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَتَحَدَّثُونَ بِهِ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ عَلَى تَوَهُّمٍ مِنْهُمْ وَاخْتِلَافٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحَدِّثُونَهُمْ فَيُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ،**

فَيُحَدِّثُ الْكُهَّانُ»[(١)]. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، «**إِنَّ الْكُهَّانَ قَدْ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّيْءِ فَيَكُونُ حَقًّا، قَالَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَزِيدُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**»[(٢)]، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ، وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ، قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**»[(٣)]. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ: كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانَ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ:** ﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا، بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ، أَوِ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا. الْكَلِمَةُ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ،**

---

(١) الحديث بمعناه في مسلم (٤/ ١٧٥٠، ح: ٢٢٢٩)، ومسند أحمد (٣/ ٣٧٢، ح: ١٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٦، ح: ٥٧٦٢)، ومسلم (٤/ ١٧٥٠، ح: ٢٢٢٨)، (٤/ ١٧٥٠، ح: ٢٢٢٨).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١١١، ح: ٣٢١٠).

فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١). وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ عَنِ السَّمْعِ بِهَذِهِ النُّجُومِ، فَانْقَطَعَتِ الْكِهَانَةُ فَلَا كِهَانَةَ». وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ: فَقُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَوَ كَانَ يُرْمَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: يَقُولُ اللَّهُ ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ**﴾ [سُورَةُ الجِنِّ: ٩] الْآيَةَ. قَالَ: غُلِّظَتْ وَاشْتَدَّ أَمْرُهَا حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَوَى الطَّبَرِيُّ، عَنْ دَاوُدَ، ثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ لِلْجِنِّ مَقَاعِدُ فِي السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، وَكَانَ الْوَحْيُ إِذَا أُوحِيَ، سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ كَهَيْئَةِ الْحَدِيدَةِ رُمِيَ بِهَا عَلَى الصَّفْوَانِ، فَإِذَا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَلْصَلَةَ الْوَحْيِ خَرَّ لِجِبَاهِهِمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْوَحْيِ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: فَيُنَادُونَ: قَالَ رَبُّكُمْ: قَالَ: فَإِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالُوا: يَكُونُ فِي الْأَرْضِ كَذَا وَكَذَا مَوْتًا، وَكَذَا وَكَذَا حَيَاةً، وَكَذَا وَكَذَا جُدُوبَةً، وَكَذَا وَكَذَا خِصْبًا، وَمَا يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ، وَمَا يُرِيدُ أَنْ يَبْتَدِيَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَنَزَلَتِ الْجِنُّ فَأَوْحَوْا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزُجِرَتِ الشَّيَاطِينُ، وَرَمَوْهُمْ بِالْكَوَاكِبِ، فَمُنِعُوا، فَجُعِلَ لَا يَصْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا احْتَرَقَ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٢، ح: ٤٨٠٠)، (٦/ ٨٠، ح: ٤٧٠١)، (٩/ ١٤١، ح: ٧٤٨١) بألفاظ متقاربة.

وَفَزِعَ أَهْلُ الْأَرْضِ لِمَا رَأَوْا فِي الْكَوَاكِبِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: هَلَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَكَانَ أَهْلُ الطَّائِفِ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَيَنْطَلِقُ الرَّجُلُ إِلَى إِبِلِهِ فَيَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ بَعِيرًا لِآلِهَتِهِمْ، فَيَنْطَلِقُ صَاحِبُ الْغَنَمِ فَيَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً، فَيَنْطَلِقُ صَاحِبُ الْبَقَرِ فَيَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ بَقَرَةً، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ: وَيْلَكُمْ، لَا تُهْلِكُوا أَمْوَالَكُمْ، فَإِنَّ مَعَالِمَكُمْ مِنَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَهْتَدُونَ بِهَا، لَمْ يَسْقُطْ مِنْهَا شَيْءٌ. فَأَقْلَعُوا وَقَدْ أَسْرَعُوا فِي أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ إِبْلِيسُ: حَدَثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ فَأْتُونِي مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي الْأَرْضِ بِتُرْبَةٍ، فَجَعَلَ لَا يُؤْتَى بِتُرْبَةِ أَرْضٍ إِلَّا شَمَّهَا، فَلَمَّا أُتِيَ بِتُرْبَةِ تِهَامَةَ، قَالَ: هَهُنَا حَدَثَ الْحَدَثُ. فَصَرَفَ اللَّهُ إِلَيْهِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَقَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [سُورَةُ الجِنِّ:١]، حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ، فَوَلَّوْا: إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ[(١)]، وَرَوَاهُ أَبُو زُرْعَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءٍ بِنَحْوِهِ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طُرُقٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءٍ أَيْضًا. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي زَمَنِ الْمَبْعَثِ مُلِئَتِ السَّمَاءُ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْحَرَسُ شَدِيدًا، وَلَا كَانَتِ السَّمَاءُ مَمْلُوءَةً حَرَسًا وَشُهُبًا - كَمَا هِيَ الْآنَ - يُرْمَى بِهَا أَحْيَانًا، وَكَانُوا يَقْعُدُونَ بِهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ أَيْ يَسْتَرِقُ أَحَدُهُمْ مَا يَسْمَعُهُ كَمَا يَسْتَمِعُ الْمُسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِ غَيْرِهِ مُخْتَفِيًا بِسَمَاعِهِ مُسْتَرِقًا لَهُ، فَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَسْتَرِقُ -

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٢).

أَيْ تَسْتَمِعُ – مَا تَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَمِعَ وَجَدَ الشِّهَابَ قَدْ أُرْصِدَ لَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْعُدَ وَيَسْتَمِعَ كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ(١).

وقبل الختام أتحف القارئين بالتالي وهي عبارة عن مقالة نشرتها في بعض المجموعات:

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٥٧ -٦٧).

الملحد منبوذ عند الغرب!

يتساءل الملحد العربي الغبي وكذلك الغربي وثالثهم العلماني لماذا يعاديهم الإسلام ولا يجعل لهم أهلية التصرف في الأمور الحكمية ولماذا يهضمهم الإسلام حقهم ولماذا هم منبوذون في أوساط المسلمين كل هذه التساؤلات يجيبك عليها الغرب الذي طالما يدافع الملحد عنه:

١. نشرت المجلة العلمية الأمريكي العلمي بحثا قررت فيه مدى كراهية المجتمع الأمريكي للملحدين وعنوان البحث يشير إلى ذلك (نحن لا نثق في الملحدين) وبينت المجلة أن المواطن الأمريكي لا يقبل الملحد معلما لأبنائه.

٢.نال الملاحدة المرتبة الأولى سنة ٢٠١١م في بحث أجري في أمريكا عن الطائفة المنبوذة المكروهة على الإطلاق في أوساط الأمريكيين كما نشرت ذلك جريدة الواشنطن بوست في تقرير خاص.

٣.يمنع الملحد من تولي أي منصب من المناصب على الإطلاق كما ينص على ذلك أحد أسس دساتير الولايات الأمريكية.

٤.الملحد الذي ينكر وجود الله لا قيمة لعهده ولا ضمان لأمانته عند الغرب كما يقول (جون لوك) مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح التي يقول فيها صـ ٥٧: (لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذي ينكر وجود الله).

٥. (لا يحق لأي ملحد تولي أي منصب إداري في الولاية ولا يكون أهلا للشهادة في المحكمة) المرجع: المادة الأولى / الفصل التاسع عشر / دستور ولاية أركنساس الأمريكية.

٦. (الملحد فاقد للأهلية) المرجع: الفصل السادس / المادة الثامنة / دستور ولاية نورث كارولينا الأمريكية.

٧. (الملحد ليس أهلا للثقة وعليه فلا يحق له إنشاء أي مؤسسة ربحية) المرجع: المادة الرابعة من الفصل الأول لدستور ولاية بنسلفانيا الأمريكية.

٨. لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله) قالها جورج بوش سنة ١٩٨٧م في لقاء صحفي جوابا لسؤال: هل يمكن اعتبار الملحد الامريكي متساوياً في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان؟

وما تركنا أكثر مما ذكرنا ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب (كيف تدعو إلى الإسلام صـ٤٧) وكما يقال (أهل مكة أدرى بشعابها) فالغرب المعايش للملاحدة عرف مدى ضرر تواجدهم فحرمهم من مناصب كثيرة وقرر قوانين صارمة تمنع من تواجدهم في أوساطهم لأن من ينكر وجود الله لا يميز بين مصلحة ومفسدة وبين خير وشر ونفع وضر فالأمور كلها عنده على حد سواء ومن هنا يتبين للقارئ لماذا يبحث الملحد عن حقوقه في بلدان الإسلام لأنه صار منبوذا في الغرب!.

وإذا كان النصارى يرفضون الملحد لأنه ينكر وجود الله فنحن المسلمون من باب أولى سنرفضه ولو آمن بوجود الله حتى يؤمن بنبوة رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وإذا قال الملحد مسفسطا لماذا يرفضنا المسلمون قلنا ما أجابكم به الغرب أجبناكم به وزيادة فمن ينكر وجود الله فهو لا يستحق الوجود بل من ينكر وجود الله فهو ينكر وجود نفسه لأن المخلوق خلقه الله فإذا أنكر المخلوق وجود الله فقد أنكر وجود خالقه سبحانه وإنكار وجود الخالق إنكار لوجود المخلوق والله المستعان.

الخاتمة

ومن هنا يتبين لكل قارئ مدى قوة الأدلة التي تثبت جنس النبوات وصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وكما أن الإثبات يحتاج إلى دليل فكذلك أيضا النفي يحتاج إلى دليل، فنقول لهؤلاء الملاحدة النافين للنبوات: هاتوا أدلتكم واعرضوا براهينكم حتى ينظر المنصف فيها، ليكون الحكم على الأشياء بناء على أدلته، إذا صحت المقدمات صحت النتائج، وإذا صحت الأدلة صحت المدلولات، وإذا صح اللازم صح الملزوم، فهاتوا برهانكم على نفي النبوات، وعلى تكذيبكم لأخبار الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بعيدا عن السفسطة المعروفة منكم والتمويه والتعمية نريد أدلة واضحة بينة لكل أحد، أما أن يأتي الملحد إلى هذه الأدلة وغيرها من الأدلة الصحيحة ليضع عليها الشخابيط ويضمنها في كلام مسفسط أوله تحكم وآخره تهكم، كما هي عادتهم، فهذا وإن أعجب الجهلاء فلن يرضي العقلاء، الذين يعلمون أن العبرة في الكلام ليست برصعه وسجعه إنما بحجته وبرهانه، ونحن لا نجيد فن السفسطة بل لا نرتضيه لأن الحق يظهر نفسه ولا يحتاج إلى زخارف لفظية ليقتنع به السامعين، ولأن لغة السفسطة لا تستطاع إلا مع مناقضة العقل الصريح والنقل الصحيح، وهي العدوة اللدود للغة العقل والمنطق.

وقد اتضح لي من خلال قراءتي لكلام هذا البخيتي أنه ممن يصدق عليهم لقب (المسفسط) لأنه يستخدم الكذب والدجل والتعمية والتمويه والتشويه

وعدم الإنصاف والمصداقية ولا يسير على مبدأ يعتمد عليه، فنتج من ذلك التناقضات المخزية، والمخالفات الصريحة للعقل والواقع، ولا ينشر البخيتي مقالة في مجموعاته إلا وتصدى له رجال الإسلام وأبطاله الكرام. الذين يعتزون بربهم وبرسولهم وبدينهم وبقرءانهم. بالرد المفحم المخرس الذي لا جواب له سوى السكوت والخرس. فجزاهم الله خير الجزاء وأعانهم على إفحام المبطلين وإسكات الزائغين، فإن لسان حال الإسلام ينادي قائلا:

وما خُذلٌ قومي فأخضع ... ولكن إذا أدعوهم فهُمُ هُمُ

وختاما: وبعد شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أشكر شيخي أبا العباس، فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فجزاك الله من معلم خيرا، وزادك الله علما وخيرا وهدى وسدادا، وحفظك من كل سوء ومكروه.

وأيضا أتوجه بالشكر لإخواننا الافاضل في مديرية الحدأ من أسرة البخيتي الشرفاء وغيرهم ممن وقفوا أمام علي البخيتي ولم يقفوا معه، معتزين بدينهم وبرسولهم محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فجزاكم الله خيرا وأدام الله مجدكم وعزكم وفضلكم في الدنيا والآخرة، وثبتكم الله على دينه وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى الممات، وجعلكم خير سلف في إنكاركم لهذيان علي البخيتي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

فرِغ منه صبيحة يوم الخميس، ١ محرم ١٤٤٢ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

تحت اشراف شيخنا ووالدنا: أبي العباس أحمد بن أحمد شملان حفظه الله تعالى

كتبه: طلال بن جميل بن محمد بن علي الحبيشي الصيح / آنس

ومن وجد خللا أو زللا أو كانت عنده فائدة أو نصيحة، فليرسلها إليَّ مشكورا عبر هاتفي على الرقم التالي:

(٧٧١٥٥٠٨١٤ / ٩٦٧+) وجزاه الله خيرا

قائمة المصادر والمراجع:

١. **أحكام أهل الذمة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١)، ت: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر – الدمام، (ط: الأولى، ١٤١٨).

٢. **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠)، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - لبنان، (ط: الأولى، ١٤٠٤).

٣. **إظهار الحق**، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (١٣٠٨)، ت: الدكتور محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. السعودية، (ط: الأولى، ١٤١٠).

٤. **الآحاد والمثاني**، أبو بكر بن أبي عاصم (٢٨٧)، ت: د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية - الرياض، (ط: الأولى، ١٤١١).

٥. **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، (ط: الرابعة ١٤٢٠).

٦. **الإسلام يتحدى**، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الدين خان، مراجعة وتقديم: د. عبد الصبور شاهين، المصدر: الشاملة الذهبية.

٧. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، (ط: الأولى، ١٤٢٩).

٨. **الإعلام بحكم المولد في الإسلام للشيخ أحمد السلمي**، أحمد بن عبد السلمي، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، المصدر: الشاملة الذهبية.

٩. **الأم**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (٢٠٤)، دار المعرفة - بيروت، (سنة النشر: ١٤١٠).

١٠. **الأموال لابن زنجويه**، أبو أحمد حميد بن مخلد الخرساني المعروف بابن زنجويه (٢٥١)، ت: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، (ط: الأولى، ١٤٠٦)

١١. **الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية**، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (٧١٦)، ت: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان - الرياض، (ط: الأولى، ١٤١٩).

١٢. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، (ط: الأولى، ١٤١٨).

١٣. **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٢٥٦)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.

١٤. **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (٣٩٥)، ت: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، (ط: الأولى، ١٤٢٣).

١٥. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، (ط: الثانية، ١٤١٩).

١٦. **الرد على المنطقيين**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٧. **السنن الكبرى،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣)، ت: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط: الأولى، ١٤٢١).

١٨. **السيرة النبوية لابن هشام،** عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (٢١٣)، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط: الثانية، ١٣٧٥).

١٩. **الشريعة،** أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠)، ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، (ط: الثانية، ١٤٢٠).

٢٠. **الصحيح المسند من أسباب النزول،** مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادِعِيُّ (١٤٢٢)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (ط: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨).

٢١. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١)، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط: الأولى، ١٤٠٨).

٢٢. **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن،** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (١٣٧٦)، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار ابن الجوزي، المصدر: الشاملة الذهبية.

٢٣. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،** أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥)، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، (ط: الأولى، ١٤٠٩).

٢٤. **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، (ط: الثانية، ١٤٠٦).

٢٥. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط: الأولى، ١٤١١).

٢٦. **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٢١١)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، (ط: الثانية، ١٤٠٣).

٢٧. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠)، ت: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٢٨. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠)، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (ط: الثانية).

٢٩. **المغازي**، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (٢٠٧)، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، (ط: الثالثة، ١٤٠٩).

٣٠. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (٨٠٦)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، (ط: الأولى، ١٤٢٦).

٣١. **المناهي اللفظية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (: ١٤٢١)، جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، (الطبعة: الأولى، ١٤١٥).

٣٢. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط: الثانية، ١٣٩٢).

٣٣. **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي**، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، عدد الأجزاء: ١٦ (٩ عصور، و٧ ملاحق)، نقلها وأعدها للشاملة/ أبو سعيد المصري.

٣٤. **النبوات،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط: الأولى، ١٤٢٠).

٣٥. **النهاية في غريب الحديث والأثر،** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

٣٦. **بدائع الفوائد،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٧. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨)، المكتبة التوفيقية،

٣٨. **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠)، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر ، (ط: الأولى، ١٤٢٢).

٣٩. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧)، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، (ط: الثالثة - ١٤١٩).

٤٠. **تفسير القرآن العظيم،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤)، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، (ط: الأولى - ١٤١٩).

٤١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (١٣٧٦)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط: الأولى ١٤٢٠).

٤٢. **درء تعارض العقل والنقل،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (ط: الثانية، ١٤١١).

٤٣. **دلائل النبوة،** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٤٣٠)، ت: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، (ط: الثانية، ١٤٠٦).

٤٤. **دلائل النبوة،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨)، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، (ط: الأولى - ١٤٠٨).

٤٥. **ربحت محمد ولم أخسر المسيح،** د. عبد المعطي الدالاتي، المصدر: الشاملة الذهبية

٤٦. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (١٤٢٠)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط: الأولى).

٤٧. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (١٤٢٠)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، (ط: الأولى، ١٤١٢).

٤٨. **سنن ابن ماجه،** ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (٢٧٣)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٤٩. **سنن أبي داود،** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٥٠. **سنن الترمذي،** محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩)، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، (ط: الثانية، ١٣٩٥).

٥١. **سير أعلام النبلاء،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨)، ت: مجموعة من المحقق.

٥٢. **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)،** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (١٥١)، ت: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، (ط: الأولى ١٣٩٨).

٥٣. **شرح العقيدة الطحاوية،** صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (٧٩٢)، ت: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (طط: العاشرة، ١٤١٧).

٥٤. **شرح سنن أبي داود،** عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٥٥. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،** محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط: الثانية، ١٤١٤).

٥٦. **صحيح السيرة النبوية،** محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠)، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، (ط: الأولى).

٥٧. **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩،

٥٨. **فضائل الصحابة،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١)، ت: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط: الأولى، ١٤٠٣).

٥٩. **فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين،** أبو سعيد محمد بن علي بن عمر بن مهدي الأصبهاني الحنبلي النقاش (٤١٤)، ت: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٦٠. **كتاب الأموال،** أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤)، ت: خليل محمد هراس، دار الفكر. - بيروت.

٦١. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧)، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (عام النشر: ١٤١٤).

٦٢. **مجموع الفتاوى،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، ت: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، (ط: الثالثة، ١٤٢٦).

٦٣. **مسند أبي داود الطيالسي،** أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (٢٠٤)، ت: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، (ط: الأولى، ١٤١٩).

٦٤. **مسند أبي يعلى،** أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (٣٠٧)، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، (ط: الأولى، ١٤٠٤).

٦٥. **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط: الأولى، ١٤٢١).

٦٦. **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار،** أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٢٩٢)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (ط: الأولى).

٦٧. **مسند الشاميين،** سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠)، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، (اط: الأولى، ١٤٠٥).

٦٨. **معارج القدس في مدراج معرفة النفس،** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (ط: الثانية، ١٩٧٥م).

٦٩. **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، (ط: الأولى ١٤٠٨).

٧٠. **معرفة الصحابة،** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠)، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، (ط: الأولى ١٤١٩).

٧١. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٢. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨)، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ط: الأولى، ١٤٠٦).

٧٣. **نقض أصول العقلانيين،** المؤلف: سليمان بن صالح الخراشي، دار علوم السنة.

٧٤. **هواتف الجنان،** أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي (٣٢٧)، ت: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط: الأولى، ١٤٢١).

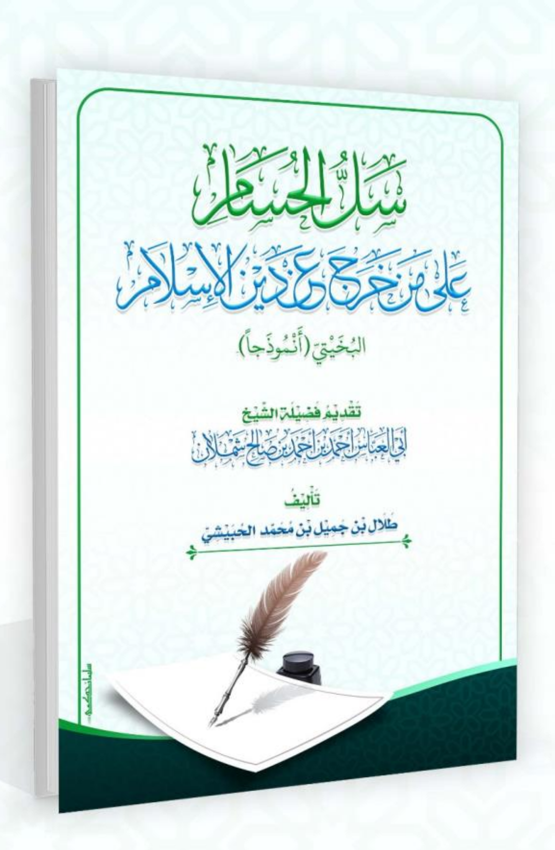
٧٥. **الإسلام محرر العبيد (التاريخ الأسود للرق في الغرب)،** حمدي شفيق، المصدر: الشاملة الذهبية.

٧٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،** محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط: الأولى، ١٤٢٢).

٧٧. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، (ط: الثانية، ١٣٨٤).

٧٨. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المحتويات


سَلُّ الحُسَام
عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ دِينِ الإِسْلَام
البُخَيْتِيّ (أَنْمُوذَجاً)
تقديم فضيلة الشيخ
أبي العباس أحمد بن أحمد بن صالح شملان
تأليف
طلال بن جميل بن محمد الحبيشي